تقدير وتشجيع

بقلم : م.ت

ظفرت ((القصة)) العربية من ((المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية)) في ((الجمهورية العربية المتحدة)) ، هذا العام ، بجائزة تقديرية ، وأخرى تشجيعية .

أما الجائزة التقديرية فاهديت الى الأستاذ ((محمد فريد أبى حديد)) ، وهو من شيوخ الأدب العصرى ، ومن أعلام الثقافة الحديثة . وقد تنوع نشاطه فى مجال التأليف الخصب الممتع ، وله فى التأليف القصصى خاصة فرائد ، منها ما استلهم فيه التاريخ العربى ، ومنها ما استوحى فيه الكفاح القومى ، ومنها ما كان تصويرا لنماذج بشرية وتحليلا لنزعات النفس وخلجات الوجدان . وقد عرف النقاد للاستاذ ((أبى حديد)) أنه استقام على أصالة من الفن ، وتعمق فى الفكر ، وادراك واع لرسالة الأديب فى عصره ، ومن ثم كان فى الطليعة من الكتاب الأحرياء بالتقدير والاكبار .

وأما الجائزة التشجيعية ، فقد خص بها الاستاذ ((أمين يوسف غراب)) ، وهو كاتب أديب ، لم تعل به السن ، وان علت به الموهبة والجد ، وقد أعطيت الجائزة لمجموعته القصصية ((أشياء لا تشترى)) وهكذا كان عنوان الكتاب فألا معكوسا ، اذ كانت الجائزة ثمنا رابحا له . والاستاذ ((غراب)) قاص ماهر ، يحسن الحبكة ، وقد عرف فى مجموعته تلك كيف يختار من الواقع ما يثير الشوق ، وانه فيها لذو خيال قصصى واسع ، لا يعوزه تصور المراحل التى تتدرج فيها الأحداث ، والشخصيات المختارة فى القصص من صميم مجتمعنا المحلى ، عليها سماته ، وفيها خصائصه . والصور الوصفية فيها طرافة ، والأسلوب الكتابى طبيعى لا تكلف فيه ولا غلو ، والأهداف العامة هى ما توحى به المشاهد والشخصيات من تصوير البيئة فى محيطها الشعبى الكبير ، حيث يجرى صراع الظروف والاحوال، ويتجلى الطموح الى حياة أفضل وأرقى .

وخليق ((بالقصة)) أن تهنىء نفسها بما نالته فى شخص الاستاذ ((أبى حديد)) من تقدير ، وفى شخص الاستاذ ((غراب)) من تشجيع ...

م.ت

سارتر ... وجائزته

بقلم محمود تيمور

كان حديث « سارتر » ، خلال الفترة الأخيرة ، يحتل مكان الصدارة فى سائر الأرجاء ، حيثما كان فكر وكان اطلاع .

لقد انطبق عليه فى يومنا الحاضر ما وصف به « المتنبى » فى عصره الخالى ، حين قيل فيه : مالىء الدنيا وشاغل الناس » .

ولم يكن لهج الصحف والأندية بحديث « سارتر » لأنه منح جائزة « نوبل » أسنى الجوائز الفكرية وأغلاها كعبا فى العالم كله فحسب ، بل لأنه كذلك رفض هذه الجائزة ، واستعلى عليها مادة ومعنى !

ولعلنا نحن ، أهل العروبة بخاصة ، وأهل الشرق بعامة ، فى تطلعنا الى الحياة الحرة الكريمة ، واستشرافنا للتعايش السلمى العالمى — أجدر أن نجد فى أنفسنا لصاحبنا « سارتر » من العاطفة والهوى مايرفعه درجات . فهو ممن امتشقوا القلم فى سبيل المثل العليا ، ينافح عن القيم التى تستهدف خير الانسانية قاطبة ، وتطالما نادى بالحرية الشخصية ، وهتف بتحرير الفرد والمجتمع من العبودية ، وطالب بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية ، وقام فى مناسبات شتى مقاوم شريفة من قضايا الشعوب الناهضة التى تناضل من أجل كرامتها ومن أجل حقها فى الوجود .

و« سارتر » فوق ذلك أديب وفيلسوف ، اعتملت فيه نزعة الادب ونزعة الفلسفة معا ، ودار بين النزعتين فى نفسه وعقله صراع ، وقد ظهر أثر هذا الصراع فيما كتب من مسرحيات وقصص ، فانك تراه فى أثنائها يحاول فرض فلســفة ، واثبات نتائج ، وان القارىء ليجوس منها فى أفكار واتجاهات غامضة ، كأنما يجوس بها فى ضباب ، ولكنه فى بعض قصصه يشفق على قرائه ، ويتلطف بهم ، ويفصح لهم ، كما فى قصته « الجدار » التى تعرض حرب التحرير فى « أسبانيا » ، اذ يصور اناسا محكوما عليهم بالموت ، ينتظرون مصيرهم المقدور ، فيصف كلا منهم وصفا رائعا لا يسلس الا لأديب طويل الباع .

والنزعة الادبية عند « سارتر » تتجلى أو فى ما تتجلى فى كتابه الاخير : « الكلمات » ، ذلك الذى آثر فيه البساطة والوضوح ، على غير ما عهد منه ، وجرد فيه قلمه ليكتب تاريخ حياته ، فاذا هو كأنما يخلع شخصيته أمامه ، ويأخذ فى تحليلها كما يحلل شخصية هو عنها غريب . فى هذا الجزء الذى صدر من « كلماته » . يصور نفسه فى زمن الطفولة واليفاعة ، فيحدثك بأنه لم يعرف للأبوة طعما ، وأنه لم ير أباه الا رسما معلقا على جدار ، وانه نشأ فى كنف امه وجده يدللانه ماوسعهما التدليل ، ومع ذلك استطاع ان يبنى له شخصية مستقلة ، فتعلم القراءة بنفسه ، وشغف بالمطالعة ايما شغف ، وسمع من بعض الزوار انه سوف يغدو كاتبا . وقد نجح « سارتر فى اخراج صورة دقيقة لمراحل التطور فى شخصيته الخصبة ، تاركا نفسه على سجيتها فى التصوير والتحليل ، فكشف عن عبقرية اديب له مرقم فنان أصيل .

ولا ريب فى أن فنه الادبى الانسانى فى كتابه « الكلمات » كان فى طليعة الاسباب التى افضت بالحكام « النوابلة » الى تقديمه على منافسيه لجائزة « نوبل » هذا العام ، الى جانب اقرارهم له بأنه طبع العصر بطابعه ، اذ كان لاعماله الغزيرة بالأفكار ، النابضة بروح الحرية ، الباحثة عن جوهر الحقيقة ، اثر عميق في الفكر المعاصر .

على ان « سارتر » وان اثبت قدرته الادبية الفنية ، كان شأنه بين نزعتى الادب والفلسفة كشأن من تتقاسمه نزعتان ، هيهات له ان يعدل بينهما وان حرص ، فلا بد ان تتفوق احداهما وتتملك ، وقد خرج « سارتر » على الناس بفلسفة الوجودية ، وكان هو نموذجا حيا لفلسفته ، بها آمن ، وعلى نهجها سلك ، وبوحيها استهدى ، واليها دعا ، فاحتشد من حوله ومن حولها شيعة واتباع .

وقد شب الجدل فى مذهب « الوجودية » كما يشب فى كل مذهب فكرى جديد له نصيبه من الأصالة ، وهو الى أن يكون منحى فلسفيا فى الحياة ، اقرب منه الى أن يكون مذهبا مستقلا فى الادب .

لباب « الوجودية » ـ كما قلت حين عرضت فى غير هذا المقال « مذاهب الأدب » ـ هو اشباع رغبات النفس ، والتملص من قيود ذلك المجتمع الذى يحمل بعضه تبعات بعض آخرين ، وبذلك يصبح كل امرىء وهواه ، يصنع بيده دنياه ، حتى يكون عنها مسئولا وحده ، لا ينازعه فى مسئوليته أحد .

تحتج الوجودية بأن المرء كان موجودا قبل ان تحدد له وظيفة ، ويناط به عبء ، فوجوده سابق لوظيفته ومهمته ، بل ان وجوده هو الذى يخلق الوظيفة والمهمة ، فلزام أن يكون المرء مسئولا باديء بدء عن تصرفاته وعن علائقه بمن حوله وبما حوله ، وان يكيف هو هذه العلائق والتصرفات طوع وجوده هو ، لا طوع رقابة وتوجيه وسلطان .

تلك الدعوة الوجودية تصارحك بأنك سيد نفسك ، ولك الرأى كل الرأى في الانطلاق فاياك ان تكون لأحد ارادة عليك ، واذكر أنك موجود ، وأن لنفسك عليك حقا ، وما ينبغى لك أن تزدرى ما حبتك الطبيعة به من حق الوجود .

والغاية من دعوة الوجودية هى اعلاء الحرية الفردية الى الأوج ، واطلاقها الى أبعد مدى ، وحصانة النفس من مؤثرات الوراثات والعادات والتقاليد ، وحماية الذات من أن تعترض سبيلها عقبة ، أو يتسرب الى صفاء وجودها كدر .

ولعل الخليفة الفاطمى ((الحاكم بامر الله)) كان يمثل ((الوجودية)) فى التاريخ ، فهو ذلك الفرد الذى شاء أن يكون سيدا مطلقا لا تزاحمه فى السيادة سلطة شعب ، ولا يزعه وازع من قيم الدين والاخلاق والاجتماع . وانه لينصت الى صوته وحده ، ويستوحى وجوده وحده ، ويحارب كل ما يحد من سلطانه ، ومايحول بينه وبين الانتفاع بحريته ، حتى انه ليثور على نفسه حين تنازعه الى المأثور من عواطف الرحمة والاشفاق . وهو يمضى فى تجربته الوجودية المنطلقة ، فيفرض الأوامر الشاذة ، عسى أن يبلغ بها هدفه الذى يتوهمه من نصرة الحق ، واقامة العدل ، ونشر الخير بين الناس .

خطرت فكرة الوجودية المذهبية أول ما خطرت « لهيدجار » فيما يقول بعض النقاد ، ثم نهض بها « سارتر » و « ألبير كامى » ومن اليهما من الادباء ، وانبسط ظلها على انتاج أدبى لقى حظوة من القراء .

تلك هى « الوجودية » كما عرضتها من قبل ، وبقى الحديث فيما صنع فيلسوفها « سارتر » من رفضه لجائزة « نوبل » .

فاى شىء أعطى ((لسارتر)) ؟

لقد أعطى التقدير من هيئة عالمية لها وزنها واعتبارها ، وسواء على الناس أقبل ما أعطى له أم رفض ، فليس المعول فى التقدير أن يتلقاه صاحبه بالرضا أو يأباه ، ولكن مناط الأمر أن هذه الهيئة العالمية الرفيعة قد اعترفت ((لسارتر)) بما له من قيمة أدبية ووزن فكرى ، أو توجت الاعتراف بهذه القيمة وذلك الوزن . وأن هذا التتويج ليعد مزية للحكام النوابلة ، بأنهم أحسنوا الاختيار ، وأنصفوا فى الحكم ، ولا عليهم بعد ذلك أن يقع حكمهم من المحكوم له أو عليه موقع رفض أو قبول .وحسبهم من الأمر أنهم أرادوا الا يحملوا على ضمائرهم من العبء أو من الوزر ما حمله المجمعيون الفرنسيون فى أحد العهود السالفة ،حين فاتهم أن يضموا الى عضوية المجمع علم الادب : ((موليير)) ، فأقاموا له بعد رحيله عن الدنيا نصبا تذكاريا كتبوا عليه : ((لم ينقص مجده شيئا ، ولكن نقص مجدنا)) .... فهؤلاء الحكام النوابلة لم يفقدوا شيئا بما صنع « سارتر » ، لأنهم لم يقدموا له منصبا ، ولم يلقوا عليه تبعة ، ولكنهم قدموا لاهل الفكر تقديرا لرجل من رجالات الفكر ، وهم بعد ذلك بمنأى عن مذمة أو ملام !

وای شیء رفض « سارتر » ؟

انه رفض الجائزة ، ولا يعنى هذا الرفض أنه قد فاته منها شيء ، الا ماوراءها من الغنم المادى المقرر لها ، وهو عرض زائل وان كثر فى العد والحساب ، أما الغنم الادبى أو المعنوى ـ وهو الأثر الباقى على الزمن ـ فقد ناله كاملا ، اذ قدمت له الشهادة ، وتم له اعلان الحكم ، وقضى الامر ، وأصبح هو ـ عى الرغم من رفضه ـ صاحب جائزة « نوبل » لهذا العام ، دون منافسيه من أقطاب المفكرين والادباء .

ولست ادرى : اثمة أثر كان يحدثه قبول « سارتر » للجائزة ، فوق الاثر الذى كان لاعطائه اياها ؟ لعله لو قبلها لما أثار القبول اشكالا ، ولما فتح للتساؤل مجالا ، ولعل الرفض هو الذى جعل موضوع الجائزة ابعد صيتا ، واندى صوتا . ولولا اننا نربا بالاديب الفيلسوف ان يكون قد أراد ذلك عمدا ، لا نفسح الظن للقول بأنه شاء التأثير برفض الجائزة فوق التاثير باعطائها ، أو انه شاء أن يكسب بهذا الاباء معنى التفوق على الجائزة وحكامها وخطابها جميعا ! ...

ولقد تناقلت الصحف عن « سارتر » أن رفضه كان عن اقتناع بأنه لا يقبل مكافآت رسمية تقديرا لأعماله الفكرية ، وكذلك رووا عنه أنه يتجافى عن الجوائز التى يمثل حكامها جبهات ومعسكرات وتيارات فى السياسة العالمية ، حتى لا يفسر قبوله بالانحياز يمنة أو يسرة ، وهو يحرص على الاستقلال ، ويؤثر ان يكون أمينا على شخصيته الفكرية أن تتفرق بها الاتجاهات المتضاربة بل المتذائبة فى عصرنا المشهود .

والحق أن لكل سلوك آدمى دوافع باطنة ، غير ما يبدو من الظواهر السافرة ، ومن هذه الدوافع ما يخفى حتى عن صاحبه عينه ، وقد رفض « شو » فيما مضى جائزة « نوبل » بادىء بدء ، ولما سئل فى ذلك ، أجاب : « وأين كنت من قبل ؟ » . وكأنما عز عليه أن يتقدمه الى نيل الجائزة من يخالهم دونه ، فهل ترى « سارتر » لا يختلف عن « شو » الا فى أن أحدهما عرف سر نفسه فافشاه ، وأن الآخر لم يبده جهرة ، أو لم يكن ذلك السر ظاهرا عنده ؟ أولئك هم الحكام النوابلة أجازوا « ألبير كامى » قبل« سارتر » ، وان « سارتر » لزعيم الوجودية ورائدها ، وما « ألبير كامى » الا طليعة الحواريين فيها ، فهل نقم « سارتر » فى وليجة نفسه على ان يسبق الفرع أصله ؟

وأياما كان الأمر ، فاننا نرجو للقائمين على جائزة « نوبل » أن يستطيعوا اقرار **الثقة بعملهم العظيم ، وأن يلتمسوا أسباب العدالة فى أدق مستوياتها ، حتى تتحصن لجائزتهم نبالتها ، تقضى بها محكمة قيم انسانية أصيلة ، للأدب والفكر ، لا يحمل تقديرها على جنوح الى صراع سياسى أو اقتصادى مرهون بيومه وملابساته ، حتى يكون حكمها مبرءا من كل ظنة ، منزها عن كل شوب ، له من الوزن والاعتبار ما يعلو به على ضباب الخلافات والحزازات ... والشبهات !**

محمود تيمور

المظلة اليابانية

متولى

بقلم : محمود البدوى



وقفت عصر يوم من أيام الصيف فى ميدان « التحرير » ٠٠ انتظر سيارة الساعة السادسة الذاهبة الى الاسكندرية ٠

وكان اليوم قائظا يتنفس بمثل النار الحامية والضغط على سيارات الطريق الصحراوى بلغ أشده والشركة قد أعدت للأمر عدته فسيرت سيارة فى كل نصف ساعة ٠

وما كنت أحب الزحام ٠٠ ولا التدافع بالمناكب على شبابيك التذاكر ٠٠ ولكن لم يكن من السفر بد ٠٠ فوقفت فى الصف ٠

وعثرت بعد شق النفس على تذكرة

زوجية تحمل رقم ٢٤ فى مقعد من المقاعد الخلفية لسيارة من سيارات السهم الذهبى ٠٠ وكان ما يشغلنى أن أعرف الراكب الذى بجوارى فى هذا السفر الطويل ٠ والذى يحمل التذكرة رقم ٢٣ لأنى أكره التدخين ولا أحب أن يجلس بجوارى مدخن يظل يرمى الدخان فى وجهى وخياشيمى ثلاث ساعات كاملة فى هذا اللهيب ٠

ولم أكن فى حالة نفسية تجعلنى أطيق رائحة الدخان ٠٠ اذ كنت على درجة شديدة من التوتر العصبى والغم النفسى جعلتنى أتبرم بكل شىء فهربت من عملى ومن بيتى وأنا أحس بالاختناق٠

وجاءت السيارة أخيرا تتهادى فى الميدان الواسع واندفع اليها الركاب ٠

وكنت آخر من صعد اليها ٠٠ وتحركت فى ممشى العربة ببطء وأنا أتفرس فى الوجوه حتى وجدت جارتى فى السفر ٠٠ وكانت سيدة شابة تضع فى حجرها كتابا ٠٠ وفوقه مظلة يابانية مطوية ٠

ورمقتنى بنظرة سريعة وأنا أجلس فى هدوء بجوارها ٠

ولما تحركت السيارة احسست أن أيام شقائى قد انتهت فى هذه اللحظة واننى بدأت مرحلة جديدة من حياتى ٠

وأخذت أجيل الطرف فى المقاعد التى أمامى وكان بالسيارة ٢٨ راكبا نصفهم من النساء والأطفال ٠

ورأيت من بين الركاب ٠٠ راكبا أعرفه جيدا ويدعى «عبد السميع» وكان يجلس فى الكرسى الذى أمامى مباشرة ٠٠ وهو رجل سمين غليظ العنق بارز الكرش اغبر السحنة وكان قد جمع كل صفات الدناءة التى فى بنى البشر ٠٠ ووضعها فى كرشه ٠ ٠

وكنت قد التقيت بهذا الرجل منذ سبعة أشهر وأنا أرافق صديقا وعروسه ٠٠ وكان قد راقتهما شقة فى عمارة يمتلكها هذا المخلوق فى حى الدقى ودفع له صديقى مائة جنيه هى كل ما أدخره فى حياته ليحجز له شقة وكانت العمارة لم تستكمل بناءها بعد ٠٠ وسلمه المبلغ طبعا من غير ايصال نزولا على ارادته٠٠ وكلما طلب منه صديقى تحرير عقد الايجار ٠٠ يقول له :

ــ لسه لما تخلص العمارة يابنى ٠

ولما اكتمل بناء العمارة ٠٠ قال له :

ــ آسف لقد استأجرتها الحكومة ٠

ولم يرد له المبلغ وانكر أنه تسلمه ٠

وكان كاذبا اذ أجر الشقة لغيره بعد ان أخذ منه ضعف هذا المبلغ ٠

وأحسست بيدى تود ان تخنق هذا الرجل ٠

ولكن وجود جارتى الحسناء بجوارى منعنى من هذه الحركة ٠

وكان الرجال جميعا يدخنون ٠٠ اما النساء فكن يناغين الاطفال ٠

وكانت جارتى الحسناء محولة وجهها الى النافذة ٠٠ ويدها اليمنى تحرك المظلة التى كانت مغلقة دواما ٠٠ وأشفقت عليها من هذه الحركة حتى كنت أود أن أتناول منها المظلة وأضعها على الرف ٠٠ ولكننى خمنت بأنها مظلة صغيرة للزينة ليس الا وفى استبقائها فى يدها مظهر من مظاهر الاناقة ٠

وبدا الحديث بينى وبينها طبيعيا وبمنتهى البساطة وكان بسبب الستارة التى تحجب الشمس اذ كنا فى اتجاهها الغارب ٠٠ وكانت مفصلات الستارة غير سوية فعالجتها لها حتى حجبت الشمس عنها٠٠ وتركنا فرجة صغيرة بين الزجاج

تدفع الينا هواء باردا منعشــــا رطب وجهينا •

وبدأنا بالثناء على السفرفى السيارات المريحة فى الطريق الصحراوى بعيدا عن التراب •

ثم بالحـديث الخفيـف عن وجهتنـا وغرضنا من السفر •

وقلت لها بأنى ذاهب للاســكندرية لتمضية اسبوع استريح فيه من عنـاء عمل الشاق ••

وحدثتنى ان هذه هى أول رحلة لها فى حياتها الى الاسكندرية •

وتلقيت هذا النبأ فى عجب لأنها كما بدت فـوق العشرين من عمرها عصرية ومن طراز متفتح وفى يسر ولا ترهقهـا نفقات السفر •

وزال العجب • لما عرفتنى بأنها يتيمة الأب وانها تعول وتلازم أمها المريضة •

وأخذ العشى يلفنا فى شملته •

وفى خلال حديثنا ونظراتنــا عبر الصحراء التى أخذت تدخل فى الظلمة •• تنبهنا على حركة من السائق بدت غير طبيعية •• اذ انحرف الى يمـين الطريق ثم توقف فجاة ••

وأصابنا الذعر اذ تصورنا خللا طرأ على المحرك •

وتقدم اليه أحد الركاب فى المقـاعد الامامية وأخذ يحادثه لحظات •• ثم نزل الاثنان معا الى المحرك •

وعرفنا ان السائق عندما بدأ يعالج النور لما خيم الظلام وجده معطلا تماما فآثر السلامة بالتــوقف •• حتى تمر سيارة من سيارات الشركة فيبلغهـا الامر •• والشركة ســتعالج الموقف بارسال سيارة أخرى للركاب •

وأصابنا الكرب الذى يصيب كلمن تتعطل به سيارة •

وفجاة لمحنا بطــارية فى يد الراكب الذى نزع مع السائق ويد تتحرك على نورها الضعيف وتعالج الاسلاك •

وفى أقل من نصف ســاعة • أضاء نور السيارة وشق قلب الصحراء •

وكدنا من الفرحة ان نعانق الرجـل الذى أصلح الخلل •• وهو صاعد بهدوء اذ تحرك الركاب جميعا نحوه ليروه عن قرب •• ولما اقترب منى عرفته •• اذ كان « صلاح » من معارفى وانقطعت عنى أخباره منذ عشرين سنة •

وكان مهندسا كهربائيا فى‌حى شعبى ويقوم بالاعمال الكهربائيـــة فى معظم العمارات التى تنشأ حديثا وكان شهيرا بشىء تخصص له وبرع فيه •• اذ كان يقوم باعداد الزينات الكهربائيـــة فى الافراح •

ويقوم بعمل شيطانى خارق اذ يوقف العداد الذى يسحب منه نور الفرح دون ان يلاحـظ ذلك أحد حتى دوخ شركة ليبون بحيله وبراعته •

وكان يبتسم ويقول لى معللا فعلته :

ـ اننى أفعل هـذا للفقراء والشركة غنية وجشعة تاخذ ولا تعطى الا القليل فمن العدل ان أقيم الميزان بالقسط !••

وكان مرحا ضاحك السن طلق المحيا أبدا وفى خلال عشرتى الطويلة لم أره مستاء من أى شىء أبدا •

ولم يكن يتقاضى من أصحاب الافراح عن هذا العمل الا أجرا زهيدا •

وكان‌بارعا فى صنعته‌كمقاول للاعمال الكهربائية •

وكان أعزب وشغوفا بالنساء ولاأدرى حاله الساعة بعد مرور هذه السنين •

وعرفنى وأنا اقترب منه فأسرعت اليه وعانقته •

وقلت له :

ـ اهلا ٠٠ سألقاك فى الاستراحة ٠ يا صلاح ٠

اذ لم يكن فى العربة مجال للحديث وعدت الى مكانى بجوار الآنسة سعاد وسألتنى :

ـ هو الذى اصلح النور ؟ ٠٠

ـ أجل ٠

ـ يفعل ما عجز عنه السائق انه بارع

ـ أبرع الناس طرا ٠٠ لم أجد له فى حياتى ضريبا ٠

ـ صحيح فى الظلام وعلى ضوء بطارية خفيفة يفعل هذا ٠٠ انه بارع حقا ٠

وأخذت احدثها عنه فضحكت لما علمت من أحواله وبعض سجاياه ٠

ولما بلغنا الاستراحة جلس معنا « صلاح » فى الشرفة وأخذنا نأكل البطيخ ٠٠ وحدثنى عن بنسيون سينزل فيه واختاره لى ٠٠ فوعدته أن أنزل فيه اكراما لصحبته وأخذ يقص علينا نوادره وأحواله حتى أثلج قلوبنا ٠

ولاحظت أنه لم يتغير فيه شىء قط٠٠ فما ظهرت عليه أقل عوارض الشيخوخة مع انه يقترب من الستين ٠٠ ولا قلل من مرحه ونوادره ٠

وقضينا معه ربع ساعة هنية ٠٠ وكانت سعاد مسرورة بلقائه لمرحه الزائد وعذوبة حديثه ٠

وتحركت السيارة واخذت تنهب الأرض الى الاسكندرية ٠٠ وشعرت ان الالفة قد زادت بينى وبين سعاد الى الحد الذى أشعرنى بالخوف ٠٠ اذ أن السرعة ستقلل من زمن سعادتى وتمنيت ان تسير السيارة أبطأ وأبطأ حتى تبلغ الاسكندرية فى الصباح وكنت أخشى أكثر من كل شىء أن نفترق ٠٠ فى محطة الرمل ٠٠ ولا أراها بعد ذلك أبدا ٠٠ وكنت أود أن تخب بنا السيارة خببا فى هذا الطريق السوى ٠٠ حتى نصل فى منتصف الليل ٠

وقبل ان نبلغ العامرية رأيت منطقة التعمير الجديدة وزراعة البطيخ والخضر على الجانبين وشاهدت بيوتا جديدة أقيمت للفلاحين والعاملين فى المنطقة٠٠ وشعرت بفرحة ٠٠ وتملكنى احساس من الزهو لم استطع دفعه ولا اخفاءه عن جارتى ٠

وكان لها مثل شعورى ٠٠ فالارض الموات قد أحييت فى مدى سنين قلائل واهتزت تربتها وجرى عليها الماء الذى جعل كل شىء حيا ٠

ولقد كانت السيارة فيما مضى ٠٠ تسير فى تيه قفر من الصحراء الموحشة فاصبحنا اليوم نمشى بين صفين من الخضرة ٠٠ وأوراق الزرع الناضرة تمايلها الريح ٠

وغمر ركاب السيارة جميعا موجة من النشاط لما بصروا بالفلاحين من حولهم يعملون ٠٠ والأرض نبتت فيها الحياة٠

وسألتنى سعاد :

ـ هل سافرت فى هذا الطريق من قبل ٠٠ ورأيت هذا التحول ؟ ٠٠

ـ الواقع ٠٠ اننى لم أسافر فيه ٠٠ منذ سنين ٠٠ ولم أر هذه الخضرة الجميلة الا الآن ٠

انظرى كيف يصنع الانسان ٠٠ اذا أراد ٠٠ تغلب على الطبيعة ٠٠ وقلب الصحراء الى جنة ٠

ـ صحيح انها جنة ٠

ـ كم انا مشوق ٠٠ الى تمضية نهار بطوله هنا ٠٠ وسط هؤلاء الناس ٠٠ وما أجمل ليل الصحراء ٠٠ اذا جمع بين الخضرة الناضرة والجمال الفاتن ٠

ـ ان اعصاب سكان المدن ٠٠ فى حاجة الى مثل هذا الهدوء ٠

وكان هذا ما اتوق اليه وأود ان احققه لنفسى ·· كنت فى حاجة شديدة الى تمضية شهر كامل فى الصحراء حيث لازعيق ولا ضجيج ·· ولا أصوات البوق ·· ولا هزة القطارات ولا التدافع بالمناكب فى ركوب السيارات والنزول منها ولا الانتظار بالساعات على المحطات ·· ولا التناحر والتنافس للحصول على شىء ·

كنت فى حاجة لان اعيش فترة طويلة عيشة صوفية لاسترد روحى ·· التى احسست بأنها ذهبت ·

ونظرت الى جارتى وكانت قد اغلقت عينيها نصف اغماضة ·· عندما مالت السيارة الى اليمين متخذة طريق البحيرات الى المدينة ·

كانت اغفاءة حالمة ·· وكان وجهها جميل التقاطيع ناصع البياض ·· وعلى خدها الايمن شامة صغيرة ·· وعلى شفتها العليا دملة اخفتها بمنديلها وهى نائمة لما احست بنظرى يميل اليها ·

وكانت قد عقصت شعرها بايشارب أزرق خشية أن تنكشه الريح ·· وبدا شعرها جميلا لامعا شديد السواد ·

وكان حاجباها مقرونين غزيرين ·· ولكنها زججتهما ·· وعملت فى اهدابها الطويلة « بالرميل » حتى القى الحاجبان ظلا ضعيفا على الخد الناعس ·

وكنت بكليتى منجذبا اليها وشاعرا بقوة شديدة تشدنى الى جوارها ·· ولكن فارق السن الكبير بينى وبينها جعلنى اخفى مشاعرى عنها وأتراجع فرسخا اذا ماتقدمت خطوة ·

ولقد التقيت فى حياتى بنساء فى مثل جمالها وفى مثل شبابها ولكن عينى لم تقعا على مثل هذه الرقة قط كان حديثها همسا ·· وخجلها هو خجل العذراء التى لم تزيفها المدنية ·· ابدا ·

وعلمت منها بعد حديث طويل ·· وبعد ان تفتحت نفسانا وأحس كل منا بالالفة لرفيقه ·· أنها ذاهبة الى الاسكندرية لزيارة خالتها التى تسكن فى حى محرم بك ·· وانها تخشى الا ينتظرها احد عند محطة الرمل ·· فلا تهتدى الى البيت ·· لانها تجهل أحياء الاسكندرية تماما ·· وهونت عليها الامر ·· وقلت لها وقلبى مفعم بالسرور ·· اننى على استعداد لمرافقتها حتى عتبة البيت ·· واننى اعرف الاسكندرية جيدا لاننى عشت فيها سنوات طويلة ·· واطمانت تماما وسكن روعها وقلقها ·

ولما اقتربنا من حدود المدينة لاحت الانوار تتلألأ ·· وبدت حركة بين الركاب تدل على انهم اقتربوا من نهاية رحلتهم اذ تحركوا فى كراسيهم ·· واخذ بعضهم يتطلع من النوافذ ·

ودخلت السيارة المدينة ·· واقتربنا من حى الشاطبى ·· وهناك مالت السيارة الى اليسار واخذت طريقها على الكورنيش ·· وبدا البحر يزمجر ويدفع موجه الشديد الى الشاطىء ·· والزبد يرغى ·· وسرت الآنسة سعاد ·· بمنظره وشاقها جدا حتى أخذت تتطلع فى استغراق ·· واخذتها هزة من السرور ·· فاقتربت منى دون وعى منها حتى ضغط كتفها على كتفى ·

كانت نشوانه وفى حالة من الغبطة هزت جسمها وأوتار قلبها فعبرت عنها وهى لاتدرى بتلك الحركة ·

وقد أدركت من اقترابها منى انها تلوذ بى وتلمسنى بكتفها لادرك معنى سعادتها ·

ودارت السيارة فى محطة الرمل ·

وتوقفت فى المحطة النهائية ٠٠ وأخذ الركاب ينزلون وسلمت على صاحبى « صلاح » ووعدته بأن ألحق به فى البنسيون ٠

وكان مع الآنسة سعاد حقيبة واحدة متوسطة الحجم ٠٠ وكان معى مثلها ولكنها اصغر من حقيبتها ٠٠ وأشارت ان نركب ترام الرمل لنوفر المصاريف٠٠ ولكننى اركبتها تاكسى لننفرد لحظات قليلة قبل ان نفترق ٠

وانطلقنا متمهلين فى شوارع الاسكندرية ٠٠ وكان التاكسى متهالكا وبطيئا فسرنى ذلك لتطول مدة وجودنا معا ٠ واحسست فى ضوء العربة الشاحب وانا اشعر بها بجوارى فى هذا المكان الصغير ٠٠ اننى احببتها من كل قلبى ٠٠ وحبا عنيفا هزنى فى ساعات قليلة ٠٠ وكنت أشعر بالخجل الشديد لفارق السن الكبير بينى وبينها ٠

وكانت هى تحس نحوى بعاطفة من الايناس والالفة ٠٠ وان لم ترق الى مرتبة الحب ٠٠ ولكنها كانت أقرب الى الركون الى انسان تستريح له ويحميك وانت وحيد فى مدينة كبيرة وبهذا الشعور اقتربت منى وزاد التصاقها بى ٠

وكلما اقتربنا من الحى الذى تسكن فيه خالتها كلما ازداد شعورى بفراقها وشعرت بآلامى ٠ فقلت لها وقلبى كله لوعة :

ـ الا أراك مرة أخرى ٠٠ ؟

ـ أين ؟٠٠ أنا لا أعرف الاسكندرية

فكرت سريعا فى مكان هادىء ثم قلت على الفور :

ـ فى كازينو رشدى ٠

ـ رشدى ٠٠ ؟ لا أعرفه ٠

ـ اركبى السيارة العمومية ٠٠ من طريق البحر واطلبى من السائق ان ينزلك فى محطة رشدى ٠٠ المسألة سهلة ٠

ـ سأحاول ٠

ـ هل يمكن ان نتلاقى غدا ؟ ٠٠

ـ كما تحب ٠

ـ سأنتظرك فى الصباح الساعة الحادية عشرة ٠

ـ هل أستطيع أن آخذ حماما هناك ؟

ـ انه شاطىء جميل ٠٠ طبعا يمكنك ٠٠ « بس » البسى المايوه ٠٠ وانتى خارجة ٠

ـ انا مشوقة الى البحر جدا جدا ٠

واحمر وجهها ٠

ـ ستمضين صباحا ممتعا ٠٠ تعالى ضرورى ٠

ـ جايه والله ٠

وقرعت باب بيت خالتها ٠

وسلمت ودخلت ٠

وانتظرتها فى كازينو رشدى قبل الميعاد بساعة ٠٠ وجاءت رشيقة باسمة ٠٠ وكانت قد غيرت ثوب الأمس وارتدت جونلة رماية وبلوزة بيضاء ٠٠ وفى جيدها عقد من تقليد الزمرد زادها فتنة٠

وكان الكازينو غير مزدحم فى هذه الساعة فجلسنا على طاولة صغيرة بجانب البحر ٠٠ وأخذ المستحمون يفدون على الشاطىء ويقيمون الشماسى على صف واحد ٠

وكان البحر ثائرا والراية السوداء مرفوعة ٠٠ ومع ذلك نزل بعض الاطفال الى الماء وأخذوا يطرطشون على الشاطىء ٠٠ ويخوضون الى صدورهم فى الماء٠٠ وامهاتهم يرقبنهم فى يقظة ٠

وظهر لعينى ان اللواتى لم يخلعن ملابسهن بعد أجمل من اللواتى لبسن المايوه ٠٠ وأشد اثارة ٠

وبدت الفتنة منطلقة ممن رفعن ذيول

بمايوهاتهن وهن يدفعن اطفالهن الى الماء .. فبدت السيقان الجميلة فى لون المرمر ونعومته .. وطرف من باطن الفخذ وما يعلو الركبة ..

وكان الانفعال والحركة نفسها فى الماء تزيد من جمال الصورة وعلى الأخص اذا قاوم الطفل دفع الأم أو تعلق بصدرها.

وتعلقت عيناى مع عينى سعاد .. بشاب وفتاة متقاربين فى السن .. يحاولان النزول ثم يترددان لثورة الماء .. واخيرا تنزل الفتاة ويتبعها الشاب .. وعلى صفارة الغطاس يعودان وقد انهكهما التعب .. وتفتحت خياشيمهما مع انهما لم يسبحا الا بضعة امتار قليلة .

وقالت سعاد لما رأت ثورة البحر :

ـ تصور انني كنت أود أن البس المايوه اليوم .. لاستحم .

ـ غدا سيهدأ البحر .

ـ آمل ذلك والا ستضيع منى الفرصة .. لانى مسافرة يوم الثلاثاء .

ـ اذا لم يهدأ البحر غدا .. سنذهب الى بلاج العجمى وتستحمين هناك .. فهو هادىء فى معظم الاحيان .

ـ على أى حال لابد أن استحم غدا .. لانى مشوقة الى البحر .. مشوقة جدا

وكانت تتكلم بحماسة .. وهى تقرب وجهها وعينيها منى .. فرأيت السواد الجميل يلتمع فى العينين العسليتين .. والشفة وقد علاها الرضاب .

وكان البحر يهدر من حولنا حتى بدا عالى الموج .. والمصيفون أخذوا يتوافدون ويجلسون على الطاولات التى بجوارنا ولكننا لم نشعر بوجودهم اصلا .. كنت مأخوذا بسحر جمالها .. وسحر حديثها .. وكنت افكر فى الاقدار التى وضعت هذه الفتاة بجانبى فى السيارة .. وانا فى حالة حزن .. لتمسح على احزان قلبى .. وتضىء الحياة امام عينى .. كان كل ما يحيط بى وهى بقربى جميلا .. تغيرت نظرتى لكل شىء .. فالشمس متفتحة ساطعة والبحر أزرق والسماء أشد زرقة .. والبواخر تتهادى هناك فى عرض الماء وزوارق الصيادين قد طوت أشرعتها .. وألقت شباكها .

وسألتنى وهى تراقب البواخر :

ـ هل ركبت البحر .. ؟

ـ اكثر من مرة .

ـ السفر فى البحر ممتع .. ؟

ـ انه من أجمل الاسفار طرا .. ينتابك احساس آخر وانت فى قلب البحر تحسين والسماء فوقك ولا أرض هناك .. ولا حيوان .. ولا نبات .. باحساس جديد .. تحسين بالحرية التى تفتقدها على الأرض .. تحسين ان الدنيا أصبحت لك فى لحظات حالمة ـ احساس المسافر الى القمر .

ـ اجل .. ولكن دون خوف .

وأخذنا فى حديث ممتع حتى اقتربت الساعة من الواحدة بعد الظهر .. فنهضنا وأخذنا نتمشى على الكورنيش .. وعرضت عليها بأن نتغدى معا وجبة سمك خفيفة فاعتذرت بأن خالتها أعدت لها الغداء . واتفقنا على أن نتعشى معا .

وركبنا الاتوبيس ورافقتها الى قرب بيت خالتها .

وفى الليل انتظرتها فى « اثنيوس » .. وجلسنا بجانب فرقة الموسيقى .. ولكن لما بدأ الرقص فى « البست » رأينا وجوها ليس فيها جمال ترقص دون فن .. فتحولنا عن الراقصين .. ثم خرجنا الى مقهى باستوريدس على البحر .. فقضينا جلسة شعرية حالمة

فى الضوء الخافت الذى يحرك المشاعر الهاجعة •

ثم تمشينا الى « الاجلون » وتعشينا هناك لحما مقددا ومكرونة وشربنا القهوة •

وبعد العشاء مشينا والبحر يهدر •• وكانت الانوار ساطعة فى « اللسان » •• وفى حى « رأس التين » •

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والليل ساكنا •• والبحر فى اجمل مناظره •• كان يلفه ضباب اسود أشاع السحر الجهم المجهول فى الافق الضبابى •

كنا نسير الهوينا نستمع الى وقع اقدامنا فى الليل الحالم •• وكانت قد تركت يدها فى يدى فشعرت بها ندية حارة •• وكنت انظر الى عينيها الدعجاوين الحالمتين وسوالف شعرها•• يداعبها ريح البحر وهى تدفعها بيدها الرخصة واقرا السرور والجذل الحالم فى القد المشوق المتفجر •• والعينين الناعستين •• فاسر وأشعر بانتفاضة تسرى فى لحمى واليــاف قلبى •• ثم تجدنى فى نفس اللحظة أجد شيئا فى نفسى يهجس بى « ويذكرنى بفارق السن الكبير بينى وبينها •• واحس بضباب يغشينى وبشيء يقبض على قلبى••كانت لاتتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها •• وكان عمرى ضعف عمرها •• وكان هذا الفارق •• يجعلنى أتردد ولا اندفع •• ولكنى كنت احس بصدق عواطفها •• فلم تكن متكلفة ولا كاذبة فى اندفاعها نحوى •

وقد أحسست باللحظة الجميلة •• وكنت لا أود ان أشوههـا بأى خاطر متشائم •

ولما تركتها قرب باب خالتها •• كان نصف الليل يقترب •• ورجعت وحدى وأنا احس بلوعة الفراق •• مع انى ساقابلها فى الصباح •

واستجاب البحر لقلبينا فى اليوم التالى فكان هادئا •• لينا •• وكانت ترتدى المايوه تحت ملابسها فنزلنا الى الشاطىء •• وجئنا بكرسيين من الكازينو •• وخلعت ملابسها بالقرب من شمسية كانت خالية ••وانطلقت تجرى الى البحر وهى نشوانة وفى غمرة من السعادة الدافقة •

ورايت جسمها أمامى عاريا •• فى تقاطيع جسم فينوس وفى مثل جماله•• وشعرت بهزة شديدة •

وأحسست بلسعة حارقة وانا أرى جسمها المشوق الثائر الفائر بالفتنة امامى عاريا فى ضوء الشمس••

وكان من مستلزمات الحمام البحرى •• ان تجلس ساعة بالمايوه على الشاطىء قبل ان تنزل الى الماء حتى لا تصيبها الرعشة والبرد •

وجلست بجوارى مسترخية وهى فى كل مفاتنها •• وكانت تاتى بحركات عفوية بريئة وبدلا من أن تخمد نارى كانت تزيدها لهيبا •

وكنت أخفى انفعالى وازدياد ضربات قلبى واحمرار وجهى •• بالتحول عنها والتخطيط فى الرمال •

ورأيت أن افتح حديثا عن مشكلة اقتصادية جافة وأرى رأيها فيها كمجرد الكلام العابر •• ولكن هذه الحيلة لم تنفع وظهر التكلف والكظم على معارفى وتخلصنا من ذلك بالحديث عن موديل المايوهات منذ سنة ١٩٢٥ •

ولما نزلت الى البحر تبينت انها تجيد السباحة وكنت أود ان اغطس وراءها

وأسفت لكونى لم اعد نفسى لحمـــام البحر .

وخرجت والماء يقطر كحبات البلور من فوق جسم كالمرمر وذهبت الى الدش ثم عادت .. متدثرة بالفوطة واخــذت تمسح على سيقانها وفخذيها .. ورأيت قدميها الصغيرين بأصابعها الدقيقـــة لاول مرة وهى تمدها عارية أمامى ثانية الركبة .

وأستطيع أن ارسم هذا الجمال كما رأيته بكل تفاصيله الدقيقة بعد ساعة وبعد عشرين سنة دون أن أخفى منـه شيئا .. فقد استقرت الصـــورة بكل تفاصيلها الدقيقة كاملة فى ذهنى ..

وودعتها بعد ان تغدينا .. ومضينا العصر كله معا .. وكانت راجعـــة الى القاهرة فى سيارة الساعة السادســـة مساء .

واخترت لها آخر سيارة لنقضى اكبر وقت معا .. واحسست وأنا اسير وحدى فى محطة الرمل بان ســكينا حادة قد انغرست فى قلبى .. فقد شعرت ان شيئا عزيزا قد اختطف منى فجأة دون تمهيد لذلك .. وخشيت الا أراها مرة أخرى .. مرت كالطيف دون أن احظى منها حتى بقبلة أو ضمة .

ولقد كتمت كل عواطف قلبى ومزقت مشاعرى وحواسى لمجرد حماقة السن .

وادركت الآن ان هذا كله حماقة ولقد اسفت عليه بجدع الانف ولــكن ماذا يجدى الأسف .

واحسست بالضياع وأنا اسير وحدى .. على الكورنيش .. وكانت الشمس قد اصفرت واخذت أشعتها الغــاربة تذهب صــفحة الماء وتحيلها الى لون العسجد .. وكان المنظر جميلا ولــكن عينى كانا يغشيهما الحزن بلون اســود ضارب .. فلم أر ماحولى من جمال .

وانسحبت الى مقهى صغير معتم فى داخل البلد فى شارع « النبى دانيال » وطلبت فنجالا من القهوة .. ثم فنجالا آخر بعد نصف الساعة وبعدان احسست بالصداع يضرب فى صدغى بمطارق من حديد .

وفى الليل انسحبت الى البنسيون ولكن لم يؤتنى النوم وكانت الســاعة وقد تجاوزت العاشرة .. ورأيت صلاح المهندس الكهربائى يضحك مع صـاحبة البنســيون وكانت .. امرأة نصف ولكنها لاتزال غندورة .. ومن نظرات عينيه الى فهمت انه نال منها كل مايشتهيه .. وكان على حاله من المرح ولكنها لم تؤثر فى ودخلت غرفتى مستاذنا .. ثم بعد قليل وجدت نفسى اخرج الى الطريق بنفس الملابس .

ووجدت حانة على طريق الكورنيش فى حى « الازاريطة » فاتخذت مكانى فى الداخل الى طاولة ترى البحر .. وطلبت كأسا من البراندى وكنت قد انقطعت عن شرب الخمر منذ خمس سنوات .. ولكن فى هذه اللحظة لم استطع المقاومة .. وتناولت ثلاثة كؤوس فى فترة وجيزة .. ونظرى يسبح وفكرى شارد وكان البحر امامى يهدر ..وفى داخل المشرب جلس نفر من المصــيفين يتعشـــون ويشربون فى سكون .. ورأيت فى الركن شابا نحيلا يشرب وحيدا وقد احمرت عيناه من فعل الخمر .. وكان صامتـــا اخرس وسترته ممزقة عند الكوع وحالته تدعو الى الاشفاق والرثاء .

كانت حالته حال سكير ضـــائع .. وخشيت ان تماديت فى الشراب أن أصل الى مثل حاله .. فكففت عن الشراب وبارحت الحانة .

وفى هذه اللحظة لمحت سيدة حسناء غاية فى الاناقة تعبر طريق الكورنيش ومشت فى الدرب الصغير المعتم الذى على ناصية الحانة • ودخلت فى شارع جانبى فسرت وراءها والخمر تدفعنى الى ملاحقتها فى طراد عجيب حتى دخلت بيتا من أربعة طوابق •• وغابت عنى •• ووقفت حائرا •• وأخذت أتراجع خطوات فى الشارع الساكن •• وانا اقرأ أرقام المنازل حتى لمحت لافتة تشير الى غرفة مفروشة ثم سيدة تهم باغلاق نافذة ارضية فاخذت أنظر اليها بقوة كانني التمس منها العون على اخراجى من كآبتى •

وسألتها فى عجلة :

ـ الغرفة المفروشة •• هنا •• ؟

ـ أجل •••

ـ هل أستطيع أن أراها •••

ـ الآن ••• بالليل •• ؟!!

ـ تعبت من البحث طول النهار حتى حفيت قدماى •• أرجوك •••

ـ طيب تفضل •

ونفذت بسرعة من باب العمارة ••• وفتحت لى بابها •

ودخلت وراءها وأغلقت الباب بخفة وسرعة •• ولاحظت السكون المخيم فى الداخل •• والنور الخافت •• وأخذت عيناى تتطلعان الى ماحولى •• وأجلستنى •• برشاقة فى الصالون وتركتنى •

وجلست وحيدا وأنا أشـــعر بهزة الخوف من فرط السكون المخيم لولا ان السيدة كانت فى جمـال نادر ودماثة وأخذت تبدد الخوف وتشيع الطمأنينـة فى قلبى •

ودخلت بابتسامة على الشفة وزجاجة كوكاكولا فى اليد •

فقلت وأنا اتناول منها الزجاجة •• وأضعها جانبا :

ـ شكرا ولكن اذا كان لابد من التحية •• فأنا افضل القهوة •• لانى اشـعر بصداع شديد ••

ـ هل شربت ؟

ـ كثيرا •• حتى سكرت •

ـ لماذا •• ؟

ـ لانى فقدت شيئا عزيزا •

ـ ضاعت محفظتك ؟

ـ المحفظة لاتزال فى جيبى •

ـ لماذا تحـــزن وتبتئس اذن •• ؟ بالنقود تستطيع ان تفعل وتشترى كل شىء حتى السرور •

ـ ليس الى هذا الحد •

ـ بل واكثر من ذلك •

وكنت اتطلع الى صورة مقلوبة فى صدر الصالون •

ـ لمن هذه الصورة ؟

ـ انه المرحوم زوجى •

ـ زوجك ولماذا جعـلت وجهـه الى الحائط ؟

ـ حتى لا يرى عرضه المثلوم ••• !

وفتحت فمى دهشا •

واستطردت بحرارة :

ـ لقد قلبت الصورة منـــذ ست سنوات عندما جاءنى أعز صديق لزوجى

وفى الشهر الذى مات فيه زوجى يراودنى عن نفسى بمكر ونذالة ..ولم اكن اتصور النذالة تبلغ هذا الحد بالرجال .

فبصقت على وجهه وصفعته .

ودمعت عيناها .. واستطردت :

ــ ولكن الفقر اذلنى .. لم اجد انسانا ذا مروءة .. يحفظ الشرف والكرامة لأرملة مسكينة .. تكاد تموت جوعا .. ولاحقتنى الديون والمطالبات كانما تفتحت ابواب جهنم مرة واحدة لتحرقنى بنارها .. وجاء النذل مرة أخرى وعلى شفتيه ابتسامة المنتصر الذى يريد ان ينتقم ودفع الديون وقلب صورة صديقه العزيز بيده .. جعل وجهها الى الحائط وابتاعنى .

ــ وهل كل الرجال انذال مثل هذا ؟

ــ ليس كلهم طبعا .. فهناك الطيبون امثالك .. !

وكان فى صوتها رنة التهكم .

ــ تعال اريك الغرفة .

ومشيت وراءها فى الداخل ..وفتحت بابا .

ــ هل اعجبتك ؟

ــ انها جميلة جدا .

ــ وهل تريد ان تسكن حقا .. ام ان .. تقضى ليلة .. ؟

ــ أريدها شهرا بطوله .

ــ سيكلفك ذلك كثيرا .

ــ كم .. ؟

ــ تسعون جنيها .. ثلاثة جنيهات فى الليلة .

وابتسمت واخرجت محفظتى .

ــ اتريدين شيئا مقدما .. الآن .

ــ لا .. ليس الآن .. ادفع فى الصباح .. انت غنى ؟

وقالت برقة :

ــ هل تريد أن تأكل شيئا أو تشرب قليلا من الخمر .

ــ لا بأس مادمت سأقضى الليل معك .

وانسابت بخفة .

وسمعت بابا داخليا يفتح .. وصوت رجل فى صوت كالهمس ..ثم خيم السكون من جديد ..

وعادت تحمل زجاجة من الخمر ... وبعض السمك المشوى .

ــ مع من كنت تتحدثين .. ؟

ــ مع البواب .. كنت أطلب منه شيئا من السوق .

ــ وهل يعرف ان عندك ضيفا .. ؟

ــ طبعا لا .. اطمئن .

وكانت فاتنة فى ثوبها الأسود .. ولا تتجاوز الثلاثين من عمرها ..ورأيت على وجهها بعض الهموم .. والسهوم.. وهى تنظر الى الكأس .. ثم عادت الى صفائها .. ولطفها ولم استطع مقاومة الفتنة فاحتضنتها .. فتملصت منى برقة وهى تقول بنغم عذب :

ــ ألا تستطيع أن تضبط عواطفك ؟

ــ ابدا اننى متيم .. الى حد الجنون .

ــ بمثل هذه السرعة .. ؟

ــ وهل للحب مقياس وأزمنة ؟

ــ ابدا .. عندك حق .

ــ وانزلق ثوبها وهى تطفىء النور. وسألتنى بعذوبة :

ــ ما اسمك .. ؟

ــ خليل .

ــ وانا اسمى فوزية ..

ــ اسم جميل .

وسبحت معها فى الظلام وكنت احس بانفاسها ورائحة عطرها .. وكانت قد

تعطرت ونفشت شعرها .. وتركت قميصها الاسود ينزلق عن فخذيها وكتفها الايسر.. واحسست وانا ارطب شفتى المحترقتين برضاب ثغرها بانها تكتم الما ممضا يسحق روحها .. ولكن كانت تروح فى دوامة الحس المخدر لتنسى حدثا جللا .

كما احسست وأنا احتضنها بقوة .. بأنى اتعذب وان البؤس والعذاب والقلق يمزق روحى .

وأحسست بنشوة الصبا وانا ارى روحها الحانية المعذبة .. بمثل عذابى تستجيب لى وتمتزج بى .

وفى الضوء الخفيف الازرق سبحت.. وأحسست بالنعاس يداعب اجفانى .

ولما استيقظت احسست بثقل غريب وفى عينى وفى رأسى .. ولم اجدها بجوارى ..

ولما خرجت من الغرفة وجدتها فى الحمام .

وكانت الشقة فى عتمة رهيبة ..

وصوت البحر يهدر فى جنون .

ولمحت على الضوء الباهت شيئا معلقا فى غرفة جانبية .. فارتعش قلبى .. لمحت مظلة يابانية كالتى كانت فى يد سعاد .

فتقدمت بقوة .. ودخلت الغرفة وفى رأسى الحزن .. نفس اليد .. لنفس المظلة .. وأمسكت المظلة .. كانت من نفس الصنف .. ولكن القماش يختلف لونه .. فسررت .. وفيما انا اضعها فى مكانها وجدت بابا يفضى الى غرفة داخلية فدفعته فلان تحت يدى .

وعلى الضوء الخافت وجدت رجلا مطروحا على الارض وكانهناك دم يخرج من أنفه وفمه .. ولما اقتربت منه عرفته انه عبد السميع الغنى الجشع صاحب العمارة الذى كان معنافىالسيارة والذى ابتز مال صديقى وغيره من الحائرين الذين يرغبون فى السكن فى املاكه ولعله جاء يقضىمعها ليلةفخنقته وسلبته كل ماممعه . وكان يرتدى نفس بدلته التى رأيته بها فى السيارة .. ونسيت مافعله بصاحبى وحزنت على مصرعه وارتعش قلبى من الرعب .. وانتابنى الفزع واغلقت الباب بسرعة .

وارتديت ملابسى وانا ارتعش .. وانسحبت متلصصا .. الى الشارع .. وانا فى حالة رعب شديد .

وكان الليل يصفر .. والريحتولول .. ولكنى رحت اجرى واجرى فى ظلام الليل دون وعى .. حتى ارتطمت بشىء .. ووقعت على الارض فاقد الوعى .

وأخذت استفيق ببطء وكان اثرالمخدر لايزال فى رأسى .. فثقلت جفونى وفتحت عينى بصعوبة .. كان الضباب لايزال يغشيهما .. ووجدت كل ماحولى أبيض الحجرة .. والفراش وحتى الكراسى .

ووجدت سيدة تجلس بجوارى وكانت شابة جميلة تمسك بمظلة يابانية فى يدها ..ولكنها لم تكنمطوية هذه المرة .. كانت قد فتحتها فوقرأسى لتقينى من الشمس .. أو من شىء آخر .. وكانت تنظر الى بحنان وانا اتنفس بصعوبة وأسح عرقا .

وكنت افتح عينى بقوة لاعرف أى المرأتين هى .. أسعاد أم فوزية .. فقد كنت على حالة من الضعف .

لم استطع منها ان ادرك الحقيقة .

ولكن على أى حال كانت السيدة تحرك المظلة بلطف كانها تروح بها على قلبى .

السنيورا كيارا

لاناتول فرانس

ترجمة احمد شكري طوب صقال

الأستاذ جياكومو تدسكى النابلى ، طبيب معروف فى المدينة ، يسكن ، قرب كنيسة العذراء المتوجة ، منزلا طيب الريح فواحا ، تختلف اليه كل صنوف الناس ، ولاسيما العذارى الفواتن اللاتى يزاولن بيع حصائد البحر فى سانتا لوتشيا . انه يبيع العقاقير لكل الأمراض ، ولا يستنكف أن يخلع لك سنا ناخرة . وانه يحذق لأم الجراح فى جلود الشاغبين غداة كل مهرجان ، ويعرف ، الى ذلك ، كيف يتكلم لهجة أهل الشواطىء المطوطة ، ويبث فيها بعض اللاتينية المدرسية ، ليشعر مرضاه الثقة به وهم رقود على ذلك الكرسى الممدود لايضارعه فى طوله وذبذبته وصريره واتساخه كرسى سواه فى اى مرفأ من مرافىء العالم . انه رجل صغير الجرم ، مفعم الوجه ، له عينان صغيرتان خضراوان وأنف يتدلى على فم رقيق الشفتين . أما كتفاه المستديرتان وبطنه الكروى البارز وساقاه الدقيقتان ، فانهما تذكرنا بهزيلات العصور المنصرمة .

تزوج جياكومو ، بعد أن اكتهل ، كيارامامى الشابة ، ابنة رجل قضى فترة من حياته سجينا ، الا أن أهل نابلى أجلوه اجلالا عظيما حينما أصبح خبازا فى حى البرجودى سانتو . فلما مات ، مات ماسوفا عليه منهم جميعا . وأنضجت أشعة الشمس الساطعة التى تكسب أعناب تورى وبرتقال سورنتى لونها الذهبى ، جمال كيارا فزها وازدهر .

وكان الأستاذ جياكومو تدسكى مؤمنا بان زوجته رزقت من العفة كفاء مارزقت من الجمال . وكان يعلم ، أيضا ،أن عاطفة الغيرة على شرف المرأة تبلغ غايتها فى أسر قطاع الطرق . ولكنه ، بعد ، كان طبيبا ، فأدرك ما قد يساور طبيعة النساء من الاضطراب والضعف ، فشعر بشىء من القلق حينما عكف على زيارة منزله أسكانيو رانيرى الميلانى ، حائك ملابس السيدات بميدان الشهداء . وكان أسكانيو شابا وسيما دائم الابتسام . أما كريمة مامى الخباز الباسل المحب لوطنه ، فقد كانت ، ولاريب ، فتاة نابلية صالحة ، أشرف من أن تنسى واجبها بين يدى رجل ميلانى . غير أن أسكانيو كان يفضل زيارة المنزل القريب من كنيسة العذراء



المتوجة فى غياب صاحبه الطبيب ، وكانت السنيورا تستقبله راضية بغير رفيق أو رقيب ·

وفى ذات يوم عاد الطبيب قبل ميعاده ، وفاجأ أسكانيو جاثيا عند قدمى كيارا · فلما رأته السنيورا نهضت وبرحت مكانها تخطو خطوا وئيدا متزنا كأنما هى احدى الآلهة · ونهض أسكانيو قائما على قدميه ·

فدنا منه جياكومو تدسكى ، وقد بدت عليه أبلغ أمارات الاهتمام والقلق ، ثم قال :

« أراك مريضا ، ياصديقى · لقد أحسنت بمجيئك الى · فانا طبيب ، على اسعاف الناس وشفاء أسقامهم · أراك تتألم · لا تنكر ذلك · ان ألمك لشديد · وجهك ملتهب ·· لا شك أنه صداع ، صداع حاد · كم أحسنت اذ جئت لأراك ! لابد أنك انتظرتنى حتى عيل صبرك · نعم ، انه صداع فظيع » ·

وكان الأستاذ تدسكى ، على الرغم من كبر سنه ، قويا كثور فحل ، فكان يقول ذلك وهو يدفع أسكانيو أمامه الى حجرة الفحص ، ثم أضجعه راغما على ذلك الكرسى الممدود المشهور الذى ظل أربعين عاما يحمل أثقال أمراض نابلى ·

وشد عليه بقبضة لا تلين · ثم قال:

« عرفت مابك ، هى سن فاسدة ، هى كذلك ! نعم ان ألمك منها لشديد » ·

ثم أخرج من صندوق كلبتين كبيرة الحجم لاقتلاع الأسنان ، وفتح فم أسكانيو الواسع قسرا ، وأدخل الكلبتين ، ونزع نزعة واحدة ، فاقتلع بها سنا ·

وبينا كان أسكانيو يلوذ بالفرار ، ويبصق من فم تسيل منه الدماء ، كان الأستاذ جياكومو تدسكى يصيح خلفه فى شماتة وسرور ، ويقول :

« انها سن جميلة ، سن جميلة جدا ! ··· »

قرية ظالمة للدكتور محمد كامل حسين

بقلم : فتحى الابيارى

واقبلت عليه تقول :

ــ اليوم عيد مولدى

فقال لها :

ــ وهل تظنين انى انسى ذلك ؟

ــ واريد ان تجعله يوما لا انساه ابدا .

ــ لك ذلك ..

ــ واريد ان تختصنى به، فلا يشغلك عنى امر آخر ..

ــ ما كان اسعدنى بذلك ... لولا ما سيجرى فى اورشليم اليوم .

ــ لا يعنينى من ذلك شىء ، واحب ألا تلتمس الأعذار ، فانك تعلم أنى لا اغفر مثقال ذرة اذا كان الامر يتعلق بحبك اياى ..

ــ وانا لا اطيق ان يمر بخاطرك انى اقصر فى ما ترغبين الى عمله ، ولكن لى فى دار الندوة اليوم شأنا اى شأن .

ــ وماذا فى دار الندوة اليوم ؟

ــ انهم يطالبون بدم رجل قامت عليه قيامة الناس عامة ، جمهورا وقساوسة وعلماء ، ولا بد ان نحسم امره اليوم .

ــ ومالى ولذلك كله ، أترى أن موت رجل من عامة الناس ادعى الى عنايتك من حبك اياى . انهم يصلبون رجالا كثيرين كل يوم ، اما اليوم فهو يومى، ولا يكون الا مرة كل عام .

ــ وقد لا يتكرر صلب رجل قتل هذا النبى ، ابد الآبدين .

ــ انى عددت عليه بالامس من الذنوب ما أحفظ عليه قوم اسرائيل كافة ، وجمعت عليه التهم ما جعل جريمته واضحة لا تقبل فيها رافة ، ولا رحمة ، فحكموا عليه بالصلب ، واعجب الناس ببلاغتى ، وهنأونى على ما أبديت من حرص على الايمان ، وعناية بالوطن ، وعلم بالتوراة ، ولابد ان اتبع نجاحى بالامس نجاحا جديدا اليوم ، حتى لا تهن عزائمهم فينكصوا .

الى ان قالت :

– وماذا علمت عنه حتى ألبت عليه قومك ، ابك موجدة عليه ؟

– انه يريد ان يجعل الجهلاء أندادا لأمثالنا ، ويريد ان يجعل الفقراء وايانا سواء ، وفى ذلك قضاء على بنى اسرائيل كله . أيروق لك ان يساوى بيننا وبين ذلك الحداد الذى يعمل أمام بيتك ؟

ذلك هو الموضوع الذى اختاره الدكتور محمد كامل حسين لقصته « قرية ظالمة » (!) وقد ركز اهتمامه على ذلك اليوم المشئوم الذى صلب فيه « المسيح » وكان يوم جمعه . حين اجتمع كبار علماء بنى اسرائيل فى «دار الندوة» ليعلنوا قرارهم الاخير، وكان ذلك الشاب الذى يمثل الاتهام، يتحدث مع زوجته – وهى أجمل فتاة فى أورشليم – عن براعته فى ادانة ذلك الرجل الذى كفر بالله ، وانكر الصفات التى له فى التوراة ، لانه لايقول بجبروته وانتقامه ، وانما يقول ان الله هو الحب ، ويريد ألا يخاف الناس الله . وثارت زوجته الجميلة ، وقالت له : « اتقتلون رجلا ان يقول ان الله هو الحب ، تلك كلمة لا يقولها مجرم . الله هو الحب !..

وان المرأة تحب الرجل الذى يفهم الحب اكثر من حبها الرجل الذى يفهم النساء .

فأكثر هؤلاء منافقون ، ان حب المرأة هو الخطوة الاولى الى حب الله .

وهذا الموضوع شائك اذ يتصل بالديانات وخاصة الديانة المسيحية ، ويحتاج الى براعة فى التحليل المنطقى العميق . ومع ذلك اتخذ الدكتور محمد كامل حسين هذه المأساة .. مأساة الضمير الانسانى التى وقعت فى ذلك اليوم الذى يتذكره الناس كل عام ، والحقيقة ان هذا اليوم .. يوم الجمعة الذى أجمع بنو اسرائيل أمرهم ان يطلبوا الى الرومان صلب المسيح . ليقضوا على دعوته ، كان امتحانا رهيبا وقاسيا للضمير الانسانى .

فما هو الأسلوب الذى اتخذه الدكتور محمد كامل حسين فى بناء قصته الطويلة هذه التى تقع فى ٢٣٤ صفحة . وما المجال القصصى الذى دارت فيه شتى أنواع الاحداث . وكيف صور الصراع العنيف ، بين العقل والضمير ، وبين الحب والكراهية، وبين العدل والظلم ، وبين الايمان والكفر، وبين الشجاعة والجبن ، وبين الواجب والخيانة ، وبين المنطق والمنطق .

وكانت « أورشليم » هى خشبة المسرح الذى وقعت عظام الأحداث فوقه . فقد صور جميع اركان الصراع فى ثمانية عشر فصلا ، بدأها بذلك الحدث الذى دار بين ممثل الاتهام وزوجته الجميلة الفاتنة التى لا شأن لها فى الجدل السياسى المنطقى ، ولكنها الكلمات صافية ، صادقة عن الحب والله ، جعلت زوجها ممثل الاتهام الخطير ، يذهب الى دار الندوة مبلبل الفكر ، مزعزع الايمان فيما قاله بالأمس من ان ذلك الرجل قد كفر بالله ، ولكن صوتا خفيا من أعماقه .. يقول : كلا انه ليس بكافر .

حتى مفتى أورشليم نفسها ، يراجع نفسه فى حوار بينه وبين ابنه ، اذ يقول له ابنه :

— لعلك تريد اليوم ان تعدل عن رايك يا ابى

— وما الذى يمنعنى من ذلك ، انى لا اريد ان تبقى فتواى على مر الزمن سببا فى صلب رجل لا اعلم عنه شرا .

وعندئذ يحاول المؤلف جاهدا ان يكثف الحوادث ، لتخدم فكرته عن الصراع العنيف بين الضمير الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر مهما يبلغ من قوة . اذ يصور لنا فى فصل كامل قصة « لازار » الرجل الذى احياه المسيح ، بعد ان مات الرجل . فعاد الى الحياة شاحب اللون ، غائر العينين ، قليل الكلام ، وكان الناظر اليه لا يرى فى وجهه اثرا للعواطف الانسانية الطبيعية ، فهو لا يفرح ولا يحزن ولا يضحك ولا يبكى .

وشخصية لازار هذه انما ترمز للضمير الانسانى بعد ارتكاب الخطيئة والتوبة . ان الله يتوب على الناس بعد المعصية فيرد اليهم ضميرهم بعد موته ، لأن ارتكاب المعصية قتل للضمير ، ولكن الضمير يبعث على هيئة هذا الرجل ، شيئا بين الحى والميت ، ولايمكن أن يكون ضمير الرجل بعد التوبة طاهرا نقيا ، كضمير البرىء الذى لم يرتكب اثما ..

فالكاتب كان عميقا فى تقصى كل صغيرة وكبيرة فى ذلك المجال القصصى الذى اختطه لنفسه ، فقد التقط ببراعة كل الأحداث والشخصيات الدينية والتاريخية التى ورد ذكرها فى التوراة والانجيل ، والقرآن الكريم . ومزجها فى نسيج ، بديع ، متأنيا فى عملية نسجه لهذا العمل الكبير .

فقد التقط شخصية « قيافا » ذلك الرجل الذى القيت مقاليد بنى اسرائيل اليه ، لعلمه ، وعدله ، وصوره فى فصل كامل هو الآخر ، ليحلل تحليلا دقيقا أزمة الضمير الانسانى فى تلك اللحظات الخالدة . فقد جعل « قيافا » ينفرد بنفسه ، يغوص فى أعماق أعماقها ، ليستجلى الحقيقة ، وليبحث عن عجلات النجاة ، لتنقذه من دوامة الباطل . لقد أعجب قيافا بالنبى الجديد لأنه استطاع ان يجد حلا . هذا الحل .. هو أن طبيعة الانسان جزء لا يتجزأ ، وكل فضيلة ـ مهما يكن أمرها خفيا ـ تعد حجرا فى بناء الشخصية ، ولايضيع أثرها ، وان خفى على الناس فضلها . لقد ارشدهم النبى الجديد الى مملكة السماء ، التى يدخل فيها الفقراء والبسطاء والخاطئين والجهلاء .

وظل الكاتب يحلل موقف أهل الفكر والعلم من الدين الجديد ، داخل نفسية « قيافا » ، وقد بلغ فى ذلك التحليل القمة (ص ٥٦) . اذ يقول قيافا لنفسه عن النبى الجديد « انه يريد أن يضع الضمير فوق التدين ، ولكن أهل التدين سيقضون عليه قبل ان ينقذه أهل الضمير . ويريد أن يرفع صغار الناس الى أن يساوى بينهم وبين من هم أعلى منهم ، ولكن هؤلاء سيقضون عليه قبل أن ينقذه من يريد أن يرفعهم . ويريد أن يرفع الانسانية فوق الوطنية والقومية ، ولكن الوطنية ستقضى عليه قبل أن تنقذه الانسانية . انه لم يؤذ أى فرد من بنى اسرائيل ، ولن يؤذيه أى فرد منهم ، ولكنه يؤذى اسرائيل

مجتمعة ، وجماعتهم هى التى ستنتقم منه ، وان كره كل واحد منهم أن ينتقم منه لنفسه .

وفى دار الندوة ، حيث ينتظر بنو اسرائيل قرار حكمائهم ، وفقهائهم ، كان هؤلاء الفقهاء بما فيهم «قيافا» وممثل الاتهام . وعدد كبير من الحكماء ، مزعزعى الايمان فى الحكم على ذلك الرجل بالصلب . كان ضميرهم قد بدأ يستيقظ ، ولكن كيف يرجعون عن قرار الأمس ، وما اليوم الا التصديق على ذلك القرار .

واحست الجماهير بأن حكماءهم قد ترددوا ، فاقتحموا الدار وهم يصيحون : اقتلوهم ، حرقوهم جميعا ، لا بد من قتله وقتلهم معه .

وسارت الجماهير الى دار الحاكم الرومانى تطالب بدم الرجل وأتباعه . لم يكن فيهم من يعلم عنه شرا ، ولم يكن فيهم من يريد قتله ، عن عقيدة واقتناع شخصى.هكذا تمت أكبر جرائم التاريخ . جريمة الحكم على المسيح بالصلب لكفره بالله ، دون أن يعلم أحد من أهل أورشليم من الذى يراد قتله ، ولا عن من يقع وزر هذه الجريمة الشنعاء .

ذلك هو اليوم المشئوم ..

وقد صوره محمد كامل حسين .. عند بنى اسرائيل أولا . ثم انتهج نهجا آخر فى رواية أحداث هذا اليوم أيضا ، ولكن عند الحواريين . وذلك فى خمسة فصول . ثم عند الرومان وذلك فى ستة فصول . فقد جعل يوم الجمعة هو محور ارتكاز لقصته ، ثم قسمها ثلاثة أقسام ، القسم الأول صور فيه حال بنى اسرائيل فى ذلك اليوم الخالد فى سبعة فصول . والقسم الثانى كان عند الحواريين ، بداه بقصة « المجدلية » التى افتتنت بجمالها ، وتسبب جمالها فى مأساة دامية ، مات فيها أخوها . واصبحت « المجدلية » شؤما . فتركت قريتها الى أورشليم ، بعد أن تحاشاها الناس حتى أمها . وفى أورشليم ظلت تبيع جسدها لتكفر عن خطيئتها الأولى. وفى وكر الرذيلة تعرفت على جندى شاب من الرومان . وأحبته حبا عنيفا. ولكنها ما ان سمعت بقصة النبى الجديد حتى وجدت فى دعوته خلاصها . واستجاب حبيبها الجندى الرومانى ، للدعوة الجديدة بعد أن آمن بها ، لأنها تدعو الى أن الانسان بدون الله هزأة لا معنى لعمله ولا قيمة للدوافع التى تصدر عنها أعماله ، فان ما يميز الانسان عن الحيوان هو الضمير ، والضمير من الله لا يكون ابن آدم الا حيوانا عاقلا ذكيا ، أما أن يكون بدون الله انسانا فذلك محال .

وفى الجزء الثالث الذى صور فيه المؤلف يوم الجمعة عند الرومان . جعل هذا الجندى يقع فى أزمة ، ليصور الصراع بين النظام والضمير . فقد اشترك ذلك الجندى فى حملة عسكرية على قرية آمنة . وكانت قوية بايمان اهلها . فحاصرها الجيش الرومانى ، وحدث أن التقى هذا الجندى فى معركة صغيرة ، قتل فيها زميله ، ولم يبق الا هو وجندى من الأعداء . واستطاع أن يصيبه . ولكنه خشى أن يتركه فيموت ، فأعاده الى القرية . وكان

موقفا عنيفا • فقد عرف الضابط ثغرة يستطيع بها جيشه أن ينفذ منها ويتحقق النصر • وانقسم أهل القرية قسمين ، قسم رأى أنه جندى نبيل لأنه عرف الثغرة وكان فى استطاعته أن يترك الجندى الجريح يموت• ولكنه آثر أن ينقذ الجريح ويعيده الى القرية• وقسم آخر رأى أن يسجن حتى لايفشى السر • وأخيرا قالوا له : اننا سنتركك وشأنك ، تذهب الى تخومك ، ونحن نعلم أنك تستطيع أن تعين جيشك على فتح المدينة ، وأن عوامل الطمع أو الخوف قد تدفعك الى ذلك ، على أنك ان تفعل تكن جزيت احساننا اليك بسوء، ونحن لا نريد أن نجزى احسانك الينا بسوء •

وقد صور المؤلف هذه الحادثة ، لأنه كان يعد للأحداث القادمة • فعندما فشلت الحملة ، وتم الصلح بين الرومان وأهل القرية • شاعت قصة الجندى النبيل ، ولكن الرومان وجدوا فيها خيانة عظمى • وأعد له القائد محاكمة•• وكان ذلك يوم الجمعة •• صباحا ، واتهموه بالخيانة العظمى، ووقف الجندى يدافع عن نفسه قائلا :

« أيها الاخوان •• انى لم أخنكم ولم أخن أحدا ، ولكنى خنت الظلم والعدوان واستغلال الأقوياء للضعفاء أمثالنا ليزيدوا قوتهم قوة ، وطغيانهم طغيانا• انى لم أوذ أحدا منكم ، ولكنى حرمتكم أن تقتلوا عددا أكبر من أهل المدينة الأبرياء الذين نصبتموهم لكم أعداء وأنتم لا تعلمون عنهم شيئا • وحرمتهم أن يقتلوا منكم عددا أكبر •

وتركه القائد يكمل دفاعه فقال الجندى أخيرا :

« سأذكر لكم أمورا ثلاثة يتحقق بها السلم •• ألا تعلنوا حربا الا أن يؤخذ فى أمرها الجنود فهم الذين سيقتلون• وأن يقسم الجندى عند التحاقه بالجيش ألا يتعدى حدود بلاده لأى سبب كان وأن تحرموا على القادة تحريما باتا أن يتعرضوا لحياة الجندى الذى لا يرى أن يحارب خارج بلاده • وان شئتم المزيد فلنعمل ما يعمله بعض أهل البلاد البعيدة الذين يضعون من بيدهم اعلان الحرب تحت قبة خاصة ، يتشاورون، فاذا قرروا اعلان الحرب خدمة للأمة هدموا عليهم القبة ، وساروا الى الحرب قائلين انها خدمة للأمة أن يشترك فيها أولو الأمر ، والجنود سواء بسواء • ولم تعلن فى تلك البلاد حرب منذ قرر أهلها هذا القرار » •

وحكم على الجندى بالاعدام • ومزقت جسده الجياد الأربعة التى أعدها له القائد • وعندما شاهد المنظر أصيب بلوثة فى عقله •

وفى ظهر نفس اليوم •• يوم الجمعة •• أظلمت الدنيا •• ثلاث ساعات ، عندما صلب المسيح •

وفى ذلك اليوم أراد الناس أن يقتلوا ضميرهم ، وفى هذا الذى أرادوه تتمثل نكبة الانسانية الكبرى • فلم يحدث فى العالم شرا الا كان أصله ما يريد الناس من قتل ضميرهم ، واطفاء نوره•

وليست أحداث ذلك اليوم من أنباء يوم فى حياة كل فرد • فالناس أبدا

معاصرون لذلك اليوم المشهود ، وهم أبدا معرضون لما وقع فيه أهل أورشليم حينذاك من اثم وضلال ، وسيظلون كذلك حتى يجمعوا أمرهم ألا يتخطوا حدود الضمير ٠

وقصة الدكتور محمد كامل حسين ، قصة أحداث ، وهى تكاد تدون العنصر نفسها بقدر ما تخدم الحدث الذى أورده المؤلف ليصور صراعا ، بين الايمان والكفر مثلا ، أو الضمير والعقل ، لذلك لا يمكننا أن نحس بأنفاس تلك الشخصيات ، أو نحس بتأثيرها على نفوسنا بقدر ما نتأثر بما أورده المؤلف من تحليل دقيق ، وحوار فلسفى عميق عن الدين ، والايمان ، والضمير ٠ وقد استخدم الكاتب فى التعبير ٠٠ طريقة السرد المباشر ، ليتمكن من تصوير الأحداث والخلجات الانسانية ٠ وليكون قادرا على تحليل الشخصيات تحليلا فى منتهى العمق ، وتحليل الفكرة ، تحليلا منطقيا جذريا ٠ ولكنه فى بعض الأحيان كشف القناع عن نفسه ، وظهر هو بأنفاسه فى ص ٧٤ ، ٧٥ ، عندما علق علق على حادث الصلب ٠ وخرج من سياق السرد المباشر ، الى التعليق المكشوف ٠ « وهكذا حكم على المسيح بالصلب من أجل كفره بالله ، فهل يبقى بعد ذلك لأحد ثقة فى حكمة الانسان »

وقد نجح المؤلف فى حبكته الفنية ، وتسلسل الأحداث تسلسلا بديعيا ، فى أسلوب رصين ، كما برع الكاتب فى استخدام الألفاظ ، والتراكيب العربية براعة فائقة ٠ وحوار سلس قصير ، مشبع بالفلسفة العميقة ٠

وتعد هذه القصة بحق ، من الدرر النادرة فى تاريخ قصتنا المعاصرة ، وقد توجتها الدولة بجائزتها للقصة ٠



سلوان

بقلم : محمد عبدالحليم عبدالله

كان يسائل نفسه كلما دخلت عليه : « لماذا يبدو عليها التفكير هكذا ؟! » ولم يكن هو فى حقيقة امره من الذين يملكون الجراة للكشف عن اسرار الناس ... لم يكن فضولياً . غير انه لم يستطع ان يتناسى هذا السؤال منذ عينت الآنسة « آمال » كاتبة فى الحسابات تحت اشرافه فى المؤسسة .

ومنذ رآها أول يوم ازداد ايمانا بأن المهن قد لا تختار أصحابها فى كثير من الاحوال ... نعم ... فعودها الدقيق وكفها الصغيرة ومزاجها العاطفى المتقلب ... وعيناها اللتان تتعارك فيهما أفكار وذكرياتَ اكبر من عمرها ذى العشرين عاما ... وصوتها الشاكى حتى فى حالات السرور ـ كل هذا ينفى عنها بتاتا صفة كاتبة حسابات ويرشحها ... لماذا ؟! ...

كان يفكر وهو غارق فى «المراجعة» عما تصلح له الآنسة آمال ... ظل يجمع ويطرح بذهن شارد ... وتناهى اليه عزف « بيانو » من أحد البيوت القريبة يختلط عبيره بضجيج المواصلات كما تختلط أرقام الحسابات بأفكاره عنها ... عندئذ وثب الى ذهنه خاطر هو انها لا تصلح الا أن تكون « عازفة » ...

وابتسم لافكاره ونظر الى مكتبها الخالى فى حجرته . ثم نظر فى الساعة. انها تكاد تبلغ التاسعة . ووجد نفسه يسأل نفسه من خلال عمليات « الضرب » وضجيج المواصلات وعبير العزف : « لماذا تأخرت اليوم ؟! »

وأحس بيد تقبض قلبه بلطف لكنه كان فى عنف لمسة المجروح . ومط شفته اشمئزازا من فكرة انه سيتعلق بها . رأى ذلك محالا . فحديث الحب عنده فراغ أو لهو أو خرافة . وهو ليس فى فراغ ولا من طبعه اللهو ولا يؤمن بالخرافات ...

وعاد يراجع الحسبة أمامه فاذا بها مليئة بالخطأ . فابتسم ... ووضع قلمه وطلب فنجالا من القهوة ثم عاد ينظر الى مكانها الخالى ...

وفى هذه اللحظة سمع وقع حذاء عال مستعجل الخطا على بلاط الممر الطويل المؤدى الى الحجرة . ثم مالبث ان رآها داخلة تحيى وتعتذر وتجلس وتخلع قفازها وتتنهد وترمى باحدى خصلات شعرها الدانى الى الوراء ـ كل هذا فى وقت واحد .

فى هذه الوهلة أحس بالهدوء والراحة . لم يكن شاعرا بقلق ولاتعب يرتفعان الى مقدار ما أحس به من

هدوء وراحة عندما دخلت . فجعل يسال نفسه عن اختلال النسبة بين الضدين كانه يعمل معادلة حسابية . ثم مالبث ان انصرف عن افكاره كانما عد ذلك خسارة ... خسارة الا يراقب هيأتها فى هذه اللحظات . وكانت قد اخرجت من حقيبة يدها منديلا صغيرا واخذت تمسح ما تحت عينيها .

لم يكن هناك دموع •• ولكن •• وجهها كان كسماء تنذر بالمطر . بادية القلق والرقة والانكسار . ولو أنه هو الآن فى الخامسة والثلاثين الا انه شعر نحوها بالأبوة . الحزن على زاويتى فمها كانه بيت شعر يوقظ الحماسة . ووجد نفسه على وشك أن يسألها سؤاله المالوف :

« لماذا تأخرت ... خيرا ... »

فالفاه تافها لا مغزى له وفى هذه اللحظة اخرجت هى ورقة ملفوفة ومنها ... سندوتش صغير الحجم •• ومن خلال ابتسامة مفتصبة ألقت اليه بكلمة « اتفضل » ثم قطعت منه .

كانت تاكل بطريقة من يريد ان يحفظ لنفسه الحياة فقط • وتعمل بطريقة من يريد ان يحرق نشاطه كليا . وتتكلم بطريقة من يريد الا يقول الا المطلوب . وكان على وجهها اليوم علامات سهر وارق . يلفها سور من صمت متعمد .

وعاد هو فاكب على الاوراق . وكان صوت العزف يصل متناثرا من خلال الضجيج . خيل اليه انه تحول الى رشاش معطر يتناثر على وجهها الساهم من فوهة « بخاخة »

لكنه على كل احس بشىء يستيقظ فيه . احس بالخوف من حبها ومن التجربة المرعبة • تجربة أن تاخذه فتاة من زوجته وولديه ... كلا ... أو جزءا ... وهو كرجل يؤمن بالارقام يؤمن أيضا بأن أدنى درجات الخلل يوهى البناء كله كسقوط « الصفر » فى حسبة ما ...

وكانت هى تاكل ... قطمة وجرعة من كوب الشاى . ورائحة عطر وحشى ـ غير متناسب مع منظرها الوادع ـ تملأ جو الغرفة .

ثم ما لبثت أن فرغت من طعامها . ورآها من بين أهدابه مكبة على العمل تحت عينيها هلالان من زرقة البنفسج

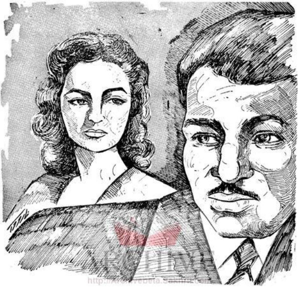
فسمع نفسه يهتف فى نفسه :

« انها تحترق !! ترى لماذا ؟! »

ولم يكن هذا التفيير الا ترجمة عن شعور يهدده . لم يبلغ الذروة بعد . بدت بوادره ليلة أمس ... الليلة الماضية فقط ... حين فطن الى نفسه وهو يوازن فى صمت ثقيل بين أنف وأنف • وفم وفم • ثم اللون والشعر والصوت ••• لها هى ••• ولزوجته !!

ثم تماسك فى مكانه . وقف عند نقطة معينة من الافكار كمن يخاف أن يتدحرج . والتقط أكبر ابنائه من على الارض ورفعه وصار يقبله باعلى صوت حتى ملأ سمع نفسه بصوت قبلاته . وذهب الى مكان ما من المسكن واحضر الراديو ليبدد أفكار نفسه •••

كان ذلك امس ... فى سواد الليلة الماضية ... لكن الآنسة ظهرت له اليوم كحقيقة لا تقبل الجدل . كحركة الجنين غير المرغوب فيه فى بطن الأم . ليس هناك طريق ثالث بين الاجهاض والاكتمال . ومع انعدام الطريق الثالث فان للطريقين مخاطرهما وأوجاعهما •



قام فخرج من الحجرة لا يدرى الى أين . بدا له الممر الطويل العارى من « المشاية » المؤدى الى السلم مثل برزخ ما بين الجنة والنار . فمشى ساهما لا يابه لسؤال احد من الجمهور وكان الضجيج الخارجى صدى لما فى نفسه .

ونزل الى الشارع ثم عاد . قطع نفس الطريق . عبر الممر ودلف الى الحجرة . وعندما سمعت هى وقع أقدامه نهضت كمن وجد الحل . هتفت بصوتها الواهن :

ـ « أستاذ كامل ... جئت فى الوقت المناسب ... طلبونى فى البيت لامر طارىء وكان لابد أن تحضر قبل ان انصرف ... تسمح ؟! »

فسأل باهتمام غير مألوف :

ـ ممكن أن أعرف ما بك ياآنسة .أ..

وفتح اهتمامه بابا كان مغلقا . فتحه على نفسه وعلى الآنسة . فلم يكد يكمل سؤاله حتى اجهشت بالبكاء .

احس بالألم والخجل والحيرة فى وقت واحد . بل ... وبشعور مفشوش . شعور من سبب لها كل الآلام التى سكبت دموعها .

فقام وامسك كتفها . ورجاها فى هدوء أن تجلس على كرسى وقدم لها

قرصا من الاسبرين وجرعة من الماء .

وما لبثت ان تمالكت نفسها . ثم ابتسمت تغالب بقية دمعها أما هو فكان فى استكانة من غلب تماما على أمره .

ظلل صمت كانت عيناه فيها ترعى محاسن وجهها قطعته عليه بأن رفعت وجهها اليه وقالت معتذرة :

ـ متأسـفة ... أنا متأسـفة لما حدث !!

ـ بالعكس . متأسف انا ... انا الذى ... فقاطعته .

ـ هل تسمح لى بالخروج . آه .. (وضحكت من بين اسـنانها كفتـاة غريبة عن التى كانت تبكى) عندنا ... حادث سعيد .

وعادت تضحك فى خفوت ووجهها نحو حجرها كما يغرد طائر نصف نائم . فسال :

ـ من ؟

ـ زوجة ابى !!

ـ آااه ... زوووجة أبيك

فهزت راسها مؤمنة وعادت ترمقه بكل عينيها .

ـ أنت بلا ام ؟!

ـ منذ طفولتى

ـ ولك اخوة ؟!

ـ منها فقط !!

فابتسم السيد فى بطء كمن تفهم معضلة .

ـ وهى التى . تلد ؟!

فاطرقت خجلا واستطرد هو :

ـ وبهذه المناسبة ... ما موقفها من فكرة ... آ ... زواجك ؟

ففـالبها البكاء . فنهضت ومدت يدها مصافحة وهى تقول فى تهـالك مؤسى :

ـ فى وقت آخر ... أرجوك ... سعيدة .

عندما دخل المسـاء أخـذ يحس بوحشـة الليـل . ومـع الوحشـة واستطالة الوقت وانتظار اليوم التالى بدت له الآنسـة آمال حقيقة لا تقبـل الجدل ... كحركة الجنين غير المرغوب فيه . وفى هذه اللحظة كانت السـاعة تدق التاسعة فى احدى زوايا البيت . فذكرته تلك الرنة المألوفة بأزمات سن الشباب الاول وكأنما عادت تقص عليه

ـ بحركة البنـدول ـ ذكرى كبوات العاطفة . فشعر انه يعيش فى الماضى لكن ـ مع وخزة حزن ـ خيل اليه انه دون مستوى الصراع الذى بدا فى هذه الليلة مثل جبل يسد طريق الافق .

كانت الساعة ترسل آخر دقاتها . وما كاد السكون يستتب حتى سـمع صراخ طفله الصغير . خيـل اليه أنه جار ... أنه نوع غـير الذى يسـمعه منه كل ليلة . وكان صوت امه تناغيه قليلا أو يلهيه ثم يتركه فى يأس .ويعود السيد الى افكاره فلا يلبث أن يعود الطفل الى صراخه .

جعل هذه الليلة يفسر صرخة الطفل بقلبه ... شعر أنهـا احتجاج ورفض وحنـين ... ثم لحظـات يأس ودمعـة مقهورة . ثم عودة الى أول الحلقة .

وبعد ساعة نفذ كل هذا الى قلبه . شعر ان طفله محتاج الى معونة فقام ليسال الأم .

ابتسمت والأسى على وجههـا . لم ترد على سـؤاله . كانت تربت ظهر الطفل عله يهدأ . وكانت خلجات من النوم على اهدابه . لكن الأب رأى كف ابنه الصغيرة تتسلل نحو صدر أمه . والأم تحـول بينها وبين ما تريد ...

فابتسم الأب . فقد كان ابنه أيضا فى صراع ... امراة تريد ان تفصله

عنها ... تريد له أن يفطم . فولاها ظهره وخرج .

وبات طول الليل يستمع الى الأنين. كان انحياه فى احساس هذا الصغير ركزت فى جرعات اللبن ... كل الفواكه والطير واللحم ... والحب والحب .. وهو يقاتل لاقرار دستوره بدمعه وقلبه .

وعندما يغلب النوم الثلاثة يستيقظون على صرخة حنين هى فى واقع الأب صدى لحلم ليلته . وواقع الام مر وحلو مثل واقع الطفل من مرارة « الصبار » على ثدى الام وهى تخالط حلاوة اللبن .

وهكذا بات الثلاثة ...

وعند الصباح كان ذاهبا الى مكتبه وهو يحاول أن يتمثل أزمة طفله ويعيشها . لكنه عندما دخل ... لم يجد الآنسة .. ولم تحضر اليوم .

وفى الليلة الثانية عادت التجربة نفسها . تجربة الحنين والبكاء. وذهب الأب الى مكتبه فى الصباح فلم يجد الآنسة . فخيل اليه أن القدر أعاده طفلا صغيرا .. كتب عليه الفطام ودهن ثدى أمه « بالصبار » .

فجلس يحملق فى مكانها الخالى . ويتصور أن خلوه بالنسبة اليه أمثل وضع . فقد كان يمشى مع طفله فى طريق واحد . كل منهما مجبر على السلوان .

بعد خمسة أيام عادت الآنسة ...

دخلت فوجدت نظام الحجرة مغيرا. مكتب الاستاذ كامل مكان مكتبها غير مكتبين آخرين جلس على أحدهما رجل مسن وعلى الثانى شاب نحيل وخلف كل منهما رفوف ودوسيهات ... دنيا ... تغيرت معالمها .

ولم يكن الاستاذ كامل حاضرا . كان فى الادارة العامة ... وعندما دخلت الآنسة ضحك فى وجهها الرجل المسن وقال وهو يهرش بالقلم خلف أذنه ويبتسم من خلال طقم الاسنان : .

ـ مكتبك تحت يا آنسة ...

فدهشت . وسألت :

ـ وأين الاستاذ كامل ؟

فرد نفس الموظف :

ـ الآن ... فى الادارة العامة .... ومن هناك الى البيت ...

كانت الآنسة تستدير لتأخذ طريقها الى مكانها الجديد لكن الموظف المسن استوقفها وهو يقدم لها بيده بشىء وهو يبتسم :

ـ خذى هذه !!

ـ ما هذا ؟

فقال من خلال ضحكه :

ـ قطعة شيكولاته ... قدمها لى الاستاذ كامل مما اشتراه لابنه المفطوم .... (هى هى) ليس لى أسنان لامضغها ... خذيها انت .

أخذتها الآنسة فى هدوء لم يخل من الحزن . وقفت قليلا فى وسط الحجرة ثم التقت عيناها بعينى الشاب ... كان ساهما قلقا يدخن ناسيا نفسه . فتقدمت اليه ومدت يدها بقطعة الشيكولاته قبل أن تخرج وهى تقول له بصوتها الوانى :

ـ انت الذى تستطيع ان تأكلها . هل تحب ان تأخذها ؟!

فقال بدهشة وسعادة :

ـ نعم نعم نعم ...

سلا الطفل الرضيع ثم سلا الأب كذلك . أما الشاب النحيل فقد لوحظ عليه بعد اسبوع من أكله الشيكولاته ان كشوف حساباته أضحت مليئة بالأخطاء

من واقع الحياة

قصة

للروائي الانجليزي : و . سومرست موم

ترجمة : هدى السيد

اعتاد « هنرى جارنيت » أن يذهب الى النادى كل مساء ، قبل أن يعود الى بيته حيث يجتمع برفاقه فيلعب معهم «البريدج» ـ لعبته المفضلة . وكان يمتاز بأخلاق سمحة وطبيعة مرحة يرتاح اليها اللاعبون دائما . ففضلا عن كونه لاعبا ماهرا بحسن استخدام ورق اللعب، كانت لهمواقف مأثورة اذا ما خانه الحظ . أما انكان نصيبه الفوز ، عزا ذلك الى الصدفة والحظ اكثر من المهارة والخبرة . وكانت من سماته أيضا التسامح ، فمثلا ان اخطأ زميل له أثناء اللعب ، حاول أن يجد له عذرا مقبولا ليخرجه من مأزقه . لذلك كان من الغريب حقا ان يرى فى ذلك اليوم حاد المزاج ، يوجه الى زميله أغلظ القول ويرميه بألعن الصفات .

نعم كان من المذهل أن يأتى « هنرى جارنيت» مثل تلك الاخطاء الجسيمة التى يندر أن تصدر من شخص له مثل أخلاقه الطيبة ـ ومع ذلك كان زميله يتقبل تلك الاهانات بابتسامة الرضا والتسامح . ولا غرو فى ذلك فهؤلاء الرفاق كانوا جماعة من الأصدقاء القدامى تجانست شمائلهم وتآلفت قلوبهم ، ولذا لم يهتموا كثيرا بما حدث ولم ينظروا اليه نظرة الجد. وكان «هنرى جارنيت» يعمل سمسارا فى سوق الاوراق المالية كذلك كان يمتلك أسهما فى احدى المؤسسات الكبرى ومن اجل ذلك اعتقد أحد اصدقائه أن هناك أمرا جللا قد وقع فى محيط العمل أو خسارة مالية أصابت أسهمه فبادره قائلا :

ـ كيف حال السوق اليوم ؟

ـ عظيمة للغاية ، ان كل شخص حقق ربحا حتى لو كان طفلا صغيرا. .

استولت الدهشة المحيرة على الجميع وايقنوا أن هذا الضيق الذى

يشع من ملامحه وتصرفاته ، لم يكن مصدره المسائل المالية كما توهم احدهم . ولكن لابد ان يكون هناك سبب على اى حال .. وقد اشتهر « هنرى جارنيت » بانه انسان كبير القلب ، يقدس الحياة الزوجية ويكرس حياته لتربيه اطفاله وتنشئتهم التنشئة الصحيحه الفاضلة . يرسل نكاته المرحه دائما تعليقا على مناقشة رفاقه التافهة اثناء اللعب . ولكنه فى ذلك اليوم بدا كمد ، يجلس فى صمت وحسرة وقنوط . ولذا اراد احد اصدقائه أن يخفف عن نفسه لوعتها فاختار موضوعا للحديث ، يعلم الجميع أن « هنرى » يطربه دائما التحدث فيه والاستمتاع اليه ، قال :

ـ كيف حال ولدك يا هنرى ، لا شك أنه أحرز تفوقا فى الدورة الرياضية تقطب جبين « هنرى جارنيت » وازداد عبوسه تجهما وتمتم :

ـ نعم لقد ابدى كفاءة ملحوظة . كما تنبأت له دائما .

ـ ومتى عاد من «مونت كارلو» ؟

ـ الليلة الماضية .

ـ ترى هل استمتع برحلته ؟

ـ ربما !! ان كل ما علمتـه انه كان احمق فى تصرفاته .

ـ وكيف ذلك ؟

نظر « هنرى جارنيت » الى رفاقه الثلاثة نظرة كلها الم ومرارة وقال :

ـ ارى الا ازعجكم بأمر لا يعنيكم فى كثير .

أخذ الجميع يتطلعون اليه بدهشة وقلق وهو يحملق شاردا فى غطاء المائدة الأخضر ..

استمر اللعب وسط ذلك الوجوم، ولاحظ الجميع أن هنرى كان يتخبط وهو يلعب الورق كمبتدىء ساذج ، حتى انتهى « الدور » بخسارة فى جانبه وتلا ذلك «دور» آخر لم يكن بأسعد حظا من سابقه ، وفجأة صاح زميله :

ـ ماذا دهاك يا « هنرى » ، انك تلعب كالاحمق ..

وفعلا كان هنرى « جارنيت » مبلبل الفكر بادى الارتباك .. فلم يكترث كثيرا بما اصابه من خسارة ، وزاد من الهه علمه ان تخبطه هذا لا شك مؤثر على زميله . لذا حاول أن يجمع شتات نفسه وخاطب رفاقه :

ـ من الأفضل أن اكف عن اللعب الآن ... لقد ظننت انه مهدىء اروعى ولكن الواقع غير ذلك فانى غير قادر على تركيز فكرى فى شىء .. ولا اكتمكم ايها الاصدقاء أن راسى يكاد يلتهب .. هنا انفجر الجميع يضحكون :

ـ على رسلك .. لسنا بحاجة الى مزيد من التفسير فمظهرك يفصح تماما عن ذلك . نظر اليهم « هنرى جارنيت » نظرة يملأها الاسى وقال :

ـ انى اراهنكم لو أن ما حدث لى قد وقع لكم بالفعل لما تغيرت حالكم عن حالى . صدقونى انى فى مأزق جد حرج ، ولا اجد لنفسى منه مخرجا .. هلا تفضلتم ، فاسديتم الى النصح وانرتم لى الطريق فأكون مدينا لكم بالشكر مدى الحياة ..

فاقترح احد الاصدقاء قائلا :

ـ اذن فلنأخذ شيئا من الشراب .. ثم تقص علينا كل شىء عن ذلك الموضوع الذى اطاش بعقلك ، وسوف نجد لك مخرجا لا محالة ، والا فلن تجد من يخلص لك النصح .

ثم نهض هذا الصديق ودق الجرس

للخادم يطلب شرابا . ثم قال هنري بصوت حاد مكتوم :

— ان الموضوع يتعلق بولدي.. هذا الشقي اللعين ..

ثم جاء الساقي بالشراب لهم .. وأخذ « هنري جارنيت » يحكي وقائع قصته من اولها ....

.... كان « لهنري جارنيت » ولد في الثامنة عشرة من عمره ، وبنتان احداهما في السادسة عشرة والاخرى في الثانية عشرة . وكان يخص ولده هذا بنصيب كبير من حبه ورعايته .

حقا انه كان عطوفا على بنتيه يمنحهما الهدايا الجميلة في أعياد ميلادهما وفي عيد الميلاد كريسماس ، ولكنه مع ذلك كان شغوفا بابنه «نيقولا» ينظر اليه دائما نظرة فخر واعجاب . وكيف لا و « نيقولا » ابن بار بوالديه وعلى خلق عظيم يفخر ببنوته كل اب ، فارع القامة متناسق الاعضاء له راس جميل يتوجه شعر بني متموج ، عيناه زرقاوان وأهداب طويلة . أما حاجباه فكثيفان مميزان ، وفمه ممتلىء تزينه أسنان بيضاء ناصعة . لم يكن من طبيعته الخجل وان بدا جم التواضع — كانت صلاته الاجتماعية يشوبها الأدب واللهو البرىء نشأ في بيت عريق ، والداه أبوان متحابان صحيحا البدن . كل ذلك بلا شك أسهم في تكوينه المثالي خلقيا وخلقيا تراه وقد انعكست جميل شمائله على محياه فبدا رائعا جذابا . لم يحدث قط أن مرض أو أغضب والديه عندما كان طفلا صغيرا . فلما شب وصار صبيا يافعا كان طالبا ممتازا في مدرسته يقوم بأداء واجباته على الوجه الاكمل كما دلت على ذلك تقارير المدرسة الدورية — وفوق ذلك كان يتمتع بحب الجميع وتقديرهم ، كما حصل على العديد من الجوائز بصفته كابتن فريق كرة القدم في مدرسته ، وفي سن الرابعة عشرة تطورت ميوله فظهر موهبة فذة في لعبة « التنس » التي كان يعشقها والده أيضا ويلعبها بمهارة فائقة ، ولذلك عندما اكتشف « هنري » ذلك الميل لدى ولده شجعه على ممارستها والتدرب عليها على الوجه الصحيح . فكان ينتهز فرصة الاجازة الصيفية ويعهد به الى احد المدربين المتخصصين في هذه اللعبة ليلقنه اسسها الصحيحة . وما أن بلغ السادسة عشرة حتى اظهر تفوقا ملحوظا وأحرز أعظم فوز يمكن ان يحرزه من هو في مثل سنه — واكثر من ذلك فانه اصبح يهزم والده بشجاعة رياضية — اذا ما لعب ضده — وبطبيعة الحال لم يؤثر ذلك في نفس الوالد ، فقد كان حبه الأبوي يطغى على سواه من المشاعر . وفي الثامنة عشرة التحق بجامعة « كامبريدج » لاتمام دراسته ومن ذلك الوقت و«هنري جارنيت» الأب يداعبه أمل كبير في أن يمثل ابنه الجامعة في مباريات التنس الدولية وفي الواقع فان نيقولا كان يمتاز بصفات ترشحه لأن يكون بطلا ذات يوم . ففضلا عن كونه فارع القامة مما يمكنه من ادراك الكرة في ارتفاعها ، كان كذلك سريع العدو ذكيا بعيد النظر يدرك تلقائيا مكان اتجاه الكرة فيسرع اليها دون جهد أو عناء . قوي الساعد ماهرا في رد الكرة قبل أن تلامس أرض الملعب .. كل ذلك جعل « هنري جارنيت » يزداد ثقة وايمانا يوما بعد يوم بمستقبل ابنه الباهر في هذه

اللعبة . وكثيرا ما كان يداعبه الأمل ٠٠ من يدرى فربما وقع عليه الاختيار ليمثل بلده – ويمبلدون – ليحرز كأس « دافيد » ٠٠

لقد شاعت فى حناياه خلجة منعشة رأى خلالها ولده وهو يقفز فوق شبكة الملعب مرفوع الراس مزهوا ليصافح البطل الامريكى – بعد ان اوقع به هزيمة منكرة .. ثم يخرج من الملعب وسط هتاف الجماهير المدوى وتشجيعهم له ...

وكان « أهنرى جارنيت » نخبة طيبة من الاصدقاء فى وطنه ويمبلدون جمعتهم به هواية التنس .. وذات مساء – وبينما هو يتناول طعام العشاء فى مطعم بالمدينة لمح بالقرب منه « الكولونيل برابازون » احد هؤلاء الاصدقاء . أخذ هنرى يحدثه كعادته عن ولده نيقولا ويعرب له عن أمانيه الكبار فى أن يواتيه الحظ فيقع عليه الاختيار ذات يوم ليمثل جامعته « كامبريدج » فى « لعبة التنس » خلال الفصل الدراسى التالى ٠

– ..وهنا قال الكولونيل مستفسرا

– لم لا تدعه يذهب الى « مونت كارلو » ليشترك فى دورة الربيع الرياضية هناك ؟

أجاب هنرى على الفور :

– اعتقد يا عزيزى ان «نيقولا» لم تتهيأ له بعد الخبرة الكافية .. اضف الى هذا أنه لم يبلغ التاسعة عشرة بعد ... حقا لقد لعب فى «كامبريدج» فى شهر اكتوبر الماضى وحالفه الحظ وتفوق على الفريق المضاد ولكن مع ذلك أرى انه لا يزال ينقصه الكثير.

تابع الكولونيل حديثه :

– لا شك ان أمثال « اوستن » و «فون جرام» من أبطال التنس سوف يصيبون أهدافا ضده فى هذه المباراة ولكنه معذلك قد يحرز هو الآخر هدفا أو آخر ٠٠ ومن يدرى فقد يتفوق فيصيب أهدافا كثيرة ولا تنس ياعزيزى انه لم يلعب قط ضد أى فريق من الصف الأول ولا شك ان اشتراكه فى هذه الدورة سوف يكسبه خبرة تفوق بكثير ما اكتسبه من المباريات التى اشترك فيها من قبل .

قال هنرى جارنيت متحمسا ٠

– فى الواقع يا عزيزى اننى لم أفكر فى هذا الموضوع من قبل ٠٠ ولا يمكن بحال أن اشجعه على لتخلف عن الجامعة خلال الفصل الدراسى ، ذلك اننى دائما أفهمه بأن هواية التنس مجرد رياضة ويجب ألا تتدخل فى عمل الفرد الاساسى فتعوقه عنه.

وعندئذ سأل الكولونيل صديقه هنرى جارنيت عن موعد انتهاء الفصل الدراسى ، ولما أجابه استطرد فى تصميم :

– حسنا ، علينا اذن أن نعمل الترتيبات اللازمة .. وعلى كل فلن يتغيب ولدك اكثر من أيام ثلاثة .

ثم أطرق برهة تابع بعدها حديثه :

– لعلك تعلم يا صديقى جيدا ان اللاعبين اللذين اعتمدنا عليهما ليحرزا بطولات لصالح فريقنا قد خيبا أملنا جميعا فأصابتهما الهزيمة الساحقة وأصبح فريقنا هزيلا وفى حالة يرثى لها .. ولذا ارى أنه من الحكمة أن نرشح فريقا على قدر من الكفاءة والخبرة ليمثلنا ويأخذ بيدنا من تلك العثرة .

ولقد علمت أن ألمانيا سترسل فريقا من أكفأ لاعبيها وكذا أمريكا ٠

اجاب هنرى على الفور :

– هذا قول معقول لا شك فى ذلك،

ولكن كما سبق أن اشرت لك فان نيقولا لم يبلغ بعد من المهارة ما يؤهله لذلك .. وشيء آخر .. كيف لى أن أرسل شابا فى مثل سنه الى مدينة «مونت كارلو» بمفرده دون رفيق يتعهده ويرعى شئونه .. ليتنى أستطيع ان اذهب بنفسى .. ولكن هيهات انه امر بعيد الحدوث.

وهنا ادركه الكولونيل بحماس :

ـ سوف اكون هناك فى نفس الوقت كقائد الفريق الانجليزى، وبهذا ستتاح لى الفرصة أن الاحظ ولدك واراقب تصرفاته عن كثب .

ـ ولكن قد لا يسمح لك الوقت بذلك · كذلك وأنا لا أرغب أن أعهد اليك بمثل تلك المسئولية فزعج مقامك وأهم من ذلك كله ، لا تنس انه لم يسافر الى الخارج من قبل ، ولا أخفى عليك انه لو فرض وذهب بالفعل فلن يهدأ عيشى هنا حتى يعود .

وبانتهاء هذه المناقشة عاد هنرى جارنيت الى بيته.ان اقتراح الكولونيل «برابازون» جعله مشتت الفكر ، وفى نفس الوقت ملأه زهوا وسرورا حتى انه لم يستطع حبسه عن زوجته فبادرها قائلا :

ـ تصورى كيف يرى الكولونيل ولدنا نيقولا لاعبا ممتازا يبشر بمستقبل عظيم .

لقد اخبرنى انه رآه يلعب التنس بمهارة ودقة ولا ينقصه سوى المزيد من التدريبات ليكون من لاعبى الصف الاول .

ودهش عندما لم تبد زوجته اى اعتراض على فكرة الكولونيل ، ـ كما توقع ذلك . ودارت بينهما هذه المناقشة :

قالت الزوجة :

ـ انى مطمئنة تماما على ولدنا ، فقد بلغ الثامنة عشرة ولم يرتكب خطأ يذكر لذا يجب الا نعترض حدوث ذلك

ـ ولكن لا تنسى يا عزيزتى ان عمله الدراسى يجب ان يكون له الاعتبار الأول ، ولا شك انه ان لم ينتظم فى معهده حتى نهاية الفصل الدراسى فسوف تحتسب له بادرة سيئة . هذا فضلا عن انه قد يعتاد تكرارها.

ـ ولكنك قلت أنها ثلاثة أيام فقط، واظن ان ذلك ليس بالشيء الكثير .. وتابعت حديثها فى توسل :

ألست ترى يا عزيزى انه ليس من العدل أن تفوت عليه هذه الفرصة الذهبية التى سيكون لها اكبر الاثر فى نفسه بل فى مستقبله الرياضى !!

أجابها بحماس واصرار :

ـ لا .. انى عند رايى .. اننى لم الحقه بجامعة «كامبريدج» ليلعب التنس .. لا شك انى اثق تماما فى اخلاقه وتصرفاته ولكن كيف نلقى به فى احضان المغريات ثم نطالبه بالاستقامة بعد ذلك ... انه لم يبلغ من النضج بعد ما يخول له الذهاب الى « مونت كارلو » دون رفيق يتعهد امره .

ـ ولكنك قلت انها فرصة ذهبية ليلعب ضد هؤلاء اللاعبين المهرة ·

صمت «هنرى جارنيت» وتثاءب بهدوء ثم أخذ يستعرض فى مخيلته ما سبق ان فكر فيه من برهة وهو فى طريقه الى البيت ... يبدو أن «أوستن» ذلك اللاعب المشهور ـ لا يتمتع بصحة جيدة ، أما « فون جرام » فربما تخلف عن الذهاب ·· وقد يصادف الحظ نيقولا فيفوز ، وعندئذ يقع عليه الاختيار ليمثل جامعة «كامبريدج» ··

ولكن لاشك ان هذا محض وهم وخيال وبعد برهة قصيرة افاق من حلمه واجابها فى تصميم :

ـ لن يذهب ولدنا مهما حدث .. هذا هو رايى الاخير ولن أحيد عنه..

آثرت «مسز جارنيت» الصمت حتى لا يتمادى فى ثورته ، ولكنها فى اليوم التالى بعثت برسالة الى ابنها «نيقولا» تخبره فيها بكل ما حدث ، ونصحته أن يحاول جهده اقناعوالده ليظفر بموافقته ان اراد ان يتم له الامر وبعد يومين فوجىء « هنرى جارنيت» بخطاب ثائر من ولده ، كانت كلماته تتراقص طربا وسرورا وقد أخبره أنه قد قابل مدربه الخاص الذى كان يشغل منصب عميد كليته وكان أحد أصدقاء « الكولونيل برابازون » واستشاره فى الأمر فلم يبد اعتراضا بالنسبة لتخلفه هذه الأيام القلائل ـ واتفق مع الكولونيل فى الرأى بأن هذه فرصة يجب ألا تفلت منه ... وفى فقرة أخرى من الخطاب وعد نيقولا أباه بمضاعفة جهده فى الفصل الدراسى الثانى ، ان هو وافق راضيا على سفره.

ظلت «مسز جارنيت» تراقبزوجها خلسة وهو يتلو الرسالة ، ولم يزعجها قط ان تراه عابسا مقطب الجبين. وما انتهى من تلاوتها حتى ألقى بها أمامها وقال ثائرا .

لست أدرى ما الذى حدا بك ان تفضى الى ولدنا بحديث ائتمنتك على سماعه ـ ان ذلك لا يليق بك اطلاقا .. انك بهذا كنت السبب فى قلقه وعدم استقرار نفسه الذى يبدو واضحا خلال كلماته الثائرة .

أجابت زوجه على الفور بهدوء واتزان :

ـ عفوا ياعزيزى ، انى ماقصدت الا خيره ، لقد اردت أن اعلمه برأى «كولونيل برابازون» عنه فيسر ويكون ذلك حافزا له على دوام التقدم والنجاح .. ثم استطردت :

أليس عجيبا حقا أن نطلع الناس على آراء الغير البغيضة حيالهم ولا نطلعهم على الحسن منها !! وعلى كل فاننى صارحته القول بان مسألة ذهابه مسألة بعيدة المنال .

استمر هنرى جارنيت فى ثورته :

ـ ولكنك بتصرفك هذا قد أوجدتنى فى أحرج المواقف ، ذلك أننى أمقت أن أبدو أمامه أبا ظالما لا يشجع هوايته .

قالت مسز جارنيت تلاطفه :

ـ لا يا عزيزى ، لن يحدث شىء من هذا ، كل ما فى الأمر أنه قد يراك فى غضبته عنيدا ، ولكننى واثقة أنه فيما بعد سوف يدرك أن حرصك على مستقبله كان الدافع على اصرارك .

لاذ « هنرى جارنيت » بالصمت ثم همس فى ضجر :

ـ رباه ...

وعندئذ أحست زوجته بميل الى الضحك ، فقد أوحت اليها غريزة حواء انها قد كسبت المعركة أخيرا . وهجست فى نفسها .. : كم هو يسير أن نستميل الرجال فنجعلهم يخضعون لرغباتنا دون جهد أو عناء ...

وهكذا ظل « هنرى جارنيت متشبثا برأيه ، فى ظاهر الأمر ، زهاء ثمان وأربعين ساعة بعدها رفع راية التسليم . وبعد أسبوعين عاد نيقولا الى لندن ليستعد للرحيل الى « مونت كارلو» فى الصباح التالى . وبعد تناول العشاء صحبت « مسز جارنيت » شقيقتها الكبرى بعيدا عن زوجها

ولدهما • فانتهز الوالد هذه الفرصة لينفرد بابنه ويلقى عليه بعض النصائح الأبوية الثمينة قال :

– أصارحك ياولدى بأنى قلق لرحيلك الى « مونت كارلو » بمفردك ولما تنضج سنك بعد • ولكنها ارادة الله وليس لى الا أن أمنى النفس بأنك ستكون – كعهدى بك دائما – كريم الأخلاق محمود السلوك • غير أن هناك أمورا ثلاثة أوصيك أن تبتعد عنها : وأولها المقامرة •• فاياك والمقامرة • وثانيها اقراض مالك للغير •• أما الثالثة فهى النساء •• فاحذرهن دائما ما استطعت الى ذلك سبيلا •

وتابع الوالد حديثه مؤكدا :

– ان نصيحتى هذه – لو علمت – ثمينة غالية ، فان وعيتها تماما وعملت بها فلن يصيبك أبدا مكروه •

صمت الوالد برهة ، ونظر الى ابنه نظرة حب وأمل ، ابتسم على أثرها نيقولا وقال :

– حسنا يا أبت ، سأكون عند حسن ظنك بى •

خرج « هنرى جارنيت » من صمته واختتم حديثه قائلا :

– هذه كلمتى الأخيرة اليك •• هلا وعدتنى أن تتشبث بوصيتى فتذكرها دائما ؟

أجاب نيقولا على الفور :

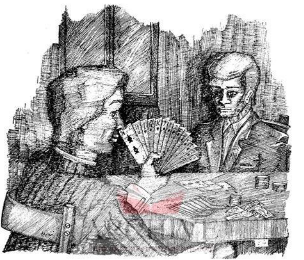
– أعدك ألا أنساها •

عندئذ همس الوالد بصوت تخنقه العبرات :

– انك لفتى كريم الأخلاق •

وفى « مونت كارلو » ، اشترك نيقولا فى دورة التنس ولم يتغلب على أى من « أوستن » أو « فون جرام » – البطلين الماهرين – ولكنه مع ذلك لم يتخاذل ، بل أحرز انتصارا مفاجئا ضد لاعب أسبانى ، كذلك أبدى تفوقا ضد لاعب من استراليا فجذب انظار الحاضرين اليه ، وامتلأت نفسه زهوا وسرورا ، كما أثنى عليه « الكولونيل برابازون » وشجعه باخلاص وأفهمه أنه فى المستقبل القريب سوف يزداد خبرة وكفاءة بالاشتراك مع لاعبى الصف الأول ، وسيكون الفضل فى ذلك لوالده الذى أتاح له هذه الفرصة الذهبية •

غمرت الفرحة نفس « نيقولا » عندما فكر فى أن يوم العودة الى الديار قد دنا • وعملا بنصيحة والده ، أمضى تلك الأيام الثلاثة على خير مايكون من الاستقامة والخلق الحميد ، فلم يدخن الا قليلا ، أما الخمر فلم يقربها ، كما اعتاد أن ينام مبكرا • ولكن فى الليلة الأخيرة شعر برغبة ملحة فى أن يعرف شيئا عن الحياة فى « مونت كارلو » تلك المدينة الصاخبة التى طالما سمع عنها الشىء الكثير • وفى هذه الليلة بالذات دعى جميع اللاعبين – الذين اشتركوا فى الدورة الرياضية – الى مادبة عشاء رسمية أقيمت لهم – وبعد تناول العشاء ذهب نيقولا مع زملائه الى نادى سبورتنج للمرة الأولى •• ويالعجب ما رأى !! حجرات عديدة غاصة بالناس •• دخل احداها مترددا ووجد نفسه يقف أمام احدى موائد « الروليت » – هوية الميسر المعروفة – والتى لم يرها قط الا فى بعض الصور ••• مائدة خضراء فى الوسط – رصت عليها أكوام من « الفيش » • يقف أمامها المشرف على اللعبة الذى أخذ يدفع العجلة دفعة قوية ، ثم يقذف بكرة بيضاء صغيرة فى الداخل ، وبعد برهة قصيرة توقفت الكرة وقام شخص آخر



بجمع « الفيش » من الخاسرين وفرده على المائدة دون أدنى اكتراث .. وقف « نيقولا » مشتت الفكر مذهولا ، وفجأة لمح في الغرفة المجاورة جمعا آخر من الناس فدلف اليها مستطلعا علم من بعض الحاضرين أنها لعبة ميسر أخرى تسمى « الباكاراه » وكانت قائمة آنذاك في أوج نشاطها ـ رأى حشدا كبيرا من المتفرجين يقف خلف قضبان من الناس يحمى المقامرين من صخب القوم وضجيجهم ـ أما اللاعبون فكانوا يجلسون حول المائدة في نظام ، تسع في كل جانب بينما وقف في الوسط المشرف على اللعبة في مواجهة المقامر ـ

وقد عرف نيقولا أن المقامر كان عضوا في الاتحاد اليوناني لأصحاب رؤوس الأموال . لقد أدهشه منظر ذلك المقامر وقد بدا ساكنا هادىء النفس في جميع الأحوال سواء ربح أم خسر ... حقا انه لمشهد عجيب حقا لاسيما بالنسبة لشاب « كنيقولا » نشأ في بيئة صالحة بعيدة كل البعد عن هذا الجو الصاخب المثير ـ وكيف لا تصعقه الدهشة وقد رأى شخصا يخاطر بآلاف الجنيهات في المقامرة ثم يقابل الخسارة بدعابة مرحة . وانه لفي غمرة ذهوله اذا بصديق له يبادره القول :

ـ ترى هل حالفك الحظ ؟

ـ انني لم أقرب اللعب .

ـ لقد أنصفت يا صديقي انها لعبة لعينة .. تعال معي نأخذ بعض الشراب

ـ حسنا .

وبينما جلس الصديقان يشربان أخبر نيقولا صديقه بأنه لم يدخل تلك الحجرات الا في تلك الليلة ولمجرد اشباع فضوله .

قال الصديق معقبا :

ـ ولكن يجب ياعزيزي أن تجرب حظك ولو مرة واحدة قبل أن تغادر « مونت كارلو » وأعتقد أنه لن يضيرك أن تخسر مبلغا زهيدا كمائة فرنك مثلا .

أجاب نيقولا بعد تفكير :

ـ حقا ماتقول ، ولكن يمنعني من ذلك أمور ثلاثة حذرني منها والدي قبل الرحيل ونهاني عنها ، وكانت المقامرة احداها .

وانتهى الحديث وانصرف الصديق ، أما « نيقولا » فعاد من جديد حيث مائدة « الروليت » . وأخذ يرقب اللاعبين هذه المرة بحماس كبير يفوق المرة الأولى . يا له من مشهد مثير للغاية .. فريق يخسر أمواله ثم يلقي بها في نفس الوقت الى أيدي الرابحين .. وأخذ يهجس في نفسه :

... حقا لقد أصاب صديقه عندما قال انه من الحمق أن يغادر « مونت كارلو » دون أن يجرب حظه في اللعب ولو مرة واحدة .. ولكن مع ذلك لم تنبعث فيه رغبة من هذا القبيل بادىء الأمر . وما لبث أن تزاحمت الخواطر في رأسه ..

انها لن تكون سوى تجربة .. أليس من حق كل شاب في مثل سنه أن يخوض جميع التجارب ليفرق بين الطيب والخبيث ... انه لم يعد والده بعدم المقامرة .. كلا .. ولكنه وعده ألا ينسى وصاياه .. وشتان بين الوعدين .. أليس كذلك ؟ وهكذا حاول أن يقنع نفسه بصحة تفكيره ثم أخرج من جيبه رزمة مالية من فئة المائة فرنك وبخجل المبتدىء وتهيبه وضعها على العلامة التي تشير الى رقم ١٨ ـ وقد اختار هذا الرقم بالذات لأنه عدد سنوات عمره . وبقلب واجف ونظر زائغ أخذ يرقب العجلة في دورانها ـ أما الكرة البيضاء فكانت ثائرة كالشيطان الصغير ينبعث منها أزيز هدو .. وسرعان ماخف دوران العجلة وهدأت معها حركة الكرة حتى أوشكت على التوقف ، ولكنها عادت من جديد واستمرت في دورانها .. لم يصدق « نيقولا » عينيه عندما رآها تقف تماما على رقم ١٨ .. وبيد مرتجفة تناول قطع « الفيش » التي ألقيت اليه .. استولت عليه الدهشة ولم يفكر قط أن يعاود اللعب .. بل وقف يشخص في ذهول الى العجلة فرآها تدور من جديد ثم تتوقف وتشير الكرة الى نفس الرقم السابق .. رقم ١٨ .

وأفاق نيقولا من ذهوله على صوت رجل كان يقف بجواره ، سمعه يصيح :

ـ حظ سعيد .. لقد ربحت مرة ثانية .

أجاب نيقولا في دهشة :

ـ أتعنيني أنا ؟

ـ نعم . ان « الفيش » الذي كان

على رقم ١٨ يخصك .. وكما تعلم [illegible] يعنى انك لاتزال فى مركز اللاعب حتى تعيده اليك .

وهكذا ربح نيقولا مرة أخرى وألقى اليه من جديد بمجموعة من الفيش .. شعر بدوار وهو يعد أرباحه فيجدها فى مجموعها سبعة آلاف فرنك .. لقد ملأه الغرور آنذاك واستولى عليه شعور عجيب بالقوة الخارقة .. يا لها من طريقة يسيرة لكسب المال !!

لقد بدا وجهه البرىء متهللا ينضح بالبشر ، وقد انعكست على صفحته ابتسامة عريضة .. نظر أمامه فالتقت عيناه بعينى امرأة كانت تقف بالقرب منه .. قالت له بالانجليزية التى تشوبها لكنة أجنبية :

ـ ان الحظ يحالفك ..

أجابها شاردا :

ـ انى أكاد لا أصدق ماحدث ، فهذه هى المرة الأولى التى أقامر فيها .

قالت على الفور :

ـ انى أصدقك فان تصرفاتك تؤكد ذلك.. والآن هلا أقرضتنى ألف فرنك، لقد فقدت كل ما أملك فى المقامرة ... وسوف أردها اليك خلال نصف الساعة القادمة .

أجابها نيقولا الى طلبها ، فشكرته وانصرفت .

وفى هذه اللحظة سمع نيقولا الرجل الذى كان يحدثه من قبل يوجه اليه القول :

ـ انك لن ترى هذا المبلغ أبدا .. لقد ذهب مع الرياح الأربع ..

صعقته هذه العبارة المقتضبة فلم ينبس ببنت شفه ... وتزاحمت فى ذهنه الخواطر .. ألم ينصحه والده بألا يقرض مالا لأحد .. بالها من حماقة تلك التى ارتكبها بطيشه ورعونته .. لقد غلبته الشفقة والرحمة فأقرض ماله لشخص غريب لم يره من قبل .. وعلى كل لاداعى للأسى ، فانه لايزال يحتفظ بستة الاف فرنك . ثم وسوس له الشيطان .. لما لا تعاود اللعب .. فان خانك الحظ فلتسرع بالعوده الى مسكنك .. هيا تشجع وكن رجلا ... تملكته الرغبة الملحة فى أن يقامر من جديد .. حاول أن يقاومها ولكنه لم ينجح .. وانتهى به الأمر بأن وضع « الفيش » على رقم ١٦ الذى يتفق وعمر شقيقته الكبرى ، لكن كان نصيبه الفشل . لم يتسرب اليأس الى نفسه وأصر على محاولة جديدة .. فوضع « الفيش » على رقم ١٢ وهو عمر شقيقته الصغرى ولكن الحظ أصر هو الآخر على التنكر له . غمره شعور عميق بالفشل جعله يتردد لحظة قرر بعدها معاودة المقامرة .. وفعلا لعب وربح . لقد عوض خسارته ، وفوق ذلك كسب مبلغا كبيرا .. تم كل ذلك فى أقل من نصف ساعة كانت حافلة بشتى الانفعالات والمفاجآت المثيرة التى لم يعرفها من قبل .

لقد وجد نفسه أمام أكوام عديدة من « الفيش » التى ضاقت جيوبه عن حملها .. وقبل أن يعود الى فندقه توجه الى مكتب الصراف ليحول « الفيش » الى نقود . وفى لحظة تسلم أوراقا نقدية قيمتها عشرون ألفا من الجنيهات ، دسها بلهفة فى جيبه وهو شارد الفكر . هم بالانصراف واذا به يلمح المرأة التى أقرضها الألف فرنك تقبل نحوه مسرعة .. قالت :

ـ لقد بحثت عنك فى كل مكان كالمجنونة ، ذلك أننى خفت أن تكون قد

ذهبت وانت تحمل أسوأ الذكرى عني ..

ثم مدت اليه يدها ببعض النقود قائلة :

ـ اليك العشرة آلاف فرنك قيمة الدين أردها اليك شاكرة .

تخضب وجه نيقولا بحمرة الخجل وأخذ يشخص اليها بدهشة وأسف ، واستغرق لحظة في تأملات متباينة ... كم كنت ظالما في حكمي على هذه السيدة .. لقد حذرني والدي من المقامرة وها أنذا قد فعلت وربحت عشرين ألف فرنك ، كذلك أوصاني بألا أقرض مالا لأحد وخالفته مرة أخرى وأقرضت امرأة غريبة مبلغا من المال وها هي ترده الي كاملا .. لقد برهنت على أنني لست غبيا أحمق كما اعتقد والدي ... ان ماشجعني على اقراضها هذا المال شعور نبع من أعماق الحق على أن أفعل .. يا له من شعور صادق .

بدا نيقولا وقد انعكست على وجهه صورة تلك الانفعالات الثائرة مما دعا تلك السيدة أن تغرق في الضحك وتسأله مستفسرة :

ـ ماذا دهاك ؟ أجابها بسذاجة :

ـ أصارحك دون مواربة . لقد خامرني الشك أنك لن تعيدي الى هذا المال .

أجابته على الفور وهي تفتعل الغضب :

ربأه .. كيف ذهبت بك الظنون الى هذا الحد : أهكذا أبدو خائنة ! ؟

أجاب نيقولا بخجل وأسف :

ـ عفوا .. عفوا ، انني ما ظننت شيئا من هذا .

كانت تبدو أنيقة في فستانها الأسود وقد تحلت بعقد ذهبي اللون ، زادها فتنة وجمالا ـ أوحى وجهها الصغير بأنها لا تكبره الا بثلاثة أو اربعة أعوام على الأكثر . وبعد لحظة قصيرة نظرت اليه السيدة بود وتابعت الحديث :

ـ ان زوجي يعمل في حكومة مراكش ، وقد اذن لي بالمجيء الى مونت كارلو لبضعة أسابيع طلبا للراحة والاستجمام .

وقال نيقولا بعد جهد كبير : أما أنا فاني على وشك العودة الى دياري .

فقالت متسائلة : أبهذه السرعة ؟

ـ نعم في الصباح الباكر ، سوف أعود الى لندن بالطائرة .

ـ لقد انتهت الدورة الرياضية اليوم ، أليس كذلك ؟ . أظنك لا تعلم انني كنت أتابعك وانت تلعب ، وأعجبت كثيرا بك .

فقال نيقولا وقد ملأه الغرور :

ـ أحقا ماتقولين . ؟؟ ولكن ما الذي استرعى نظرك في ؟

ـ مهارتك في اللعب ورشاقة مظهرك وانت ترتدي الشورت .

كان نيقولا شابا ذكيا ، ولذا خامره الشك بادىء الأمر في أمر هذه الحسناء وراودته الوساوس : ترى هل اقترضت منه هذه الحسناء ذلك المبلغ بقصد التعرف عليه ؟

مرت لحظة سالته بعدها :

ـ هل ذهبت الى نادي «نيكر بروكر» الليلي من قبل ؟

ـ كلا لا أعرف عنه شيئا .

ـ انه مكان جميل ويجب ألا تغادر مونت كارلو دون أن تقضي فيه بعض الوقت ..

أتود أن ترافقني الى هناك لنرقص قليلا ونتناول بعضا من لحم الخنزير والبيض فاني أصارحك ـ أشعر بجوع شديد .

وفي هذه اللحظة أيضا تذكر «نيقولا»

نصيحة أبيه الأخيرة ·· نعم ألم يحذره من النساء ؟

ولكن الأمر يختلف · ان هذه الحسناء تبدو لأول وهلة أنها سيدة فاضلة ثم ان زوجها كما أخبرته يعمل كمراسل مدنى فى مراكش · وتذكر أن لوالديه أصدقاء عديدين يشغلون هذا المنصب وكثيرا ما رأى زوجاتهم يتناولن العشاء مع أسرته فى البيت · حقــا ان تلك الزوجات لم يكن على هــذا القدر من الجمال أو الشباب ولكنها على أى حال سيدة محترمة مثلهن ··

وسوس له الشيطان مرغبا :

ــ لقد ربحت عشرين ألف فرنك دون جهد أو عناء ، ومن حقك أن تلهو قليلا بمبلغ منها ·

ولما استجاب «نيقولا » له واقتنع نفسه بصحة ما أملاه عليه · قال لها مرحبا :

ــ يسعدنى يا سيدتى أن أرافقك الى هذا المكان ·· ولكننى لن أمكث فيه طويلا لأننى تركت تعليمات فى ادارة الفنــدق الذى أقيم فيه تقضى بايقاظى فى الساعة السابعة من صباح الغد ·

وأجابت راضية :

ــ لك أن تعود وقتما تشاء يا عزيزى

وهنــاك فى نادى « نيكر بروكر » استمتع نيقولا بوقت جميل · كان يلتهم البيض ولحم الخنزير التهاما ، ثم احتسى معهــا زجاجة من الشراب · ولما لعبت الخمر برأسه راقصها بنشــوة وسرور على أنغام الموسيقى وشدو الغانية الدافئ العذب · تســابق الراقصون ورفيقاتهم الى حلبة الرقص واخذ الجميع يتمايلون فى مرح على دقــات الطبول · اقتربت السيدة من « نيقولا » وهى تراقصــه فتلامست وجنتاهمــا وتلاقت نظراتهما ولمع فى عينيهـا بريقا غامضــا جعله يترنح فى خطاه وســمعها تهمس فى أذنه :

ــ ألم يخبرك أحد من قبل أنك شاب وسيم ؟

ابتسم « نيقولا » بزهو وقد شاعت فى نفسه خلجة من الغرور قال :

ــ لا ·· لا أظن ذلك ·

ثم أطرق وقد أيقن أنها لا بد وقد شغفت به · واخذ يضــمها اليه برفق حان فاستسلمت بين ذراعيه ، وأغمضت عينيها فى دلال ، وأرسلت من بين شفتيها تنهيدة خافتة فهم نيقولا معناها فقال :

ــ أرى انه ليس من اللائق يا عزيزتى أن أقبلك أمام هذا الجمع من الناس ·

ثم أبدى رغبة فى الانصراف خشى أن يتقدم به الوقت أكثر من ذلك ، فقالت على الفور :

ــ يجب أن أذهب أيضــا ·· هــلا تفضلت فأوصلتنى الى فندقى فأكون لك شاكرة ؟

دفع نيقولا الحساب وقد أدهشــــه ضــخامة المبلغ ولكنه لم يكترث كثيرا بالأمر بعد أن تذكر المال الوفير الذى فى جيبه ·

استقلا بعد ذلك ســيارة أجره ، وما لبثت ان اقتربت منــه فى اغراء ، فقبلها فى غيبة من نفسه ولما أفاق وجد نفسه يتمتم فى ذهول :

ــ رباه ·· ماذا دهانى !!

وتزاحمت الخواطر فى رأسه : انهـا سيدة متزوجة ،وزوجها يعمل فى مراكش ولكن يبدو واضحا أنها قد أغرمت به ، ومرة أخرى تذكر وصية أبيه ·· لقد حذره من النساء ووعده حينذاك أن يكون عند رأيه فلا ينسى وصيته ·· وها هو قائم على وعده ·· نعم ألا يذكر وصاياه

دائما !! ، انها لا تزال عالقـة بذهنه يذكرها في كل وقت وآن ولكنها الأحداث التي تغير مجرى الامور ·· ثم انهـا شابة جميلة ·· ومن الحمق حقا ان يدع مغامرة ممتعة كهذه تفلت منه بعـد أن سعت اليه مختارة · وبعد وقت قصير توقفت السيارة أمام الفندق الذى تقيم فيه رفيقته ، فصرف السـائق بعد أن نقده الاجرة ثم التفت اليها محييا وقال

– خير لى أن أسير الى فندقى لاستنشق نسيم الليل النقى بعد أن امتلأت رئتاى بفاسد الهواء الذى انتشر فى ذلك المكان الصاخب ·

نظرت اليه بود وقالت ترجوه :

– هلا صعدت معى الى غرفتى فأريك صورة طفلى الصغير ·

صاح متعجبا :

– أحقـا ما تقولين ؟ هل لك طفل صغير ؟ ·

– نعم انه طفل جميل جذاب ·

ثم صعدت الى غرفتها وتبعها الشاب · وفى الواقع لم يكن يعنيه البتة أن يرى صورة صـغيرها كما ادعى ذلك ، انما كان محض وهم خدع به نفسه ليسـتتر خلفه فيخفى حقيقة رغباته · ثم ساورته الشكوك ·· ترى ماذا تقصـد من وراء طلبهـا هذا ؟ هل فضـحته تصرفاته الصبيانية معها فى النادى فبدا أمامهـا حديث السن ولذا دعته الى غرفتهـا لمجرد أن تريه صورة طفلها · فتؤكد له حقيقة رأيها فيه · ولها الحق فيما ظنت ألم يخبرها أنه فى الثامنـة عشرة من عمره ؟

ثم شعر بوخز الندم على ما نفقه فى ذلك النادى ثمنا للشراب · وبعد أن صارا معا فى غرفتهـا انتظر أن تأتيه بصورة صغيرهـا ولكنها لم تفعل بل أسرعت اليه تعانقه وطبعت على شفتيه قبله حانيه أودعتهـا كل معانى الحب ، وفى تلك اللحظة لمحت فى خاطره ولبرهة قصيرة ، وصية أبيه تذكره بسـابق وعده ·· ولكنه فى غمرة تلك النشوة نسى كل شىء ·

وكان من طبيعة نيقولا أن يستيقظ من نومه لأقل صوت ، ولذا تنبه فجأة من نومه فى جوف الليل على صوت خفيض · حاول أن يتذكر أين كان ولكنه لم يستطع بادىء ذى بدء · لم تكن الغرفة مظلمة تماما فقد تسرب اليها شـعاع خافت ينبعث من غرفة الحمام المجاورة · وفى اللحظة التالية تبين أن هناك شخصـا يتحرك بهدوء وتمهل فى الغرفة ، عندئذ تذكر كل شىء ، انها رفيقة ليلته وكاد ينطق لولا أن شيئا غامضا فى مسلكها آنذاك حبس الكلام فى حلقه · ذلك أنها كانت تتحرك بخطى وئيدة وكأنها تخشى أن توقظه · اقتربت من سريره أكثر من مرة لتتأكد من أنه فى سبات عميق ، ثم اتجهت بحذر وتردد نحو المقعد الذى كان قد وضع عليه ملابسه وانتظرت لحظة بدت وكأنها دهر من فرط القلق · بلغ السكون أقصاه حتى خيل الى « نيقولا » وهو يرقد فى الفراش وكأنه يسمع دقات قلبه ··· تنـاولت معطفه بهدوء بالغ وبسرعة دست يدهـا الآثمة فى جيب معطفه الداخلى فأخرجت أوراق النقدالتى ربحها من وقت قصير وكان مزهوا بها ، ثم أعادت المعطف الى مكانه ووضـعت فوقه بعض الملابس الاخرى لتخفى معالم جريمتها · أمسكت رزمة الأوراق المالية ووقفت لحظة مشدوهة زائغة البصر لاتبدى حراكا · صعد الدم فى رأس « نيقـولا » وهو يراقب هذه الاحداث المثيرة المتعاقبة وكاد يقفز من سريره فيقبض على الخائنة

لولا فكرة طارئة لمحت في خياله فأنزلت على نفسه الهدوء والسكينة • لقد أدرك أنه في فندق اجنبي ببلد أجنبي كذلك ، ولا يدري ما يخبئه له القدر ان هو أحدث ضجة أو أثار مشاغبة • ظلت تشخص اليه وهو يرقد في سريره ساكنا مغمض العينين فخالته مسترسلا في نوم عميق • وزاد من يقينها ان تنفسه كان هادئا منتظما • سكنت نفسها بعض الشيء ، وتقدمت خطوات وئيدة متحفظة نحو منضدة تواجه نافذة مقابلة للسرير ، وضع عليها اصيص به نبات للزينة

ـ ظل نيقولا يتابع حركاتها بدقة متناهية ، فلاحظ أن النبات لم يكن ثابتا في الاصيص اذ أنها قد أمسكت ساقه بيدها ورفعته بسهولة ، وفي لمح البصر دست أوراق النقد في قاعه وأعادت النبات الى مكانه الأول •• يا له من مخبأ أمين بعيد عن الشبهات ••

وفي جوف الليل البهيم ووسط هذا السكون الشامل تسللت بحذر بالغ حتى اقتربت من السرير فألقت بنفسها عليه بسرعة وهدوء ثم همست بصوت متثائب :

ـ عزيزي •• !!

لم تسمع لهمستها ردا • أخذت تقلب البصر في صديقها فألفته ساكنا يغط في نومه • ابتلعت ريقها وهدأ روعها رويدا رويدا • حقا ان نيقولا كان يبدو هادئا في ظاهره ، ولو ان أفكاره في الواقع كانت ثائرة مضطربة من هول ما شاهد من أحداث متلاحقة •

أخذ يهجس في نفسه بسخط حانق :

ـ هراء ونفاق كل ما قالته تلك الفاسقة •• طفلها الصغير •• زوجها الذي يعمل في مراكش •• رباه •• انها ليست الا شيطانة فاسدة ولصة محترفة لقد ظنت أنني طفل أبله ساذج •• ولكنها سوف ترى أنها قد أخطأت الظن فعلا •

ومما ضاعف من ثورته انه كان قد رسم خطة في خياله ، بعد تفكير طويل ينفق بمقتضاها الأموال التي ربحها بمهارته ـ كما كان يزعم ـ فلطالما تاقت نفسه أن يمتلك سيارة خاصة ، وظن أنه حلم بعيد المنال ، لاسيما بعد أن فشلت محاولاته العديدة في اقناع والده بأنه يهبه واحدة ••• أما وقد ربح مالا وفيرا ، فلا شك أنه قادر على أن يحصل على سيارة فاخرة •

ـ ولو مستعملة من ماله الخاص •• حقا ان هذا المال ليس في حوزته الآن ، غير انه موقن بقدرته على استرجاعه •• ولكن كيف له ذلك ؟ هذا ما لم يدركه تماما • لقد طارد فكرة اثارة شغب في فندق يجهل أموره كل الجهل • ومن يدري فربما كان لهذه المرأة الشريرة أعوان يقيمون فيه ، وعلى أهبة الاستعداد للتصدي له ومقاتلته اذا لزم الأمر •

ثم خطر له أمر آخر هام •• انه لا يملك أي دليل على أحقيته لهذا المال •• فلو فرض وأقسمت هذه المرأة أمام الجميع انها المالكة الشرعية له ، فلا مناص حينذاك من القبض عليه كمذنب وتسليمه الى ادارة الشرطة •

التهب رأسه من حدة ذلك الصراع الذي كان يتفاعل في نفسه • وأفاق بعد لحظة من هواجسه على صوت تنفسها الهادىء المنتظم فادرك لساعته أنها تعيش مع أحلامها السعيدة قريرة العين •• ولم لا ! وقد اطمأن بالها بعد أن نفذت خطتها باحكام ونجاح كبيرين •

لقد ازداد سخطه عليها عندما رآها

تنام سعيدة مطمئنة بينما هو ٠٠ صاحب الحق يتقلب على جمر من النار من فرط القلق ٠ وفجأة خطرت له فكرة طريفة طارئة ، كاد لشدة اقتناعه بها أن يقفز من سريره لينفذها فى الحال ، لولا أنه تماسك بجلد وتحكم فى أعصابه كيلا يفلت الزمام من يده ٠ ثم أخذ يستعرض هذه الفكرة ويتأمل فى عمق ٠

كم هو يسير أن يلعب اثنان نفس اللعبة ، أو أن يقوم شخصان بنفس العمل ٠٠ ان هذه المرأة الخائنة قد اختلست ماله ، وليس عليه الا أن يعمل نفس الشىء فيعيده اليه ، فيصبحان بذلك متساويين ٠٠ مرت لحظة بدت على قصرها دهرا طويلا ٠٠ ظل فيها يراقبها عن كثب فاذا بها ترقد ساكنة وقد غابت عن نفسها فى غفوة ملحة ٠٠ وبعد تردد همس بصوت مسموع :

ـ حبيبتى ٠٠

ولكنها كانت ترقد فى عالم بعيد غير الذى يعيش فيه ٠

أخذ يزحف من الفراش بهدوء ، ثم يتوقف بين لحظة وأخرى ليمسك أنفاسه ويراقبها بدقة ، حتى استطاع آخر الامر أن يتسلل تماما من السرير ٠٠ وقف برهة على الأرض ساكنا لا يتحرك ، يشخص اليها بعين مستطلعة ليتأكد من استرسالها فى النوم ، وفى نفس الوقت كان يتعرف على موضع أثاث الغرفة بدقة متناهية حتى لا يخطئه التقدير فيتخبط فى مقعد أو منضدة ، وتفسد الضجة بذلك خطته ٠ تقدم خطوتين انتظر بعدهما لحظة ثم تلاهما بخطوتين أخيرتين كان يتنقل فى خفة الطير ولذا لم يسمع لوقع أقدامه صوت ٠ مرت خمس دقائق استطاع بعدها أن يصل الى النافذة ولكن فى هذه الآونة سمع صريرا خافتا ينبعث من السرير ٠ فجمد الدم فى عروقه وأطرق مشدوها ، ولكن سرعان ما أدرك السبب وهو أن المرأة كانت تتقلب فى فراشها وهى نائمة ٠ ومع ذلك ظل ساكنا مدة ليست بالقصيرة حتى تأكد تماما أنها لاتزال نائمة ٠ وبحذر بالغ أمسك بيده ساق النبات فرفعه برفق خارج الأصيص بينما دس يده الاخرى فى داخله ٠٠ وما أن لمست أصابعه أوراق النقد القابعة فى قاعه ، حتى ارتعدت أوصاله وكاد قلبه أن يقفز الى حلقه ٠٠ أطبق بيده عليها وأخرجها بسلام ٠ وبسرعة أعاد النبات الى مكانه وضغط التراب بعناية حتى ساوى حافة الوعاء ٠ وبعين يقظة ظل يرقب المرأة فى مخدعها فيراها ترقد ساكنة ،وعندئذ زحف بهدوء الى المقعد حيث توجد ملابسه ٠ أسرع أولا بوضع النقود فى جيب معطفه الداخلى ، ثم شرع فى ارتداء ملابسه استغرق فيه نحو ربع ساعة تقريبا ذلك أنه حرص ألا يصدر عنه أدنى صوت ٠

وعلى الرغم من اضطرابه الشديد ، كان يحس شعورا بالارتياح والغبطة يغمر كيانه ٠ أتم وضع ثيابه بسلام ٠٠ أما الحذاء فقد آثر ان يلبسه خارج الحجرة حتى لا يحدث صوتا اذا مشى ٠ فالتقطه بيده وتسلل بخفة متناهية حتى وصل الى الباب ٠ عالجه بعناية فوجده موصدا أدار المفتاح بحذر ولكنه مع ذلك انبعث منه صرير « مسموع » أفاقت المرأة على أثره من النوم وهبت مذعورة تجلس فى الفراش وهى تصيح فى هلع :

ـ من هناك ؟!

تسمر نيقولا فى مكانه وقد تجمدت عضلاته ولكنه مع ذلك حاول أن يتماسك وأجابها على الفور بهدوء مصطنع :

ـ أنا يا عزيزتى ٠٠ ان الساعة الآن

السادسة ، وعلى أن أعود الى فندقى . كما تعلمين لأستعد للرحيل . لقد حاولت جهدى ألا أزعج نومك ..

قالت متناومة :

– آه لقد نسيت هذا الامر .. ثم ارتمت فى الفراش من جديد .

وتابع نيقولا الحديث :

– أما وقد استيقظت بالفعل ، فلا ضرر اذن من أن ألبس حذائى هنا .

ثم جلس على حافة السرير ولبس الحذاء ، وعندئذ تثاءبت المرأة بتكاسل وقالت :

– ارجو الا تحدث صوتا وأنت تغادر الفندق حتى لا تزعج أحدا .. آخ انى أشعر بميل كبير للنوم .

– اذن حاولى أن تواصلى نومك الآن .

– ولكن قبلنى قبل أن تذهب ياعزيزى

ولما قبلها وهم بالانصراف همست بصوت عطوف :

– يا لك من فتى لطيف ، وحبيب نادر المثال .. أتمنى لك سفرا موفقا سعيدا .

انصرف نيقولا ولكن لم تعد الطمأنينة الى نفسه الثائرة الا بعد أن غادر الفندق تماما ووجد نفسه فى الطريق . كان الفجر آنذاك قد انبثق فالبس الكون حلة باهرة . وقف يتطلع الى السماء الصافية ، ويستقبل نسيم الفجر العليل يملأ به صدره ، ليستمد منه القوة والنشاط . وعلى مد البصر ألفى قوارب الصيد وسفن النزهة تنتشر فى صمت فوق صفحة النهر الساكن . واصل المسير بخطوات مترنحة فوق الهضبة وبين حوائق الرياحين .

كانت الأزهار الجميلة تطل مشرقة فوق أغصانها ، وقطرات الندى الشفافة تترقرق على أوراقها فتزيدها رونقا وبهاء – حقا لقد كانت الطبيعة تلبس أجمل حليها فتأخذ بشغاف القلوب – وهكذا ظل هائما فى تلك الجنة الحالمة حتى وصل الى فندقه وكان الوقت أول الصباح .

كان أول ما رأى ، السعاة ، فى زيهم التقليدى وهم منهمكون فى تنظيف الشرفة الواسعة .

صعد الى غرفته وأسرع يخلع ملابسه ثم غطس فى حمام ساخن . أخذ يستعرض الأحداث القريبة المثيرة فغمرته موجة من السعادة والرضا ، ذلك أنه لم يكن غبيا كما اعتقد بعض الناس ... ثم قام ببعض التمرينات الرياضية وارتدى ملابسه . وبعد أن حزم أمتعته نزل لتناول طعام الافطار الذى تكون من ألوان شهية من الطعام كالحساء والبيض واقراص من لحم الخنزير وشرائح السمك المشوى وقليل من المربى ، وثلاث أقداح من القهوة ، التهمها جميعا التهاما ، ثم اشعل الغليون . الذى تعلم تدخينه حديثا . وبعد أن دفع الحساب هرول خارج الفندق فقفز فى السيارة التى كانت تنتظره هناك لتقله وباقى المسافرين الى المطار . سلكت السيارة طريقا مرتفعا حتى مدينة « نيس » ، يمتد البحر من تحته فى روعة وجلال . ثم انطلقت بعد ذلك فى طريق طويل ممهد فى مستوى سطح البحر .

كان جميع المسافرين يشعرون بسعادة غامرة . وقد ألفت صداقة الطريق بين قلوبهم .

استسلم « نيقولا » لمد الحوادث يغمره ، وتعاقبت أمامه ذكريات الاحداث الأخيرة .. وبعملية حسابية بسيطة أخذ يعد نقوده فى مخيلته . لقد دفع الحساب من النقود التى أخذها من والده وليس

من نقوده الخاصة التى ربحها فى الليلة الماضية . وفى نادى « نيكر بروكر » أنفق حوالى ألف فرنك ثمنا للعشاء والشراب . أما الألف فرنك التى اقترضتها منه صديقته الخائنة ، فقد ردت اليه كاملة . اذن لا بد وأنه يحتفظ فى جيبه الآن بمبلغ عشرين ألف فرنك . تاقت نفسه أن يلقى عليه نظرة ليطمئن قلبه ، ولم لا وقد تضاعفت قيمته بعد أن كان يفقده فى تلك الليلة الغبراء . وبيد ملهوفة أخرج رزمة الاوراق المالية من جيبه وأخذ يعد محتوياتها بدقة متناهية فاكتشف لدهشته البالغة ان المبلغ عبارة عن ست وعشرين ورقة مالية ذات الالف فرنك وكان يجب أن يكون عشرين ورقة فقط ـ استولت عليه الحيرة واختلط عليه الأمر فاخذ يفكر .. ربما أخطأ العد ، اذن فليعده من جديد مثنى وثلاث بتريث وهدوء .. ولكنه تأكد أخيرا أنه لم يكن مخطئا فى المرة الأولى .

اذن كيف أصبح مبلغ العشرين الف فرنك ، ستا وعشرين ألفا ومن أين له هذه الزيادة ؟ أيكون هذا هو حقيقة المبلغ الذى ربحه فى نادى الجزيرة بالأمس ، ولم يدر آنذاك ، لفرط اضطرابه ... ولكن لا يمكن أن يكون ذلك أبدا ، فهو يتذكر تماما وبوضوح بين أن الصراف وضع أمامه أوراق النقد فى صفوف أربعة ، فى كل صف خمس من الاوراق المالية ذات الالف فرنك .. ثم انه يتذكر تماما كيف أعاد عدها عدة مرات ليتأكد أنه لم يخطىء ....

وفجأة أدركته فكرة فسرت له ما غمض من الأمر . ذلك أنه عندما رفع النبات من الأصيص ودس يده فى قاعه ، انتزع كل ما كان موجودا بداخله ، أى انه استولى على ماله بالاضافة الى مدخرات تلك المرأة الفاسدة .. ولا غرابة فى ذلك فلا شك أنها اتخذت من الاصيص صندوقا تدخر فيه أموالها الخاصة .

اعتدل نيقولا فى جلسته وانفجر ضاحكا .. يا لها من حادثة مثيرة حقا . واسترسل فى ضحكه عندما تخيلها وقد استيقظت فى الصباح فأسرعت الى الاصيص ترفع النبات لتمتع ناظريها بمشاهدة المال الذى استولت عليه بمهارتها ، ولكن تصفعها الصدمة عندما تبين انها قد فقدته بل وفقدت معه كل ما ادخرته من مال . وفجأة كف عن الضحك وأطرق يفكر فى وجوم .. انه لا يعرف اسمها ، كما لا يعرف اسم الفندق الذى تقيم فيه .. وبذلك فلن يتمكن من رد مالها اليها ان هو رغب فى ذلك ، ثم أخذ يتمتم :

ـ لقد نالت جزاءها على أى حال !

كانت هذه القصة التى سرد هنرى جارنيت حوادثها على أصدقائه وهم جلوس حول مائدة البريدج ، تماما كما سمعها من ولده فى الليلة السابقة بعد أن عاد من « مونت كارلو » . وما ان وصل الى نهايتها حتى قال معلقا والغضب يتطاير من عينيه :

ـ ان ما يزعجنى حقا ، هو أن أرى ابنى وقد تغيرت أخلاقه فتملكه الزهو الزائف واستولى عليه الغرور القاتل وتشبث بمبادىء هدامة . أتدرون يا أصدقائى ماذا حدث بعد أن حكى لى قصته ؟ لقد نظر الى بعينين تشع منهما السذاجة وقال :

ـ لقد فكرت كثيرا يا أبت فى نصائحك التى أسديتها الى ليلة رحيلى الى « مونت كارلو » ، وحاولت جهدى أن أقنع نفسى بصحتها وصدق فحواها كما عودتنى دائما ، ولكنى عجزت عن ادراك ذلك

بعد أن حدث ما حدث كما رأيت . من واقع قصتى . هل تذكر وصاياك تلك يا أبى ؟ لقــد قلت لى : لا تقامر .. وقامرت وحققت ربحــا كبــيرا .. ثم نصحتنى : لاتقرض مالا لأحد ، وأقرضت المال ، كما رأيت ، ولكن رد لى كاملا غير منقوص . وأخيرا أوصيتنى : لاتقرب النساء ، وخالفت غير عامد فقربتهن ، وظفرت بستة آلاف فرنك !!

وما أن أتم هنرى جارنيت حديثه حتى انفجر رفاقه ضــاحكين . فنظر اليهم عاتبا وقال :

ـ لا شك أنكم تسخرون منى ، ذلك ان الأمر لا يعنيكم فى كثير أو قليل ، ولكنى أؤكد لكم انى أصبحت فى مركز حرج مهين . لقد كان الفتى من قبــل ينظر الى بعين الاجلال والاكبار ، يتخذنى مثله الاعلى دائما ، ويثق فى كل ما أقيد عليه ، يتبع نصائحى ولا يحيد عنها . أما الآن .. وأسفاه .. ! فهو يرانى بعين غير التى اعتاد أن يرانى بهــا .. نعم انه ينظر الى فى شك ، تماما كما ينظر الى عجوز أخرف .. لقد حاولت اقناعه بشتى الطرق ، بأن ما حققه من كسب مادى ليس مرده الكفاءة أو القدرة كما توهم ، وانما هو مجرد صدفة وحظ سعيد حالفه فى تلك المدة القصيرة ولكن مع الأسف فان الغــلام يصر على رأيه الخاطىء وعقيدته الواهية . ولا شك أنه لا محالة هالك .

وبعد برهــة عقب أحــد رفاقه على حديثه قائلا :

ـ ماذا دهاك أيها العجوز الأحمق . ليس منا من ينكر وجود الحظ ، وسعداء الحظ فى هــذا العالم ، الذين يحققون نجاحا ملحوظا دون كبير جهد أو عناء

أجابه هنرى على الفور :

ـ لم يغب ذلك عنى يا صــديقى ، ولكنى أومن بالعمل والاجتهاد والمثابرة قبل كل شىء ولا أعترف بالغرور الذى يؤدى بصاحبه . رباه .. ليس من العدل أن يلعب القدر لعبة خيرة كتلك ، على مثل هذا الفتى اليافع .

ثم عاد يسألهم فى توسل :

ـ ولكن بحق الســماء الستم معى أيها الاصدقاء أن نصــيحتى اليه كانت بحق صادقة أمينة ؟

ـ بلا شك ـ لقد صدقت فيما أوصيت به .

وواصل هنرى حديثه :

ـ وكان حريا بذلك الفتى القدير أن تحرق أصابعه ، طالما خالف النصيحة ولمس النار بيديه حتى يتعظ ويثوب الى رشده ؟ ولكن ما يؤلمنى انه لم يحدث له شىء من هذا ثم صمت برهة وتابع الكلام بصوت فيه رنة الحزن :

ـ لقد أدركتنى الحيرة وأعجزتنى الحيلة لذا أستحلفكم أن تشيروا على بســديد الرأى حتى أنجو من هذا الموقف الحرج .. فقد تعلمتم جميعا من الحياة دروســا لم يدركها الكثيرون .

نظر اليه الجميع واجمين وقال أحدهم وكان محاميا :

ـ خفف عن نفسك يا صديقى . ثق اننى لو كنت مكانك لما أزعجنى هــذا الأمر أو أثار مشــاعرى . ان فتــاك يا عزيزى ، انسان سعيد الحظ هــذا فى اعتقادى ـ وقد أثبتت تجارب الحيــاة المتباينة أنه من الأفضل أن يولد المرء والحظ معا فذلك خير من أن يولد ثريا أو أن يولد ذكيا .

تولستوى وآنا كارنينا

بقلم: روزمارى إدموندز
ترجمة: ماهر شفيق فريد

ذات يوم من شهر مارس ١٨٧٣ التقط تولستوى كتابا تركه احد اطفاله ، وشرع يقرأ منه لزوجته بصوت مرتفع : (وصل الضيوف الى المنزل الريفى) فهكذا كان مطلع حكاية بوشكين الشذرية • وعلق تولستوى قائلا : (هكذا ينبغى أن يبدأ المرء • ان بوشكين يضع قراءه رأسا فى وسط الحديث • اما سائر الكتاب فيصفون الضيوف والحجرات بينما يشرع بوشكين فى العمل فورا) •

وفى تلك الأمسية كتب تولستوى فى غرفة مكتبه الصفحات الاولى من (آنا كارنين) التى كان موضوعها ماثلا فى ذهنه منذ التحقيق الذى كان محوره شابة القت بنفسها تحت عجلات قطار قرب المحطة التى لاتبعد عن منزل تولستوى الا بأميال قليلة •

كان تولستوى حينذاك فى الرابعة والاربعين ، فى ذروة نضجه ، لم يختل بعد التوافق بين الفنان والاخلاقى فيه • وكان قد انتهى قبل ذلك ببضع سنوات من (الحرب والسلام) وما لبث (آنا كارنين) ـ وهى الأقرب الى الكمال ـ ان بلغت بالرواية النفسية فى القرن التاسع عشر نقطة ارتفاع المياه •

اننا نجد فى (آنا كارنين) ، بانوراما واسعة للحياة فى روسيا وللانسانية على وجه العموم ، ورغم ذلك لا يضطرب استمرار الحديث ابدا وتظل الشخصيات الرئيسية ماثلة فى المقدمة • ان تولستوى لا يومىء الى اى عظة اخلاقية : فهو يدع تحول اشكال المنظار يجسد معنى الكلمات المتأملة التى تلى العنوان • ونحن لا نحكم بشىء وانما نراقب ـ ليس أمامنا غير حل واحد : الرحمة والحب • ويقول دوستوفيسكى (وجد الشر قبل وجود البشر • واذ تدور بالبشر زوبعة الحياة ، يقترفون الجرائم ويموتون) • فآنا تطيع قوة الحياة ولكن لابد لها من أن تموت وليس للانسان أن يقيم سعادته على آلام انسان آخر ، بينما تضحى آنا بزوجها وابنها • وفى الفترة القصيرة التى ترقد فيها مهددة بالموت ، نجد أن الابطال الثلاثة ـ آنا نفسها وزوجها وعشيقها ـ يغدون بسطاء صالحين • على انه ما ان تسترد قواها حتى يعى الثلاثة عجزهم فى الصراع المقبل (حتى يضطروا الى فعل الشر الذى يعده العالم الوضع

الطبيعي) • ان وجودها الخاوي – كزوجة لكارنين – قد اظلم وعيهـا الروحي ، فنراها بلا مثل أعلى حقيقي تتعلق به ، وقد راح جنون شهواتها يلتهم ذهنها الشجاع شيئا فشيئا • ويخجل قلبها اذ يجد ان حياتها لم يعد لها هدف غير ادخال السرور على نفس عشيقها ثم تعذبها الغيرة وتأبى في رعب – لغرورها – ان تنجب اطفالا ولابد لها من ان تتناول المورفين اثناء الليل لتسكن من عذاباتها الى ان يلقى عذابها الداخلي المرير الى الموت تحت عجلات عربة البضائع في القطار •

وال جانب مأساة آنا تتطور قصة أخرى هي – من عدة نواح – تاريخ تولستوى وزوجته • ونجد ان نواحي الشبه بين القصتين لاتحصى : فغرام كيتي وليفين ليس الا نقلا لذكريات تولستوى العائلية مثلما نجد ان وفاة شقيق تولستوى تلك الوفاة المشئومة • ومنظر ميلاد طفل كيتي مستوحى مباشرة من رد الفعل العاطفي لتولستوى ازاء ميلاد طفله الاول • ويخلع تولستوى على ليفين قوته البدنية العظيمة وحبه للتربة والفلاحين والتغيرات السريعة التي تطرأ على حالته النفسية واندفاعه في تنفيذ افكاره الى أقصى الحدود وقدرته على ان (يدمر ويعيد خلق العوالم)كما انه كانت لتولستوى نفسه أجاثاميها لوفنا عجوز تدير منزله في ياسنايا بوليانا الى ان تزوج ! ثم هناك ذلك الشبه الوثيق بين طلب ليفين يد كيتي وطلب تولستوى يد زوجته اذ خط كلا الرجلين بقطعة طباشير على بطاقة مائدة الحروف الاولى من الكلمات التي كانا اشـد عصبية من ان يتفوها بها • وتولستوى – مثل ليفين – قد دفعته امانته الصارمة الى أن يضع مفكرته الحميمة بين يدى حبيبته حتى تعرف ماضيه (وزوجة تولستوى – مثل كيتي – قد صدمت لذلك واوذيت ايذاء قاسيا) وليفين – مثل تولستوى – يهاجم المجتمع المعاصر والنفاق والتحرر الرائج ابانهما وتبديد غرف الجلوس • وحملته تنصب أيضا على العالم (الذى يشتت كل الأحاسيس الصادقة ويسحق لامحالة حماسة العقل السخية) وذلك هو العنصر الثالث في الرواية •

ان ليفين يتعذب من جراء الصراع الناشب في داخله بين العقل والقلب •

ويصور تولستوى – من خلال قلق ليفين الفلسفي – المأساة الخفية لجيل أحس بأنه خرج من الحياة نتيجة لخوفه من الموت ذلك الخوف الذى جعل حياته كلها بلا معنى:

(وليفين الذى كان ابا وزوجا سعيدا يتمتع بصحة كاملة كثيرا ما كان يدنو من الانتحار حتى ليتعين عليه ان يخفى حبلا والا شنق نفسه • ولم يكن يخرج ومعه بندقية مخافة ان يرمى نفسه بالرصاص) •

وكما كتب تولستوى الى فت : (متى تحقق الانسان من ان الموت هو نهاية كل شيء ، لم يبق ماهو اسوأ من الحياة) (وثمة نقطة صغيرة ولكنها ذات دلالة : فمن بين المائتين وتسعة وثلاثين فصلا التي تتألف منها آنا كارنين لانجد الا فصـلا واحدا له عنوان • وهذا العنوان هو : الموت) • ويجد ليفين الخلاص من خلال حكمة فلاح امى يخبره بأن الانسان لابد وان يعيش لا من أجل حاجاته وانمـا من أجل الله ومن أجل

روحه فيتحقق ليفين عند ذاك من ان العقل لم يعلمه شـيئا : وان كل ما يعرفه قد اتاه وانجلى له عن طريق القلب والملاحظة الدينية التى ترد الآن ليست الاصـدى للعملية العقلية التى نمت وقتها فى ذهن تولستوى (الذى بادر بالاعتراف : عرفت ايضا ان معيار الخير والشر لم يكن ما يقوله الناس او يفعلونه : وانه ليس التقدم وانما هو نفسى وقلبى) • وليس السلام الذى حظى به ليفين اخيرا مقنعا تمام الاقناع • فهو حالة منشودة أكثر منها حالة تحققت فعلا حتى ليشعر المرء بأنه ليس بعيدا عن الارتداء الى الشك • وكما كان الشأن مع تولستوى نفسه لا يستمر محو العقـل طويلا : فكلاهما سيطالب بالسعادة مكافأة له على ترك العالم • انهما يتساءلان أكثر مما ينبغى • يقول دوستويفسكى : (ان ذهن ليفين ممعن فى القلق وسيدمر ايمانه مرة أخرى •• سيمزق نفسه على مسمار عقلى من صنعه) • وقد لاحظ فلاح من فلاحى تولستوى اذ وقف قرب قبر سيده بعد أن واراه الثرى : (ان الافراط فى مطـالعة الكتب يضل بك سواء السبيل فى اغلب الاحيان) • وليفين ـ كتولستوى ـ لن يبقى طويلا قرين العين وانما سيحاول تغيير كل شىء وترتيبه على نحو افضل بطريقتـه الخاصة •

ان ليفين انعكاس صادق لتولستوى نفسه • ونجد ان تولستوى يعبر ـ من خلال شخصية ليفين ـ عن معتقداته وآرائه بل ويدسها احيانا فى فم ليفين دسا • وقد اعتادت الكونتيسه تولستوى ان تقول : « ليوفوتشكا : انت ليفين + الموهبة • وليفين شخص لايطاق !)

اما كارنين ، زوج آنا ، فهو من بعض النواحى نقيض ليفين : انه يمثل ساكن المدينة البيروقراطى المتباهى الذى يخفى تحت قناع من التهكم ذكاء عقل ضيق ـ وما زال يحتفظ بكرمه عن خوف ـ انه ـ بكلمات رومان رولان ـ : « يخشى أن يستمع الى صوت قلبه وهو محق فى هذه الخشية لانه عندما يستسلم له ينتهى بالارتماء فى حالة من التصوف ملؤها الهراء » •

ثم هناك شقيق آنا : ستيفا • وهو مرح لايحمل مسئولية ، تحببه ابتسامته الودود الى كل انسان يلتقى به • وهناك حشد من الشخصيات الاخرى صورت جميعا بنفس الصدق لان تولستوى يتناولها تناولا تحليليا (واستجابته لاتخذله) • وهو اقل اهتماما ، واقل اهتماما بكثير ، بما تفعله شخصياته •

والدافع هو كل ما يهمه • ويشكل أسلوبه من اندفاعه المشوق الى نقل السجل النفسى الذى يـكون أحيانا كالحياة التى يسجلها ـ ساذجا مكورا وان كان ينبض بالحيوية دائما ابدا •

ظهرت (آنا كارنين) على اجزاء فى مجلة شهرية هامة ، حتى القسم النهـائى الذى رفض ، لان الآراء التى يعبر عنها لم تكن مما يوافق آراء محررى المجلة • ونشرت الرواية كلها منفصلة فى شكل كتاب عام ١٨٧٨ : أى بعد اتمامها بعام •

الضباب

رواية مسلسلة

بقلم : ثروت اباظة

- ١٨ -

ان له لنغمة حلوة قريبة الى النفس ، يصبو اليها القلب فى تجاوب خفاق ، عذب هو ، لاتملك الاذن اذا سمعته الا أن تميل اليه فى حنين ، يملك على الانسان مشاعره جميعا فكأنما الدنيا لم تخلق الا ليسمع الانسان فيها الشعر · يقولون ان للخمر نشوة فما نشوتها اذا قيست بنغمة الشعر الجميل الجرس الحلو الارانين · فالقلب حين يصغى اليه وجيب ، والعين دمعة حائرة تنطلق عن سعادة غامرة وهناءة تتماوج فى النفس جميعها ·

هكذا أحب حسين الشعر ، فحياته منذ أحبه شعر ، وليس غير الشعر ، يستعير الدواوين من مظانها جميعا ، ويحفظ العروض فيجيد حفظه ، ويحفظ المنظومات الازهرية جميعا فى سهولة ويسر ويحب شواهد النحو التى يضيق بها اخوانه من الازهريين ، شعر ، أصبحت آفاق حياته كلها شعرا ، ولكن آماله فى أن يصبح شيخا للوعظ لم تبرح نفسه ، فهذا أمل راسخ فى بعيد نفسه ليس له عنه حول ولا منصرف ··· آمال الصبا الباكر والطفولة الحالمة ، الجبة والقفطان والعمامة والنساء والرجال وهنية ، وخاصة هنية ، يقبلون يده ومن يدرى فقد يأتى يوم يقبلون فيه طرف الجبة ·· الخضراء ، أو غير الخضراء ·· وان كان لابأس بالخضراء وأقول شعرا · شعرا فى الصوفية ·· فى حب الله ·· فانه لايجوز لشيخ مثلى ا يقول فى غير حب الله ·· ولكنه شعر جميل ، يستثير مكامن الدموع ويداعب خوا الاشجان ويجعل النفس تثوب الى الايمان من حب الله والتفانى فى ذاته العليا سبحانه ، وكانت يد الشيخ اليمنى تداعب قطته وهو مستلق على السرير تار لآماله الحرية ان تفعل به ماتشاء ·· وانتبه الشيخ الى نفسه والى يده تداعب فر القطة الناعم ويده الاخرى تمسح دمعة عن عينه ، وحيد ·· وحيد ·· ليس الا القطة ، الم تصدف عن صاحبة البيت · لكم عرضت عليك أن تنظف لك الحج أو تغسل لك الملابس ولكنك ابيت فى اصرار · بل انك حتى رددت الطعام الذ ارسلته اليك مع الخادمة الصغيرة ·· استغفر الله العظيم ·· استغفر الله العظيم ولكنى وحيد ·· اتصلح هذه الكلمة بداية قصيدة ·· أو تكون مثل هذه القصـ

صالحة للمتصوف .. لابأس أن أقول فى الحب العفيف أو فى المشاعر الانســـانية البعيدة عن الدنس والعياذ بالله .. فالوحدة موضوع لابأس به .. اتراك لو كتبت القصيدة تمتدح الوحدة أم تراك تقول ما تجده فيها من بؤس وضـــياع .. ما هى الا سنوات قليلة .. نعم .. نعم .. تصبر نفسك ، انما هى سنوات قلائل وتصبح وحدتك شملا مجتمعا .. انت وهنية .. نعم انك تريدها زوجة .. هنية .. تلك البنت .. الفتاة التى تريدها ان تقبل يدك أو طرف جبتك .. نعم فانه لارهبانية فى الاسلام .. اريد ان احترف الوعظ واتزوج وانجب البنين والبنات .. وأعـوض نفسى عن الوحدة الطويلة التى عانيتها .. طويلة .. طويلة هى الوحدة .. القطة.. الوقت المتثائب .. رائحة الركود .. الزمن المتجمد .. الضياع فى طوفان الفراغ دوامة الصمت .. لاأحس الا تسبيح القطة ، لارائحة الا انفاسها كأنها أنفاس الملل والضيق والضياع ، لاعمل الا الانتظار لمجهول وذكريات من الماضى اضيق بها من كثرة ما تذكرتها وآمال فى المستقبل اكاد ازهدها لهذا الزمن الطويل الذى يفصل بينى وبينها .. مروعة هذه الوحدة .. لا .. لاشىء يصفها الا نفسها .. الوحدة .. الانسلاخ عن البشرية المتماوجة حولك .. البعـــد عن دوامة الحيـــاة ، العزلة كانك عمل سىء .. القطة وأنا . وفجاة وجد القطة تضطرب تحت يده وتقفز فتهوى يده الى السرير ويجتذب نظره عن الحائط الذى اطال اليه النظر يريد أن ينظر الى مكان القطة فيجد جسم انسان .. امرأة .. انها مفيدة زوجة صاحب البيت وينظر الى البـــاب فيجده قد اقفل والى القطة فيجدها مقبعة عند البـاب تنظر اليه وكانما تنتظر ما هو فاعل ويعود الى المرأة ثم يثوب الى نفسه ثم ينتفض من مكانه يريد ان يقوم وهو يقول « أهلا » ذاهله دهشة خائفة وقبل أن يقوم تدفعــه يد المرأة فى جراة .

ــ نم .

ويرتمى مكانه .

ــ لماذا ؟

ــ الام تظل خائبا ؟ .

ــ نعم .

ــ يارجل اصح من نومك .. أصبحت رجلا .

ــ نعم .

واطبقت بشفتيها على شفتيه ، والتهبت حواسه وحين اخلت سبيل فمــه وجدته ووجد نفسه يقول :

ــ حرام .

فاطبقت على شفتيه مرة أخرى وحين تركته قال مرة أخرى :

ــ حرام .

ونامت المرأة الى جانبه وهو لايتوقف عن القول :

ــ حرام .. حرام .. حرام .

اقام صلاة الفجر حاضرة ثم تناول افطاره وراح يذاكر بعض الحين ثم لبس

ملابسه ومد يده ليتناول العمامة فأحس يده كأنها تريد أن ترتد عن العمامة دون أن تأخذها حتى اذا استجمع قواه اختطف العمامة الى رأسه فأحس كأنها اطواق من حديد تضغط على رأسه حتى لتكاد رأسه ان تنفجر · ليست هذه هى العمامة التى يعهدها ، لا ولا هى التى يتيه بها عجبا ، ماذا دهى العمامة · ماذا الم بها ·

خلع ملابسه وعاد الى الحمام مرة أخرى وراح يسكب مزيدا من الماء على جسمه، وانهمر الماء وانهمر حتى اذا خيل الى حسين انه يستطيع ان يلبس عمامته دون أن يضيق بها أو تضيق هى على رأسه خرج من تحت الماء وعاد الى غرفته · وقبل أن يجفف الماء عن جسمه انفرج الباب عن مفيدة ·

ولم يلبس حسين العمامة ، لا ، ولا ذهب الى الازهر فى يومه هذا ·

لم تعد علوم الازهر تعنيه ، انما كان يهتم بالشعر فيها فقط وهو منذ عرف مفيدة اشتد انصرافا عن العلوم الدينية · وكان يحس انه غير متلائم مع ملابسه ولا مع المستقبل الذى يعد نفسه له · حتى لقد اخذ يتجه بآماله الى افاق أخرى غير الافق الذى كان قد رصد له حياته ·

ولكنه مع ذلك مضطر ان يظل على عهده من لبس الجبة والقفطان والعمامة وان كان فى داخل نفسه يخلع العمامة والجبة والقفطان · لم يعد يعنيه ان يقول شعرا فى الصوفية وانما اصبح يعنيه أن يقول شعرا · أى شعر ·· فهو يقرأ ·· ويقرأ · وطاب له العيش مع مفيدة ومع آماله العريضة أن يصبح شاعرا · ولكن هاجسا مايلبث أن يهجس فى نفسه ·· ماذا يفعل به الحاج والى ان هو اتجه الى الشعر ولم يتجه الى ما أراده لنفسه من تعليم دينى ·· وماذا يمكن أن يفعل الحاج والى ·· بل ماذا يمكن أن أفعل أنا اذا غضب على الحاج والى ·· ضائع انا شريد ·· ايلمس الرزق من غير أبى ·· بل من رجل لاتربطنى به صلة الا الفضل منه والفقر منى ورغبته أن يفتخر أمام الناس انه يغدق على عطفه ورغبتى أنا فى ان اتعلم وان بذلت فى سبيل ذلك كرامتى وماء وجهى ·

وليس لى اليوم محيد عن التعليم ، والا فأين اولى وجهى من العالم ·· لات حين ·· لابد ان اكمل تعليمى حتى اجد ما اقتات به وليفعل بى الحاج والى بعد ذلك ما يشاء ، انما بينى وبينه ان انال شهادة ·· أى شهادة ·· لا حاجة بى أن تكون الشهادة العالمية ·· فماذا يمكن أن تكون ان لم تكن العالمية ·· وتدخل مفيدة وينقطع حسين عن التفكير ·

- ١٩ -

نرغ الحاج والى من صلاة العصر ، وتربع على السجادة وراح يتمتم على مسبحته ، وكان ابنه محمد جالسا امامه ، وراح الحاج ينظر الى ابنه بينما كان محمد مشغولا بالمذاكرة · واحس محمد نظرات ابيه فالتفت اليه ، والتقت ابتسامتان لامعنى لهما · وأطال الأب النظر الى ابنه ، وظل الابن رانيا الى ابيه حتى انتبه اخيرا الحاج والى ونكس رأسه الى السجادة ·· ايحرمنى حتى من متعة النظر اليه ، ماضر لو تظاهر بأنه غير منتبه الى واتاح لى فرصة اطول من النظر اليه ·· راحة وهدوء يشيعان فى نفسى اذا نظرت اليه لا أدرى لهما سببا ·

وعاد محمد الى المذاكرة انه فى طريقه الآن الى البكالوريا يتحسس طريقه الى الشباب فى خطى متعثرة يحدوها شوق عارم لمجهول من الحياة ٠

وعاد الاب ينظر الى ابنه وفكر وما كان بحاجة الى التفكير ٠٠ كان قد أعد له المستقبل جميعا لم يغفل منه شيئا ٠٠ لا ، هو لايريد أن يشق ضـــمير الغيب عن مستقبل ولده فهو يعلم هذا المستقبل ويعده فى اناة وثقة واطمئنان ٠

وقد ترك الابن لابيه زمام مستقبله يخط فيه ماشاء أن يخط ليس له من اعتراض عليه بل انه حتى لا يفكر أن يكون ذا رأى فى مستقبله ٠

ـ كبرت يا محمد ٠

ـ اطال الله عمرك يا ابا ٠٠ البركة فيك ٠

ـ اذا نجحت هذا العام ٠

ـ سأنجح يا ابا ٠

ـ ستذهب الى مصر ٠

ـ ان شاء الله ٠

ـ لقد اتفقنا على الكلية ٠

ـ الطب ٠

ـ ولكن هناك أشياء لم نتفق عليها ٠

ـ انا تحت أمرك

ـ امتحانك بعد اسبوع ٠

ـ نعم ٠

ـ عندما تنتهى من الامتحان نتكلم ٠٠٠

وقام الحاج والى عن السجادة ودلف الى حجرة نومه فوجد الحاجة بمبـــه مستلقية على الفراش غير نائمة ٠

ـ هل أنت نائمة ياحاجة ؟

ـ لا أبدا ٠

وجلس الحاج والى على الاريكة وثنى رجلا الى جسمه وأخرى الى الهواء وقال :

ـ آن لك أن تفرحى بمحمد ٠

ـ ماذا ؟

ـ ابنك ياحاجة بمبه ، وهل له أم غيرك ؟ ٠

ـ وكيف افرح به ؟

ـ اريد أن ازوجه قبل أن يذهب الى مصر ٠

ـ تزوجه وهو تلميذ !

ـ تلميذ فى الطب ٠٠٠

ـ أليس صغيرا ؟

ـ سيكون وحده فى القاهرة ٠

ـ بل سيكون اخوه معه ٠

وصمت الشيخ قليلا ثم قال :

ـ تقصدين حسين ؟

ـ أليس اخاه ؟ ٠
ـ حسين مشغول ياحاجة ٠
ـ مشغول ؟!
ـ مشغول ياحاجة ٠
وصمت وانتظرت الحاجة ان يتكلم ٠٠ واحس الضباب يتصاعد أمام عينيه وقال :
ـ عرف انى مريض فلم يهتم حتى أن يرسل خطابا وعرف انك مريضة ولم يسأل ٠ وأنا أزوره لا انقطع عن زيارته كلما ذهبت الى القاهرة ٠
ـ كيف عرف ؟
ـ من حمدى ٠
وصمت ثم عاد يقول :
ـ لقد رفض حتى أن يأتى فى الاجازة ٠ ومع ذلك ٠٠ ايه ٠٠ انما الأعمال بالنيات ٠
ـ انه ابنك ياحاج ٠
ـ لا ياحاجة ٠٠ لقد أردت أن يكون ابنى ولكنه هو لايريد ٠٠ النهاية ٠٠ النهاية ٠
ـ هل قطعت عنه ماترسله اليه كل شهر ؟
ـ وهل تعتقدين اننى افعل مثل هذا ياحاجة ؟
ـ لا ٠
ـ المهم ٠٠ أريد أن أزوج محمد ٠٠ ستكون له زوجة تعصمه من الزلل وتخدمه فيتفرغ هو للمذاكرة ٠

ـ أتريدنى أن اختار العروس ؟ ٠
ـ لقد اخترتها ٠٠ هنيه بنت عبد الحميد الهراس ٠
ـ كبيرة ياحاجة ٠
ـ وما البأس ٠٠ حتى تعرف كيف تعامله ، وأبوها رجل طيب ٠
ـ أمرك ياحاج ٠٠ أأكلم أمها ؟
ـ على بركة الله ٠
وكان محمد مايزال يذاكر فى البهو لايفكر الا فيما يقرأه ٠

ـ ٢٠ ـ

انتهى اليوم الدراسى فى مدرسة البنات ٠ وزاط الفصل بأحاديث كثيرة واحتبست مدة خمس واربعين دقيقة وانفجرت تريد أن تخرج جميعها طفرة واحدة فهى اخلاط من الكلمات ومزق من الجمل ٠ وفى وسط الفصل وقفت فتاتان فى بواكير الانوثة الصاخبة ، فأما احداهما فتلقى على ظهرها سبيكة من شعر أصفر صقيل ينتظم من الخلف ولكنك ان نظرت اليه من أمام وجدته ثائرا فى عربدة حبيبة كموج البحر ان كان البحر من ذهب يموج حتى ينتهى الى هذه الضفيرة ٠ فكأنه بحر يصب فى نهر ، وقد انسدلت منه خصلات على جبهة الفتاة فتذكر ساحل البحر الذى

لاتدرى انه كان محضلا بالماء او هو جاف . خصلات كخيال من الوهم لا تدرى أهى منسدلة أم هى تجرى فى تيار الشعر الآخر متجهة الى السبيكة · ترى الخصلة حينا فان انعمت النظر لاتراها ثم تعود فتراها وهكذا استطاعت هذه الخصلة ان تجعل وجه آمال متجدداً دائما لا تمل العين النظر إليه ·

وهو مشرق كالصباح الوليد ، ذو عينين فيهما جراة وفيهما شباب وفيهما خضرة حلوة يمازجها لون بنى حتى لاتكاد تدرى ماهو لونها الحقيقى فأما انفها فافطس بعض الشىء يتبعه فم واسع فيه على سعته حزم واقدام وهى ذات قوام حلو وان كانت تميل الى النحافة ، أوضح ما فى قوامها ثديان يشرئبان فى عربدة طاغية وفى أنوثة باكرة ·

وأما الفتاة الأخرى فهى نحيفة أيضا ، وهى أيضا ذات أثداء عربيدة لها رقبة طويلة بعض الشىء لكنها لاتغض من جمالها ولها وجه اسمر يميل الى الطول وعينان حالمتان تبدوان ضيقتين فان أنعمت فيهما النظر احسست ان صاحبتهما هى التى تضيق منهما كأنها تحقق النظر فى شىء تحبه ··· فنظرتها دائما كأنما تقول لمن تلقى اليه لكم أحبك ، وهى ذات شعر اسود غير ثائر ولا هادىء أيضا وانما هو شعر قوى صقيل متكاثر تمسك باطرافه ضفيرتان يأخذان سبيلهما على ظهر ناهد فى غيظ ان تقيدهما الشرائط وان كانت من حرير ·

واتمت امال وناهد تجميع الكتب فى حقيبتهما وخرجتا لاتلتفت واحدة منهما الى التلميذات الأخريات ، فقد كانتا تحسان عند انتهاء اليوم الدراسى انهما ردتا الى العالم الخليق بهما بعيدا عن الدراسة والتلميذات والمدرسات وكان هذا الشعور ينبت فى صدر كل منهما دون اتفاق بينهما عليه ، أو على الاقل دون أن يتفقا عليه بلغة الكلام ، وراحتا يجتازان الردهة الطويلة التى تفصل حجرة الدراسة عن الفناء ولم تابه ناهد حتى أن تنظر الى الفتاة التى اصطدمت بها فأوقعت منها حقيبتها · وانما مالت فى كبر فالتقطت الحقيبة بينما كانت امال قد سبقتها بخطوتين ، ولم تتعمد ناهد أن تسرع من خطاها ولا اهتمت آمال ان تتمهل ولكن سرعان ماسارتا جنبا الى جنب مرة أخرى ، ومرت امامهما مدرسة فوقفت الخادم الجالسة فى الردهة وفى عظمة رفعت لها آمال يدها وكانها ترد تحيتها · وكانت شلة من الفتيات تسير أمامهما وجرت قطة من خلف آمال وناهد ودلفت من بين رجلى ناهد وقفزت الى ارجل الفتيات ونظرت ناهد الى أسفل ثم أرادت أن تواصل سيرها بينما راحت الفتيات تصرخن بين خائفة ومتظاهرة بالخوف وفى اهمال حالم عبرت ناهد وآمال ثلة الفتيات وواصلتا سيرهما الى السلم وراحتا تنزلانه درجة درجة وأخيرا التفتت امال الى ناهد :

ـ اتظنين أنهم ياتون اليوم ؟

ـ طبعا ·

ـ وهل ؟ ···

ـ سنرى ·

واصلتا سيرهما حتى خرجتا من الباب دون ان تنظر واحدة منهما الى البواب العجوز الذى حياهما فى ابتسامة ساذجة وسارت الفتاتان فى الطريق حتى اذا بلغتا



شارعا جانبيا انحرفتا اليه ولم يطل بهما المسير حتى انحرفتا مرة أخرى الى طريق آخر وقالت امال وكأنها فوجئت :

ـ جاءوا ٠

وقالت ناهد فى عظمة مطمئنة :

ـ طبعا ٠

ـ وماذا سنعمل ؟

ـ سنرى ٠

وسارتا وعبرتا السيارة المكشوفة التى كانت واقفة على جانب الطريق وبها شابان ٠ فاما السيارة فأنيقة غاية الاناقة ذات خراطيم كبيرة من المعدن تخرج من مقدمتها وتتجه الى أسفل فتكسبها عظمة وتفردا ، وقد كانت مقدمة السيارة طويلة والخراطيم كثيرة واما الشابان فقد كان احدهما اسمر اللون نحيفا والآخر يميل الى البياض قدر ميله الى السمن وكان هو الذى يمسك بمفرده السيارة ٠ وقد دأب الشابان أن ينتظرا آمال وناهد منذ ثلاثة أيام فى هذا الموعد ٠ كما دأبا أن يسير خلفهما بالسيارة حتى تلتفت اليهما ناهد لتقول فى صوت هامس مثير :

ـ بيتنا هنا ٠
فيعود الشبان ادراجهما لينتظرا فى اليوم التالى ويسيرا ويسمعا النغمة الهامسة المثيرة ويعودا ٠
وسارت السيارة خلف آمال وناهد ولكن الشاب السمين سبق الفتاتين وأوقف السيارة ونزل منها واعترض الطريق وهمست آمال لناهد :
ـ ماذا سنفعل ؟
ولم تجب ناهد وانما واصلت سيرها وأرادت أن تعبر الشاب وارادت آمال أن تفعل مثلها ولكن الفتى مد ذراعيه ونظرت اليه ناهد نظرتها الساجيه وقد أضافت اليها بعض عتاب وقالت فى همستها المثيرة :
ـ الناس ٠
ـ وقال الشاب :
ـ نحن وحدنا ٠
وقالت ناهد :
ـ ماذا تريد ؟
ـ ماذا تريدين أنت ؟
ـ أروح ٠
ـ أما يكفى هذا ؟
ـ ما هو ؟
ـ كفى ٠
ـ ماذا ؟
ـ اتمانعين فى فسحة صغيرة بهذه السيارة ؟٠
ـ وماذا نقول فى البيت ؟
ـ تقولين كان عليكما واجب فى المدرسة ٠
والتفتت ناهد الى آمال ٠
ـ ما رأيك يا آمال ؟
وقاطعهما الشاب :
ـ تعيش الأسماء وحضرتك ؟
ـ ناهد ٠٠٠ هيه يا آمال ؟
ـ كما تشائين ٠
ـ وقال الشاب هيا ٠٠ هيا ٠
وحين بلغا السيارة نزل الشاب النحيف وهو يقول :
ـ أخيرا ٠٠ أهلا وسهلا ٠
ودلف الى المقعد الخلفى وامسك بيد آمال فركبت الى جانبه وجلست ناهد الى جانب صاحب السيارة واندفعت السيارة الى الطريق ٠

ـ ٢١ ـ

استطاع حسين أن يكتب شعرا ، ووافته الشجاعة فراح يرسل شعره الى

المجلات فيقطع شعره طريقا واحدا ماله من عودة ويصبح آخر عهده به اليوم الذى يطويه فيه ويغلقه ٠

ولم يجد من يسمع شعره الا حمدى صديقه الوفى وترب ملعبه وأخو دراسته وكان حمدى على صلات بطلاب آخرين فى الازهر سرعان ما اتصلت أسبابهم بحسين ولكنه كان يخجل أن يلقى عليهم شعره حتى شجعه حمدى فى يوم وراح يلح عليه أمامهم ان يلقى عليهم قصيدة « الطريق الجديد » والقى حسين القصيدة ٠

كانت القصيدة تروى عن الحياة التى خاض حسين غمارها على يد مفيده وان كان لم يذكر فيها الا الهوى العفيف والحب الخالص ٠

وقال أحدهم :

ــ الله الله ياسى الشيخ ٠

وقال آخر :

ــ انها آمال ياسى الشيخ مجرد آمال ٠

والح حمدى مرة أخرى أن يسمعهم قصيدته « الأمل الضائع » وهى تلك التى نظمها يوم علم بزواج أخيه من هنيه ، ذلك اليوم البغيض الذى أرسل اليه فيه الحاج والى خطابا يدعوه أن يذهب الى القرية ليحضر الكتاب فلم يذهب ومكث يومين فى حجرته لايبرحها لاعمل له الا نظم هذه القصيدة واستقبال مفيدة كلما عن لها ان تزوره ٠

والقى حسين القصيدة وكان ذهنه مشغولا أثناء القائها بالتحسر على آماله٠٠ آمال الانسان وآمال الشاعر فيه ٠٠ أتضاءلت الآمال حتى لم تصبح الا هذه القصيدة ٠٠ أتراها تضاءلت فأصبحت قصيدة ام تعاظمت فأصبحت قصيدة ٠٠ ايهما اعظم ؟ الآمال المنهارة أم القصيدة الرائعة ٠٠٠ أهى رائعة ؟! لقد قلت شيئا على كل حال ، وانى احس مافيها من الم ، ان لم أقل شعرا وانا أرى أخى ينتهب آمالى فأنا لن اقول من بعد شعرا أبدا ٠٠ أكان يعرف ما بنفسى ٠٠ ألم اكن أخفى حبى لايدريه أحـــد ، وماذا يهم ان كان يعرف أو لايعرف ، لقد حطم امامى هذا كل شىء ، ولا يهمنى ان كان يعلم أو كان لايعلم ، النتيجة واحدة ٠٠ وكان يلقى القصيدة والدمعـــة تنحدر من عينيه على خده وهو مشغول ان يزيلها ، بل لعله ارادها أن تنسكب فى هـــذه المرة فلعلها تستطيع أن تكسبه شكل شاعر ان كان لم يستطع أن يقول شعر شاعر ٠

وكانت القصيدة صادقة ، وكان شكل حسين دمعته والأفكار التى تمور برأسه وهو يلقى القصيدة ، كل هذا جعل الجو المحيط به يستجلب اعجاب اصدقائه حتى لقد صفق بعضهم حين انتهى منها ، وقال الشيخ فهمى عبد القادر :

ــ لابد أن تنشر هذه القصيدة ٠

وانتفض حسين من أحلامه ومسح دمعته وقال :

ــ تنشر ٠٠٠ وكيف تنشر ؟

ــ اننى أعمل مصححا فى جريدة « الورود » واستطيع ان اقدم هذه القصيدة لرئيس التحرير ٠

ــ صحيح ؟



ـ أى والله ٠
ـ فأنت تعرف رئيس التحرير ٠
ـ نعم ٠
ـ أتستطيع أن تنشر هذه القصيدة ٠٠ اننى لا أريد أجرا على نشرها ٠
وقاطعه الشيخ فهمى عاجبا :
ـ أجرا ٠٠ انك ستعشينا على حسابك يوم تنشر القصـــيدة ٠٠ يظهر انك لاتقدر معنى نشرك قصيدة فى مجلة « الورود » ٠ معناها انك ستصبح احد شعرائها مثلك مثل محمود ادهم وامين كامل وقال حسين فى لهفة :
ـ محمود ادهم ٠٠ اتعرفه ؟
ـ اراه كل يوم ٠
ـ ما اسعدك ٠٠ انا معجب بشعره الغنائى كل الاعجاب ٠
ـ غدا تعرفه ٠
ـ ياليت ٠
وقال حمدى :
ـ متى ستنشر القصيدة ياشيخ فهمى ؟
وقال الشيخ فهمى فى شعور عميق بالأهمية :
ـ كل آت قريب يا شيخ حمدى ٠٠ كل آت قريب ٠

هنيه فتاة بيضاء ناصعة البياض ذات شعر لاهو بالاسود الداكن ولا هو بالاصفر الفاقع وانما هو بين بين تطلقه بعد ان تزوجت دون أن تلم ثائره بمنديل أو ضفيرة وهي ليست طويلة بل لعلها الى القصر أقرب ، سمينة بعض الشيء وان كانت الآن سمينة غاية السمن،ذات عينين واسعتين وفم أوضح مافيه شفتان غليظتان،تلقت تعليمها فى الكتاب فتعلمت الجهل من اوثق مصادره • فرحت يوم زواجها بمحمد غاية الفرح ، فقد كان الزواج فى ذاته هو الامل المنشود الذى تهفو اليه احلامها اذا أمست وافكارها اذا اصبحت ، ولو كانت تدرى كيف خطبها محمد ، أو كيف خطبت لمحمد لترددت كثيرا قبل ان تفرح • وانما قبل لها عريس ، وابن الحاج والى ، والقاهرة ، وتصبح ستا فى بيتها ففرحت وهى تقيم الآن فى بيت بالسيدة زينب هى ومحمد ، ومحمد مشغول عنها فى البيت بالمذاكرة وخارج البيت بأشياء كثيرة ، وهى تستجدى الصداقات من الجارات ، وتلتئم بينهن الصلات • ويذهب محمد الى بيوت اصدقائه فيجد غير مايجد فى بيته ، فالبيوت هناك نظيفة مرتبة ، وبيته قذر مهوش• فيزداد ضيقا بزوجته ويكتم خبر زواجه عن زملائه فاذا الحوا عليه ان يزوروه يتنصل من الدعوة بشتى المعاذير • فعنوانه كزواجه سر من الاسرار لايبيحه لاحد حتى ولا لصديقه الأوفى مجدى عبد العزيز • وكان من الطبيعى ان يعتبره الاصدقاء عزبا غير متزوج فيشركوه فيما يشترك غير المتزوجين فيشترك تدفعه الى ذلك الرغبات المكبوتة فى المغامرة والمبالغة فى اخفاء امر زواجه وهكذا صحبه مجدى الى عزيزه فذهب اليها مترددا أول الأمر ثم أصبح يذهب اليها وحده • ويزداد محمد ضيقا بزوجته ولكن هذا الضيق لم يمنع هذه المناقشة ان تدور بينهما بعد عام من زواجهما :

- لابد أن اذهب الى البلد لالد هناك •

وكان محمد يعتبر نفسه طبيبا منذ التحق بكلية الطب •

- لا يمكن ، كيف أكون طبيبا وتلدين فى البلد ؟

- وأنا لايمكن أن أضع بعيدا عن أمى •

- نرسل الى أمك تأتى الى هنا وتلدين فى المستشفى •

- لقد نذرت أن أجعل الحاجة زينب أم عوضين هى التى تولدنى •

- الحاجة زينب •• هذه المرأة العجوز الراعشة اليدين ؟

- مالها •• أليست هى التى جاءت بك الى الحياة ؟

- بل انها هى التى أودت بأمى الى الآخرة •

- لن يولدنى غيرها •

- بل سيولدك الطبيب •

- لن يكون هذا •

- لن يكون الا هذا •

- سترين •

وكان محمد يواجه امتحانه ولكنه لم يجد بدا ان يسافر بامرأته الى البلد ويعود فى اليوم ذاته •

وحين انتهى محمد من الامتحان سافر فوجد امرأته قد وضعت له ولدا ووجد أباه قد اسماه أحمد وحين يبدأ العام الدراسى الجديد يرجو محمد أباه أن يبقى زوجته

وابنه عنده حتى يستطيع أن يفرغ هو للمذاكرة لان الطفل سيجعل الامر عسيرا عليه ، ويحس أبوه فى وخز الحديث أنه تعجل فى أمر زواجه ويعود الضباب يتصاعد أمام عينيه ويرحب بكنته وحفيده ان يقيما ماحلا لابنه أن يقيما ٠

ولا تشعر هنية من ذلك حرجا بل انها تحس نفسها أقرب الى الحياة التى تحبها ، فقد ضاقت بالقاهرة هذه الفترة التى اقامتها فيها ، وكل هذا لم يمنع احساسا واهنا فى نفسها يلح عليها ان محمد يريد ان يبتعد عنها ولا تأبه كثيرا بهذا الاحساس فقد جاء أحمد ولا مفر لمحمد من احمد ومن أم أحمد ٠

ـ ٢٣ ـ

كان حسين جالسا فى حجرته حين جاءت مفيدة واغلقت الباب من خلفها وبعد حين قالت :

ـ ألم أعد أنا الوحيدة ؟

ـ لا أفهم ٠

ـ تعرف غيرى ٠

ومسح حسين الدمعة المنحدرة عن عينه وقال .

ـ أنا ؟! من قال هذا ؟!

ـ مثلى لايفوتها هذا ٠

ـ أبدا والله ٠

ـ لا تحلف انك شيخ محترم ، لاتحلف ٠

ـ أحلف صادقا ٠

ـ والله ان حلفت على المصحف ما صدقتك ٠

ـ ياشيخه اعقلى ٠

ـ اعقل انت ياشيخ ٠٠ تريد أن تلف على أنا وقد كنت قطة مغمضة ، وفتحت أنا لك عينيك ٠

ـ على فكرة ٠٠ اين القطة ؟

ـ القطة ٠٠ وهل تسأل عليها ٠٠ انها هى الاخرى احست انك لم تعد تهتم بها فتركتك الى غيرك ٠

ـ من غيرى ؟

ـ لا شأن لك ٠

ـ وهل هى وحدها التى تركتنى الى غيرى ؟

ـ ومن غيرها ؟

ـ لعلك أنت أيضا تفكرين فى تركى ٠

ـ انا لا أترك صاحبى حتى وان كنت أعرف انه يلعب بذيله ٠

ـ هل القطة عندك ؟

ـ أتريدنى أن أسلم لك عليها ؟

واطلقت ضحكة مجلجلة حتى لم يسمعا الطرقة الاولى على الباب ٠

وحين خفتت الضحكة سمعا الطرقة الثانية وانحبست انفاسهما ، وأرادت مفيدة أن تقوم عن السرير فامسك بها حسين وابقاها حتى لا يخرج السرير حسا٠وعاد

الطرق الى الباب صافيا واضحا وعاد الصمت الى الحجرة أشد صفاء ووضوحا وألح الطارق مرة ثالثة ولم يسمع جوابا • وان كانت الضحكة الاولى مازالت اصداؤها ترن في أذنيه • حتى اذا يئس الحاج والى ، قال في نفسه أترك له فرصة ان يكون منفردا ، ونزل السلم والضباب يغطي درجات السلم جميعا • ألهذا كان يربيه ؟!

ألهذا يقدم له المال والعون والابوة ؟ ان قطع عنه المال اضاع مستقبله وان قدمه •• أيقدم له المال ليزني ؟ ولكنه يذاكر انه يقدم له المال ليصبح صاحب شهادة لا ، لن يرده الزني عن المذاكرة •• أهذا هو الشيخ الذي سيصبح واعظا • وبتزايد الضباب أمام عينيه •

حين عاد الشيخ والى الى حسين اجتهد الا يبين انه فهم شيئا أو سمع ، وقبل حسين يده ومسح الدمعة المنحدرة وعاوده ذلك الشعور بالعجز والاحتقار لنفسه أمام الحاج والى • وقال الحاج :

ـ كيف حالك يا حسين ؟

ـ البركه فيك يا أبا الحاج •• الحمد لله •

ـ قال لي عبد الحميد افندي مسعود ناظر المدرسة الالزامية انك تنشر شعرا في مجلة الورود •

ـ نعم يا أبا الحاج •

ـ أنا أحب الشعر وأحب الشعراء وأنا متأكد أن هذا لا يشغلك عن دروسك •

ـ لا أبدا •

ـ أنت في ثانوية الازهر هذا العام أليس كذلك ؟

ـ نعم يا أبا الحاج •• انى امتحن الآن •

ـ طبعا المذاكرة على قدم وساق •

ـ طبعا يا ابا الحاج •

ـ أتريد شيئا ؟

ـ البركة فيك •

ـ أراك لاتسأل عن الحاجة •• أنسيتها يا حسين ؟

ـ لاقدر الله يا أبا الحاج •• كيف هي ؟

ـ تسلم عليك •

ـ أبقاها الله •• يا أبا الحاج أنا كنت ساسافر اليك

ـ كذا ! •• انك منذ سنين لم تزر البلد •

ـ لا والله كنت مسافرا اليك لاراك وأرى الحاجة •

ـ ولماذا أيضا ؟

ـ أريد أن أكلمك في موضوع •

ـ خيرا •

ـ اريد أن أدخل كلية دار العلوم •

ونظر الحاج والى اليه مليا وصمت وخالجته فكرة ألحت عليه حتى قال :

ـ وتظل بالجبة والقفطان ؟

ـ والله أريد أن ••

ـ مفهوم ٠٠ على كل حال يسرني أن تصبح معلما ٠٠ ان هذا أقرب الى ما كنت اريده لك ٠ فالواعظ فى رأيي لايفيد قدر مايفيد المعلم ٠ المستمع الى الواعظ يعلم أن وظيفته هي أن يقول هذا الكلام فالاستجابة له لاتكون عادة كامله ٠ أما المعلم فانه مع تعليمه للمادة التى يقدمها يعلم الاخلاق بطريقة غير مباشرة والاخـــلاق هى كل شيء يا أستاذ حسين ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠

واحس حسين النغمة التى غافلت الحاج وتسربت الى الحديث وقال :

ـ طبعـا ٠

واحس صوته منحبسا فتنحنح وعاد يقول :

ـ طبعا ٠

ـ بلدنا تحتاج الى الاخلاق أولا ثم الى العلم ٠٠ بهما نستطيع ان نحرج العـدو ونكون وطنا عظيما ٠ ولكن الاخلاق أولا يا استاذ حسين ٠٠ الاخلاق أولا ٠

ومسح حسين الدمعة المنحدرة وعاد يتنحنح وهو يقول طبعا ٠٠ طبعا ٠

ـ على بركة الله يابنى ٠٠ وهذا مبلغ يكفى لاحضار حلتين جـديدتين مادمت تريد ذلك ٠٠ هيه ٠٠ اتركك أنا ٠

ـ ولما العجلة يا أبا الحاج ؟

ـ اريد أن أزور محمد ٠٠ انك لاتزور أخاك يا حسين ٠

ـ أخاف أن أشغله ، فكلية الطب صعبة يا ابا الحاج ٠

ـ زره يا حسين فلن يكون لك الا هو ولن يكون له الا أنت ٠

ـ أنا آسف يا ابا الحاج ٠

وخرج الحاج وودعه حسين الى باب السلم ، وانتظر حتى غاب عن ناظريه ثم راح ينظر الى الجنيهات العشرة التى تركها له ثم طواها ووضعها فى جيبه فى عناية بالغة ٠ وانحسر عنه شعور العجز والاحتقار لنفسه ٠

يوم انتهى الامتحان اتفق حسين مع امين كامل الشاعر الذى ينشر معه فى مجلة الورود أن يقيما حفلا خاصا لهما يدفعان تكاليفه مناصفة ، يشتريان فيه زجاجة من الكونياك ويدعوان فتاة يعرفها أمين لاتتقاضى الا قدرا ضئيلا من المال ٠ وكان حسين فى دخيلة نفسه يريد أن يحتفل أيضا بأول يوم يلبس فيه البدلة ولم يجد انسب من زجاجة كونياك وفتاة امين احتفالا بهذه المناسبة ٠ وقبل ان يحل موعـــد الحفلة راح حسين يلبس بدلته الجديدة ٠ فى عناية بالغة فلبس القميص والبنطلون فلم يلق مشكلات تعترضه حتى اذا اراد ان يعقد رباط الرقبة اشكل عليه الامر وراح يربط ويفك ٠ أو يربط فتنعقد عليه الامور حتى اذا يئس وضع الرباط على السرير وجلس ينتظر مفيدة لعلها ترى حلا لهذه المشكلة ولكن طال غيابها فأراد أن يقوم الى موعده دون رباط الرقبة ولكنه تذكر ماسيلاقيه من سخرية امين فجلس فى موضـــعه وقد صمم ألا يذهب ان لم ينعقد رباط الرقبة ٠ وفجأة دخلت اليه مفيدة فعاجلها قبل أن تفكر فى موضوع آخر فراحت تربط له الرباط كما تفعل لابنها الصغير وأكمل هـو ملبسه وانفلت من الباب لم يشكرها الا بقبلة عاجلة ٠

وحين بلغ شقة أمين وجده جالســا فى بهو منزله وحيدا وأمامه الزجاجة لم تفتح وساله :

ـ واين الشغل ؟

ـ في الداخل ٠

ولم يتمهل بل اندفع الى الحجرة الوحيدة في الشقة وكان الوقت في الغروب والشبابيك مقفله ولكنه راى كتلة ادمية جالسة على الاريكة فارتمى بجانبها ومد فمه يقبل فاستقبله شعر خشن كثيف وطالعه صوت رجل ٠

ـ من انت ؟

ولم ينزعج حسين وانما مسح دمعته وقد ادرك ان الفتاة مع آخر دعاه امين فقال دون ان يفكر :

ـ أنا حسين شحاته ومن أنت ؟

وقال الشاب على الناحية الاخرى من الفتاة :

ـ اهلا ، انا محمود ادهم ٠

فقال حسين وهو يحتضن مكانا خاليا من جسم الفتاة :

ـ أهلا فرصة سعيدة ٠٠ ومن سنين وأنا اريد التعرف بك ٠

ـ ها نحن تعارفنا ٠

وحين خرج الثلاثة من الحجرة وجد حسين ان الحفل لم يكن مقصورا على اربعتهم فقد جاء اغلب كتاب المجلة واعلن امين ان الحفل مقام لمناسبة ازاحة الجبة عن جسد حسين شحاته ٠ وكان الشعراء منهم قد أعدوا قصائد بهذه المناسبة ٠ وارتجل حسين قصيدة يفخم فيها من شان نفسه ويهون من اقدار الناس جميعا الا هو ،وجرت الكاس والضحكات ٠

ـ ٢٤ ـ

لم يعد زين العابدين بك يستطيع ان يسهر كثيرا فكان كلما جاء الى القاهرة مدعيا زيارة ابنته المقيمة عند جدها يذهب الى صديقته الجديدة نعمات هشيكه بعد الظهيرة فيجلس اليها في بيتها ثم يصحبها بعد ذلك في عربة حنطور تجوب بهما الجزيرة حتى اذا اقترب المساء سارت بهما العربة الى الكباريه فيتركها هناك وينصرف هو الى بيته أو مقهاه ٠

لم تكن نعمات هشيكه جميلة ، لا ولا كانت فتاة في مقبل العمر انما هي بقية من ماض تخلف في الكباريه متروكة لمثل زين العابدين ليقنع بها نفسه انه مازال الفتى الذى كانه منذ نيف وعشرين عاما ٠ وهكذا كانت نعمات قانعة بنصيبها من زين العابدين ، وقد كانت امرأة طيبة تحسن الحديث وتستطيع ان تعيد الى زين العابدين ماضيه صورا من الحديث بعد ان عجز ان يستحضره فتوة وشبابا ٠ فهى تذكره بغزواته مع الغراقيه وسنيه شخلع وانيسه ولعه وغيرهن ٠ وتقص ـ ومن القصص ما هو خيال ـ كيف كن يتشاجرن لتحظين بصحبته ويقول زين العابدين في نفسه لعل هذا كان حقا ويحاول أن يقنع نفسه أن لعلها لاتكذب فاذا عجزت نفسه ان تقتنع راح يلتذ هذا الكذب ٠ ويحاول ان يقربه من الصدق فيهمس الى نفسه ليس من الضرورى أن يكون كذبا لانه الم يقع ، فانهكان خليقا أن يحصل على أية حال ٠ ومن ادراني فنعمات ادرى بدخائلهن وما كان يدور بينهن من حروب وقتال ٠

ولم تكن نعمات تريد من هذا الحديث الا ادخال السرور الى نفسه فهى تعلم انه

يهدى اليها اقصى ماتستطيع ثروته ان تحتمل وانه يقدم لها كل ما يطيق ان يقدم . وما كانت تريد ان تشق عليه فى شىء حتى لاينقطع ما بينهما ، فقد كانت على ثقة ان صلتها بزين العابدين هى خاتمة المطاف فى حياتها الطويلة العريضة فى دنيا الكباريه كانت تدرى انها تنهى حياتها العملية بزين العابدين فهى متشبثة به تشبثها بالحياة فهى منذ نيف واربعين عاما لاتعرف لنفسها حياة الا الكباريه والصديق .

وقد اصبحت فى الـــــكباريه مشرفة ادارية فهى لاتحس انهـــــا انثى الا مع زين العابدين ، واحساسها انها انثى هو كل شىء بالنسبة اليهـــا .. كل شىء فهى تكاد تثق ان حياتها تنتهى بانتهاء الصلة بينها وبين زين العابدين .

اما زين العابدين فقد كان يدرى انه لايملك ان يتعرف بخير من نعمات هشيكه فاما شبابه فقد ولى وهو يدرى ، واما ماله فهو لايكفى الا مايســـــتر امره وما دام قد اصبح بلا شباب ولامال فليس فى العالم خير من نعمات ترد اليه الشباب فى قصصها وفيما تمثله من ماضيه وماضيها وتبقى عليه المال بعدم مبالغتها فيما تطلب وعـــــدم ضيقها بما يعطى .

كان زين العابدين يصبغ شعره وكان يحس انه بصبغته هذه يضـــــيع عجزه وهذا التيبس الذى الم باطرافه وهذه الغضون التى تكاثرت حول عينيه وفى وجهه بل وفى جسمه كله . بل انه كان يحس انه يصبغ الايام الشاحبة من الشيخوخة . ايام فى بياض الثلج وجموده ، كان يجرى عليها الصبغة وينظر الى المرآة ويبتسم ، وحسبه عند نظره الى المرآة ابتسامة ، لا ، لم يعد يطمع فى هذا الفرح العربيد الذى كان يتواثب فى نفسه كلما نظر الى المرآة ، لا ولم يعد يريد هذا الاطمئنان غير المبالى الذى كان يشيع فى نفسه عندما ينظر الى المرآة ، وهو بطبيعة الحال لم يعد يفـــكر أن يشعر بهذا الزهو الذى كان يثب الى قلبه من المرآة .. بحسبه من المرآة ابتسامته وأحيانا كانت الصبغة ينصل لونها فكان زين العابدين يرى الشعرات البيض المتفلتة من الصبغة تلتقى بالشعرات السود فكان يفرح من هذا اللقاء . فحبيب الى نفســـــه ان يلتقى الشباب بالشيخوخة ولو كان هذا اللقاء فى الوان وان كان هـــــذا اللقاء مصطنعا تكلف فيه هو الشباب بفرشاة وصبغة وفرضت فيه الشيخوخة نفســـــها كسنة من سنن الطبيعة وفترة من فتراتها . ولكنه كان يفرح على اية حال ويداعبه امل ، مجرد امل ان تهب اليه من شبابه نسمات ، أو نسمة من حين الى حين مهمـــا يتباعد مابين هذا الحين وذلك الحين .

كانت القاهرة تودع الشتاء وكانت النسمات تهب بعيد الظهيرة حانية هينـــة المسرى كأنها تصل بين شتاء بارد تودعه القاهرة وصيف قائظ تستعد لاســـتقباله أو كأنها بشائر من الربيع ارسلها كما يسبق الحراس المواكب،واستقل زين العابدين عربة ذات حصانين يبدو بوضوح ان احدهما ذكر والاخرى انثى ، كما يبدو بوضوح انهما تزاملا فى هذه المهنة فترة طويلة من الزمان فبينهما هذه الالفة المفروضـــــة بين زميلين قديمين فلو اطاق كلاهما لعانق كل منهما ذراع الآخر فى حنان الآدميين الذين تقدمت بهم السن ولم يعودوا ينتظرون من المستقبل الا أن يستعيدوا معا ذكريات من الماضى الطويل . وكان سائق العربة رجلا فى فتوة الشباب عريضا ضخما لايعبـــأ كثيرا بما بين الحصـــانين من الفة وتواد بل انه حتى لايرعى حرمة الذكر أمام انثاه

ولا رقة القلب في معاملة الانثى فهو بسوط كليهما في حركة يأتيها عفوا كأنها جزء من واجبه ، وبشدن يقطع انه لايدن كثير رحمه لزميليه في العمل لولاهما ما كان له عمل . انك تستطيع ان تدرك بسهولة انه اشتراهما منـــــذ قريب وانه قد دفع مقابلهما ثمنا لايستحقانه وهما على ماهما عليه من تقدم في السن . لم يكن صاحب العربة رحيما على الحيوان الابكم فيهما كما لم يكن رحيما على كبر السن الذى يمثلانه وانما كان يثار للعرق الكثير الذى بذله في سبيلهما .

وكأنما كان الحصانان يرجوان ان يجدا في شيخوختيهما شيئا من الراحة أو شيئا من التوقير على الاقل فحين لم يجداه من صاحبهما الجديد راحا يفرضانه فرضا بمشية وانية غير عاجلة ولا مباليه بهذه السياط التى تنهمر عليهما وكأنما يريدان ان يقولا لكم عرفنا امثال هذه السياط ولكنك في آخر المطاف مضطر أن تقدم الينا أوفر الطعام وأحسن العناية والا حرمناك رزقك جميعا فللشيخوخة تجربتها وفائدتهـا في كثير من الاحايين .

وهكذا سارت العربة في هدوء على الرغم من صخب السائق . وزين العابدين يحاول ما وسعه الجهد ان يملأ فراغ المقعد في العربة بجسمه ولكن هيهـات له ان يستطيع فقد ضمر جسمه مع الايام ، ألم تضمر أيامه أيضا ولكنه لايريد ان يصدق الضمور في جسمه أو في أيامه فهو يتوسط المقعد ويضـــع يدا على يمين ويدا على يسار ويفرج ما بين رجليه قدر ما يستطيع واضعا عصاه على الكرسي الصغير المقابل له ، ينظر الى الذين يمر بهم يكاد يسالهم ماذا ترون ؟ .. ألا ترون شبابا ، وهذه الوردة الحمراء الا تصنع لي شبابا ، وهذا الشعر الفاحم ، فما الشــباب ان لم يكن كذلك ، وتمر به الاعين فتبتسم حينا أو تعبره كظاهرة تعـودت أن تراها فما تحس فيها جديدا .

ووقفت العربة عند بيت متهرىء القسمات حاول ان ينتحر فعاجله صــاحبه بالاسعاف ونصب له مساند من الخشب تأخذ الطريق على من يريد السير على الطوار حتى يتخيل لرائيه انه عجوز مال على ذراعه فنام واستقر به الحال في نومته ، او لعله يذكر آخرين بواحد من اهل الكهف اصابته نوبة الاغفاء وهو مستند على ذراع له ، ولكنه كان عند زين العابدين بيت نعمات وكان عند نعمات المأوى الذى تلجأ اليه من زمان يولى وشيخوخة تسارع اليها الخطو .

طلب زين العابدين من السائق ان ينتظر فامر السائق الخيل بدوره الا تتحرك والحق امره بسباب كثير والتفت اليه الحصان الذكر والقمامة على عينيه ثم التفت الى زميلته ومسح شفتيه بلسانه ثم استكان . ونزل زين العابدين من العربة ونفض الشارع بعينيه كأنه مقدم على مغامرة حتى اذا اطمئن الى خلو الطريق دلف الى الباب المختفي بين الاعمدة التى تسند البيت .

ولم يطل غياب زين العابدين وعادت معه نعمات وقد ارتدت فوق ملابســها معطفا جديدا اشتراه لها زين العابدين منذ قريب .

كان وجه نعمات مختفيا وراء كثير ولكن لم يكن الحجاب من الاشياء التى كان يحتجب وراءها الوجه .

وسارت العربة وقبل ان ينطق زين العابدين التفت اليه الســائق نصــف التفاتة وقال .

- الجزيرة ؟

وقال زين العابدين فى مرح

- **تعجبنى**

واتجهت العربة الى الجزيرة وقال زين العابدين

- **انت اليوم قمر**

وقالت نعمات وقد ابتسمت عن اربعة اسنان ذهبية وعن تجاعيد كثيرة حول فمها

- **اليوم فقط ياعمر**
- **وكل يوم وشرفك**
- اين كان هذا ؟ ٠٠ كنت لاتسأل عنا ايام سنيه شخلع الله يرحم ايامها ٠
- انت التى كنت منصرفة عنا
- وهل كنا نتوصل
- **أيام**
- **الا تعجبك ايامنا هذه**
- حلوه والنبى حلوه يانعنع
- اراك تتحسر على سنيه
- انت انستينى الكل
- **ياترى صحيح**
- **والنبى صحيح ٠٠٠ صحيح والنبى**
- **كنت ايام سنيه ٠٠٠٠**

وراحت تعيد على مسامعه ايام مجده وهو يزداد انتفاخا بجانبها وينظر الى المارة يكاد يستوقفهم ليسمعوا مايسمع وقد تسرى فى داخله فى لحظة عابرة همسة تقول كذب ماتسمع ولكن سرعان مايكتم هذه الهمسة فان الحقيقة كئيبة عند ما يحلو الخيال ، وعلى كل حال ما اقرب الواقع من الخيال ، وعلى كل حال هو مبتهج يكاد يطير من البهجة نسى الشيخوخة والصبغة ونسى الحقيقة لم يعد يذكرها ، لم تعد الحقيقة عنده الا هذا الذى ترويه نعمات ، وقائع تشركه هى فيها فى جرأة ودراية ومران ، وهو لم يفعلهـــا ٠٠٠ اولا يذكر انه فعلهـــا ٠٠٠ بل انه يكاد يذكر انه فعلها ٠٠٠ بل انه واثق انه فعلها وانها الحقيقة فى الحقيقة ٠٠٠ وتسير العربة ٠

ويصل موكب الذكريات والاساطير الى الجزيرة وتمر العربة بعربات أخرى ، وتمر بسيارات ، والذكريات تنهمر وزين العابدين فى نشوة هيهات أن تبلغها نشوة الخمر مهما تتزايد ، وينظر زين العابدين الى العربات والسيارات ، لو استطاع لصرخ فيمن بها اتعرفون انتم الحب والشباب تعالوا فانظروا كيف كنت ، بل فانظروا كيف انا الى الآن ويزداد انعاما فى العربات والسيارات الواقفة يرميها بنظرات محايدة ليس فيها معنى ، وتسير العربة ٠

ولكن العربة تبلغ سيارة مكشوفة ، ويقول زين العـــابدين فى نفســـه ، مكشوفة ٠٠٠ اليس لها غطاء ، وينعم النظر ثم ينتفض انتفاضة مجنونة ، ويعـــود ينظر... انها هى ويقول :

- بنتى : ؟

ويحيل اليه انه قالها في نفسه لم تنطق بها شفتاه وما درى انه صرخ ، وراح السائق يحث الخيل على العدو وهي تأبى الا أن يسير ، وامسكت نعمات بملابســـه ذاهلة لاندرى ماذا تفعل او تقول

ويقول زين العابدين ذاهلا :

ـ قف ٠٠٠ قف يااوسطى ٠

وتقول نعمات :

ماذا تريد ان تفعل ؟

ويرد السؤال الرجل الى بعض العقل وان كان جسمه قد اصبح مرجلا يغلى ويلتفت الى نعمات فتطالعها منه نظرة ذاهلة حائرة كسيرة مخذولة وتعيد سؤالها :

ـ ماذا تريد ان تفعل ؟

ويقول في حيرته الذاهلة ٠

ـ خذى ٠

ويخرج من جيبه جنيها ٠

ـ خذى هذا وامشى انت ٠٠٠ نعم اتركى العربة ٠

وتنزل نعمات الى الطريق تبحث عن عربة وينظر زين العابدين الى الســـائق يقول له في استجداء آمر ٠

ـ انتظر انت ٠

ويقصد الى آمال جالسة مع شاب في المقعد الخلفي من سيارة مكشوفة غير عابىء بناهد في السيارة نفسها وفي ثورة مكبوتة يضع يده على ذراع بنته التي كانت مسترخية على جانب السيارة وكأنما وجدت ثورته انفجارتها في تشــبثها بذراع ابنته ولم شيئا الا ٠

ـ قومى ٠

وانتفضت آمال ٠

ـ بابا !!

وقال مرة أخرى في نفس الثورة ٠

ـ قومى ٠

وفي لحظة كان ركاب السيارة منتثرين حولها وكانت آمال مجرجره الى العربة المنتظرة وسارت العربة ٠

وقال زين العابدين للسائق :

ـ الى محطة مصر ٠

وانتظر القطار ساعة ونصف ساعة لم يقل كلمة واحدة بل حتى لم يعـــد يفكر انما كل ما سيطر على ذهنه انه يريد ان يذهب الى بيته في قرية الحميديه ولا شيء آخر ٠

وحين حل الموعد انتزع ابنته الصامتة بدموعها التي تنثال على وجنتيها وركبا، وسار القطار ٠

ـ ٢٥ ـ

لم تكن عزيزة جميلة وانما هي شفتان غليظتان وشعر أرغم على الاســتواء

ارغاما فهو مفتول فى نهايته باسطوانه تبقى عليه استواءه وهى ذات عينين ضيقتين واميل اشد ضيقا من عينها ، لها قصة تكررت حتى لتكاد تصبح من كثرة تكرارها كأعمال الحياة اليومية التى لاتستحق الرواية ، كانت خادمة وكان فى البيت مراهق.

وحين اضطرتها الحقيقة المتخفية فى أحشائها ان تعلنها ذهبت الى المستشفى ودفع ابو المراهق النفقات فى كرم ، ثم أعطاها أيضا عشرين جنيها ثمن سكوتها وشرفها فى بيعة واحدة ، وكان لابد لها ان تقبل فان البضاعة التى باعتها لايقبل شراءها الا هذا الذى اشتراها فهو محتكر للصنف . وكانت لن تجد هذه الجنيهات العشرين على أية حال فقبلت ماعرض عليها . وقبل ان تخرج من المستشـــفى كانت احدى الممرضات قد عرفتها بسيدة أخرى تتاجر وبضاعتها اللواتى بعن شرفهن كعـــزيزة وانضمت عزيزة الى المعروضات فى بيت الحاجة نبوية . وكانت الحاجة نبوية قاسية فى معاملتها لبضائعها ولكنها ـ والحق يقال ـ كانت تسافر فى كل عام الى الحجاز تلقى باحمالها من ذنوب التجارة والقسوة جميعا ثم تعود الى القاهرة بقلب متهيىء لكل ماتعودت أن تمارسه من اعمال .

وهكذا لم تصبر عزيزة طويلا على الحاجة فسرعان ما اقامت تجارة حرة وحدها وبعد أن همست الى زبائنها بمكانها الجديد جمعت ملابسها ، الى هـــذا البيت الذى تستقبل فيه زبائنها القدامى ومن استجد منهم بعد ذلك غير مغالية فى الثمن فقـــد كانت تدرى انها ليست جميلة .

ولم تكن تجارتها رائجة فقليل من كان يعرفها وقليل هذا الذى يدفعـــه من يعرفونها فهم فى أغلب الاحيان طلبة فى الجامعة ممن لايحبون ان يلتقـــوا بتلاميـــذ الثانوى فى الاماكن العامة .

وكان محمد فى يومه هذا ضيقا اشد الضيق بحياته جميعا . فهو متزوج وغير متزوج فى وقت واحد . وهو على كرهه لزوجته يحس انه بحاجة الى انسان . لا لم تكن الوحدة ، انما هو يحس انه ضائع غير وحيد ، نعم انه ضائع هذا هو التعبير الذى أحس بصدقه حين نبت كالهمس فى نفسه . ضائع لا يدرى لماذا . لم يكن وهو بجانب أبيه يحس بالضياع ولم يكن وهو بجانب زوجته يحس الضياع وان أحس الضيق لها والكره ولكنه لم يكن يحس الضياع . اما الآن فاصدقاؤه كثيرون ولكن ليس بينهم من يستطيع أن يجد فيه اباه أو هنيه .

هل أريد أبى حقا . ألم أكن أضيق بتسلطه وفرضه رغباته دون أن تكون لى فرصة ان أقول ما أريد فاذا انا آخر الأمر لا أرى الا ما يرى بل ولا مســـــتقبل الا ما يرسم . فها انذا وحدى ، اخط مصير نفسى بيدى ، أى مصير ، لماذا لا أموت ماذا تخسر الدنيا اذا مت انا ، انا فى كلية الطب ولن يستطيع طالب فى كلية الطب أن يصبح مهندسا أو محاميا . أى مصير أخطر . زوجنى ممن أراد هو ، وجاء ابنى يؤكد هذا الزواج يثبته ان كان فيه مجال لشك ، فماذا بقى لى من مصيرى لأخطه .

وقادته قدماه إلى عزيزه واستقبلته استقبال زبون قديم وقال لها بعد حين .

ـ أريد ان اعرض عليك موضوعا .

ـ تفضل .

ـ هل انت مشغولة كل ايام الاسبوع .

ـ على حسب ٠

ـ طيب هل انت مشغولة طول اليوم ٠

ـ على حسب ايضا ٠

ـ اسمعى ٠

ـ عه ٠

ـ أريد ٠٠٠

ـ قل ماذا تريد ٠٠

ـ لا ٠٠ لا شىء ٠

ـ اسمع يا سى محمد ٠٠ نحن نسمع الكثير ٠٠ الزبائن لا تجد مكانا احسن من عندنا لافراغ كل ما عندهم ٠٠٠ قل ٠٠٠ انت مثل اخى ٠٠ ان لم أستطع أن أريحك فأنا لا أستحق أن تعرفنى ٠

ـ لا ، لاشىء والله الا اننى لادرى لماذا احب أن اجلس اليك ٠

ـ صحيح ؟!

ـ أحب أن أجلس اليك ٠

ـ اهلا وسهلا ٠

ـ انت الوحيدة التى استريح معهـا ٠٠ انا اخترتك انت من بين كل اللواتى عرفتهن ٠٠ انا الذى اخترتك بمزاجى انا ٠٠ يكيفى ٠٠ فانا أريد ٠

ـ قل ياسى محمد قل ولا تخجل ٠

ـ احب ان اجىء اليـك كلما امـكننى ذلك واجلس معك مجردجلوس ولن اعطلك ٠

ـ يا اخى تفضل اهلا وسهلا ٠

ـ مسالة الفلوس ٠

ـ لا ٠٠ لاتتكلم فيها ياسى محمد ٠٠ لاتتكلم فيها ٠٠ ياسلام ٠

ونظرت اليه نظرة طويلة ٠٠ فتى فى ريق الشباب طويل القامة اسمر الوجه ذو عينين كالمرآة يعكسان مايسقط عليهما من نور ولكنهما لايشعان من داخلهمـا نورا ، يبدو عليه انه كجهاز للاستقبال اللاسلكى ولكنه لا يصلح للارسال ، يضحك ان سمع مايضحك ويحزن ان سمع مايحزن ولكنه لايثير الضحك أو الحزن فى أحد ٠ ولهذا كان اصحابه يحبونه ٠

وقالت عزيزه :

– وانا ايضا يا سى محمد لا اجد راحة عند احد كما اجدها عندك ... احس وانت تسمعنى انك فعلا مهتم بما اقول ، الآخرون لا يسمعون ما اقول

– لماذا لم تطلبى منى أن أجىء للجلوس اليك ؟

– خشيت أن تظننى اريدك ان تأتى لمجرد دفع الفلوس ... انت متزوج يا سى محمد

وقص عليها محمد كل ما كان يكتمه عن الاصدقاء الاقربين .

– ٢٦ –

كان زين العابدين يجلس فى غرفة الاستقبال بمنزله وحوله رهط من أعيان القرية بينهم الحاج والى وكان القلق يسيطر عليهم جميعا فقد كان الراديو يذيع انباء الحرب فى ثورة محمومة امتدت من اوربا فشملت العالم أجمع حتى بلغت قرية الحميدية وزين العابدين والحاج والى وهذا الرهط الطيب الذى لا يتصل له سبب بالحرب الا ان ينزعج ويسيطر عليه هذا القلق الآخذ الوبيل ... النفوس منهم هالعة لا تدرى ما المصير فى الغد ، والايام المقبلة كلها مغلفة بدخان قاتم من نيران الحرب ، كل فرد منهم ينظر الى غده فى ذعر تختلف بينهم أسباب الذعر ولكنهم جميعا متفقون على الذعر والقلق والترقب للغد الكالح المغبر المستخفى فى اطواء الدخان واصوات الطلقات وآهات الصرعى وضجيج الجنون وصراخ المطامع تغشيها الدعاية وتهتك عنها الدمار أستار الخداع .

الراديو يكاد ينفجر من هول ما يذيع وزين العابدين والحاج والى والرهط الآخرون صامتون لا يتحرك لسانهم بكلمة وان ثارت فى نفوسهم عواصف من الاحاديث . ولكنهم فى لحظتهم تلك كانوا يريدون ان يسكتوا لا ليستمعوا فحسب وانما لانهم وجدوا من الصمت ستارا يخفون وراءه القلق الراعد بين جنوبهم وانتهى المذيع من اخباره وشمل الصمت الكون أجمعه حولهم لحظات وظلوا هم فى دوامة من صمتهم ، وما لبث الراديو ان عاد الى الحديث مرة أخرى « تسمعون الآن اغنية الأمل الضائع شعر حسين شحاته غناء نجوى مصطفى » ولم يكن الحاج والى يتوقع ان يسمع اسم ربيبه مذاعا وشعره غناء فأحس كأن الدنيا حوله تهنئه وسرعان ما تصاعد الضباب أمام عينيه ثم راح ينجاب طبقة بعد طبقة حتى لم يبق الا غلالة رقيقة من الضباب وجاءت الانغام وواكبت الابيات اللحن ونظر الحاج والى الى زين العابدين والآخرين فوجدهم ناظرين اليه وعلى فم كل منهم ابتسامة كأنه يهنئه بها ، وانعم النظر الى الوجوه وقد راحت موجة الذعر تنحسر عنها شيئا فشيئا فهم ينعمون بما يسمعون بل ان بعضهم يمصمص شفتيه وآخر منهم يقول « الله ، الله » وزين العابدين يهز راسه وأصبحت الغرفة الحانا وانحسر عن هذه الحجرة من العالم قلق الحرب المروع فالنفوس ترف مع النغم والقلوب تتفتح لآمال،

وتسترجع الذكريات ، والدنيا هنا فى هذه الحجرة ـ دنيا ودور فيها حب وفيها متعة وفيها سرور وعلى الارض ... هذه الارض من هذه الحجرة السلام.

وانتهت الاغنية ، وراح الحاج والى ينظر الى زين العابدين ينتظر منه انيقول كلمة . وقالها زين العابدين آخر الامر .

ـ الشعر هائل يا حاج والى

وتصاعدت بعد هذه الجملة أحاديث الاعجاب من الجالسين . واحس الحاج والى نفسه الصدئة تنقع فى السعادة ودار الحديث بعد ذلك عن الاغنية والشعر وفكر الحاج والى وهو فى دوامة الفرح كيف أصبح الحديث مشرقا وبهيجا بعد ان كانت ريح الحرب القاتلة هى التى تسيطر عليهم . واحس الحاج والى انه يريد ان يصبح وحيدا فهو يستاذن ويقوم الى الطريق المنفرد من القرية ... الى الليل ... ليل القرية الذى يشيع الوحدة فى النفس بصورة يعجز عنها فى اى مكان آخر ... ومشى الحاج والى لا يسمع الا أنفاس الليل حتى لقد نفت مسامعه عنه صرير الصراصير ، ونقيق الضفادع ونباح الكلاب فليس ثمة من حوله الا انفاس الليل فى القرية وتلك الرائحة التى تنتشر فى امسيات الريف رائحة الاعشاب الخضراء وهى تحترق اختلطت برائحة الندى وقد استقر على أوراق الشجر . وكان الحاج والى وهو سائر يشق سحابات من الضباب لا يدرى اهى التى تعود ان تتراكم امام عينيه ام انها سحابات آتية من العشب الاخضر المحترق .

نعم ان حسين لم يعد يسال عنه ، وهو منذ حصل على مرتب من وظيفته قطع ما بينهما قطيعة توشك ان تكون كاملة ، ونعم ان حسين عرف مرات كثيرة بمرض الحاجة بمبه وبمرض الحاج والى فلم يكلف نفسه عناء خطاب يرسله ، ونعم ٠٠ انه لا يزور حتى أخاه فى القاهرة٠ولكن مهما يقطع حسين ما بينه وبين الحاج بل ما بينه وبين اخيه ، الا انه لا يستطيع ان ينكر ان الحاج والى هو الذى جعل منه هذا الانسان الذى يذيع الراديو اسمه وتغنى له المطربات ، لا مهرب له من هذا وان جهد هو أن يهرب من ماضيه ٠٠٠

وماذا كنت أريد منه ٠٠٠ فليأخذ طريقه فى الحياة موفق الخطوات فلا والله ما تمنيت عنده شيئا ٠٠٠ ولا السؤال ٠٠٠ لا ولا السؤال يكفينى منه ان يسعد الناس مثلما أسعد اليوم زين العابدين بك ومن كان معه ، ومثلما أسعدنى ٠٠٠ نعم لقد أسعدنى ٠

ومضى الحاج والى يشق الضباب ورائحة العشب الاخضر المحترق المختلطة برائحة الندى تلاحقه غير ملتفت ولا عابىء بصرير الصراصير ولا بنقيق الضفادع او نباح الكلاب .

(البقية فى العدد القادم)

فوق خشبة قديمة



ذهبت لمشاهدة البروفة التى تجرى على المسرح لاوبريت (.......) نصف ساعة تضيتها فى نشوة عجيبة، ثم تطلعت الى ساعتى لارى الوقت اذ كنت مرتبطة بموعد بعد ذلك ... ولشدة دهشتى وجدت ان ما قضيته من الوقت لم يكن نصف ساعة بل ساعتين وانا جالسة فى مكانى مشدودة الاحساس الى ما يجرى أمامى دون انتباه للزمن .

فى خلال هاتين الساعتين رايت المشهد الذى يتمرنون عليه ... مرتين المرة الأولى فى غرفة متسعة ... مستطيلة استبدلت احدى حوائطها الاربع بمرآة كاملة يرى الراقصون والراقصات انفسهم واشباحهم وهم يتحركون اثناء التمرين ..

بقلم : حنيفة فتحى

كنا اربعة اشخاص ... رسام ضيف اتى من بلد اسيوى صديق ... وشاعر غربى اتى من بلاد بعيدة من أواسط اوربا ... ثم مخرج الاوبريت الفنان الرقيق ذو الافكار الحديثة والخيال الجرىء ... وانا .

جلسنا فى مقاعدنا صامتين بركن الغرفة نرقب المجموعة الكبيرة من الممثلين وهم يقومون بأدوارهم التى حفظوها من ساعات قليلة فقط ، وبينما هم يمثلون كان الملقن يقوم بدور عقلهم الباطن فيلقى اليهم الجمل والكلمات التى عليهم ان ينطقوا بها ، أما المخرج فقد كان يقوم بدور الرب الذى يحركهم كما يشاء ويرضي .

الغرفة على رحابتها تضيق بنا .... ونحن الاربعة فوق مقاعدنا وكأننا نشاركهم التمثيل ونقوم بينهم بدور المتفرجين ... هم الممثلون ونحن المتفرجون داخل اطار واحد ... وعلى غيرنا ان يصفق لنا عندما ينتهى المشهد .

ثم طلب المخرج من الممثلين ان ينتقلوا الى خشبة المسرح لكى يقوموا باداء البروفة مرة اخرى مع باقى المجموعة من المغنيين والراقصين والموسقيين .

وذهبنا ... الرسام والشاعر وانا الى صالة المسرح بينما انضم المخرج الى ممثلاته وممثليه .

المقاعد كلها خالية والصالة تسبح فى الظلام ... ورائحة الاتربة تملأ الجو والبرودة تشيع فى المكان الخالى من الانفاس . ووجدتنى امشي على اطراف اصابعى ، والقى بكلمات همسا الى زميلى ... اخشي ان اقلق غيرى من المشاهدين ... ولم يكن هناك احد غيرنا من المشاهدين ... خيل الى ان كل كلمة وكل حركة فى الصالة سوف تبدو شاذة ونشازا فى هذا الجو المتلىء بالفن ... سوف تقلل من الاحترام لما يدور فوق الخشبة القديمة .

وتطلعت الى المسرح بعينين متعطشتين ... هنا فى هذا الجو اعثر على حياتى الحقيقية حياتى التى يرسمها خيالى وتخططها احلامى ... حياتى التى تتلاشي امامها جميع مطالب الحياة الواقعية والمادية . بين الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات والموسقيين والطائرين فوق المسرح بحركاتهم الموقوتة الرشيقة وهم فى ملابسهم الملتصقة بأبدانهم تبرز جمال تكوينهم وانسجام عضلاتهم ، انهم كالارواح الهائمة ... كالشياطين او كالملائكة نساء ورجال وليسوا من البشر ...

وانتحى كل فرد ركنا وسط الزحام وراح يعيد اداء دوره ويكرره حتى يتقنه هذا يغنى بصوت مرتفع ... وذاك يصيح لنفسه ... (ولماذ نشترى من الاجنبى ؟) ولا احد يرد عليه ... بينما اخذ عازف البيانو يعزف لحنا شرقيا رائعا ممتلئا حنانا واملا ونشوة .. ثم اخذ يكرره ... ويكرره ... ويكرره حتى استحال فى اذنى الى دقات مملة سخيفة ... يا لله !!. اهكذا اذا ما انقلب الجمال الى روتين وتكرار فقد الفن روعته والحنان رقته وانطفأ بريق الامل ...؟؟ وهذه الفتاة المشوقة تتبع خطوات الفتى النحيل الذى يقفز هناك فى توقيت لا يدرك سره الا هو وهى ... فلا تسمع لاقدامهما وقع ، ولا يكاد يكون لهما ظل ايضا فوق الارض .

واستنشقت العبير الذى يملأ الجو فى لذة كأنما استنشق عبير الحياة... التراب المعطر الذى يهب من ناحية المسرح ومن الديكورات ومن بين الكواليس . كم راودتنى فى ايام طفولتى رغبة جامحة لا تعلم رقص الباليه اظنها راودت معظم الفتيات ... ولكنى كنت اجبن من ان احقق املى واتشبث برغبتى ، ولكن لم اكن جبانة بالقدر الذى يمنعنى من تحرير ضميرى وخواطرى من كل ما يجول

بهما بصدق وصراحة فوق الورق . وهكذا استبدلت التعبير بالجسد بالتعبير بالقلم .

وراح خيالى يسبح ويسرح ويترجم ما اراه فوق المسرح الى قصة تحول فيها المثلين والممثلات الى أفراد أسرة واحدة يعشق كل منهم فنا مخيلفا . ويجتمع أفراد الأسرة مساء كل يوم فى صالة بيتهم الواسعة حيث يقوم كل منهم بممارسة الفن الذى يعشقه..هذا يرسم وذاك ينحت تمثالا .. وهذه ترقص وتدور طول الوقت والاخر يغنى بصوت مرتفع .... واخرى تعزف على الكمان او البيانو .. وهكذا ... ولو كان بالمكان متسع لقام احدهم بترويض لبؤة مفترسة وانشأ غيره مطبعة لطبع جريدة تنشر أخباره فقط . كل مخلوق يحيا حياته كما يشاء ... كل واحد ينام على الجنب الذى يريحه ... لا احد يتضجر ولا احد ينتقد لأن لا احد يلتفت الى ما يفعل الآخرون ولا احد يهتم بغيره ولا يستمع الا لصوته او لكلامه . ويجرح المثال يده جرحا كبيرا ويأخذ دمه يسيل . ويصيح الآخرون أن ينقذوه ان يلتفتوا اليه .... ان ينادوا له الطبيب ، وبكل هدوء يخرج المغنى منديله من جيبه ويربط له الجرح ثم يسحبه من ذراعه ويفتح الباب ويدفع به الى الخارج قائلا له اذهب ابحث لنفسك عن طبيب ، حتى هذه الحركة لا يلتفت اليها احد ... المغنى فقط هو الذى تحرك لانه لايريد ان يشاركه احد فى الصياح .

.... اظنها سوف تكون قصة مضحكة ساخرة ... قصة تسخر من مأساة الانسان الذى يولد ليعيش حياته ثم يموت ولا احد يراه او يسمعه .

فجأة انطلق صوت المخرج آمرا كصوت الآلة او القدر طالبا من الجميع اتخاذ اماكنهم للبدء فى العمل .

وانتظم المثلون ...... وابتدا المشهد الذى رايناه فى الغرفة المغلقة يعاد امامنا ولكن كل شيء مختلف .. كل شيء فى موضعه الطبيعى .. المثلون يدخلون ويخرجون من بين الكواليس ، والديكورات والمناظر تحدد المكان وتضفى عليه رونقا والممثلون وقد ضم كل منهم عبقريته الى عبقرية زميلته وزميله فتكونت منهم فى النهاية قطعة غنائية تمثيلية فنية رائعة ... هكذا برز العمل الفنى يعلن عن نفسه كاقوى مايكون . ان كل قطعة على حدة جميلة ولكنها لا تعطى كثيرا ولا تعنى شيئا يذكر ... لانها لاتهم الا صاحبها ولا تتخاطب الا معه . انها مأساة الانسان ..... كل فرد يتحدث الى نفسه ..... يغنى لنفسه ...... يخاطب نفسه ...... يعزف لنفسه .... يرقص طربا لنفسه ... مأساة الانسان الساخرة المضحكة . ولكن لو تجمع الواقع فوق الارض كما تجمع الخيال والفن فوق الخشبة القديمة فى هارمونى رائع وانسجام جميل لاكمل كل فرد غيره وكتبت قصة الحياة كما يجب ان تكتب .

وخرجنا نحن الثلاثة من دار المسرح ..... وتركنا الرب مع مخلوقاته .... وتصافحنا ثم تفرقت بنا الجهات ، وذبنا كل منا فى طريق مختلف ، وانا موقنة من ان الرسام والشاعر قد حمل كل منهما فى قلبه نفس الاحساس الذى احسست به انا كاتبة القصة .

الوجودية في القصة القصيرة

بقلم : أحمد عصام الدين

ان الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أن القصة القصيرة فى هذا العصر كما كانت فيما مضى وكما ستكون فى مستقبل الأيام ، أداة تعبير عن حقيقة أو نزعة أو مذهب مما يختلف على الانســـانية فى عمرها الممدود ـ حقائق تكشف عن البصيرة ونزعات تعتور النفس ومذاهب تتبلور فى الفكر ، وكانما فطن صاحب الحقيقة أو النزعة أو المذهب ومن ينسج على نوله الى مدى ما للقصة من أثر فى النفس ، فانشأ يصطنعها وسيلة الى غرضه ·

وواحد من المذاهب الانسانية التي تسربت الى عقيدة أهل الأرض على مدى واسع ، مذهب الوجودية ، ذلك المذهب الذى يقول بالذاتية وحدها وأنها دون الذات والعقل هى المعول الوحيد فى عالم تبدو فيه الأشياء وقد خلت من كل معنى وبدا العقل سخفا ، وترتب على هذا أن يتعين على الانسان وقد جرد مما كان له من معتقدات وتقاليد وعادات أن يتخـذ هو قرارات ؟ وأن يجـد حقائقـه التى دعاها كيركيجارد « الحقائق الدامية » ، تلك التى تكشف عن رحلة العذاب التى تقوم بها الروح خلال ليل اللاشىء البهيم ·

والوجودية بما اختلف من وجودها تنعكس صورتها فى القصة القصيرة ، فكل قصة قصيرة وضعها قصاص وجودى ترمز لجانب من المذهب وتعالج القضية على نحو يطيب للنفس أن تخلد فترة من الزمن تصغى الى الحديث عنه فهو يأتيها عن طريق القصة ، ذلك الشكل الأدبى الوحيد الذى يروق لها وتطمئن الى صحبته ·

ونعرض هنا نماذج من القصة الوجودية تعرض جوانب من المذهب الوجودى اذا فرغ القارىء منها ، يكون قد حصل الكثير ، لا أقول من الفائدة العلمية الخطيرة ولا المتعة الأدبية الرائعة ، ولكن الى طرف من هذه وطرف من تلك ، عن مناخ العصر الثقافى وما يعيش فى جوه من أفكار ومذاهب تلبس من حلل الأدب ما يروق للنظر وتصطنع من أساليب حديثه ما يطيب للسمع ·

فهذا سارتر ، جين بول سارتر ، الفيلسوف الأديب ، وعلم الوجودية الأشهر فى عصرنا ، يلتمس فى القصة القصيرة طريقا الى عرض رأيه الوجودى ، فهو يرى أن الانسان لا بد أن يحظى باكبر قدر ممكن من الحرية ، حتى يمكن له أن يتحمل أكبر قدر من المسئولية فى عالم هو وحده الأول فيـه والأخير · نراه فى محاولته منح الانسان هذه الحرية الكبيرة يحدد من جديد مفهوم التحليل النفسى ، فيرى أن الانسان بل وجوده انما يقوم على الحرية التى يكسبها عندما يختار أن يصنع من نفسه ماهو .

وعلى أساس من هذه النظرة ، نراه يرفض فكرة اللاشعور أو العقل اللاواعى التى تجعل من الانسان مخلوقا سلبيا لا حول له ولا قوة · اذ أنه يعتبر كل شىء يحدث له مما هو بديهى فى عين عقله ، انما يشكل عنصرا من الذات الواعية ومن ثم فهو يخضع للسيطرة عليه · بل ان رد فعل الانسان السلبى للظواهر الخارجية ، يكشف

عن حريته ، فان القدرة على قول لا ، ان هي الا سلبية مبدعة يعبر فيها الفرد عن فرديته •

ومن ثم ففى قصة (الغرفة نرى بييرليس مجرد رجل يقيده جنونه الى غرفته ، ولكنه فرد ينكر فى حيوية ظاهرة أن ما من شيء فى الخارج له وجود ما ، فى أية صورة من الصور ؛ وهو فى فعل هذا انما يثير الشك فى سلامة عقل أولئك الذين يدعون أنه مجنون فارقه عقله ، وهو يجعل منهم ما يحاولون أن يجعلوا منه ، فاذا النقاش لا يلبث أن يدور حول ـ أى الطرفين ينعم بحرية أكبر ؟ ان المرء لا يزال يستطيع القول بوجوده عن طريق خلق جوهره ذاته •

وفى احلال الانسان محل الله ، يحرص سارتر على بيان أى صنف من الانسان ضرورى لهذه الغاية ـ انه عند سارتر الانسان صاحب العقيدة الطيبة ، انسان يتأمل ويتدبر ، انسان واع يحس ذاته ويدرك شخصيته على حقيقتها هذا الانسان انما هو انسان حر ، فى حين أن الانسان ، ذا العقيدة الفاسدة يؤلف الضد التام ، فتراه لا يعى تماما ، ثم هو رجل غش وخداع ، فهو يخفق فى تأمل دوره فى العالم الذى هو فيه • انه يعيش متراخيا فى أعماق خداع النفس الناقصة ، فهو قد يقبل ماينبغى له أن يرفضه ، وهو قد يرفض ما ينبغى له أن يقبله• وسارتر فى قصصه القصيرة خاصة يحاول دائبا تعريف الانسان صاحب الطوية الحسنة الطوية الفاسدة ، والكشف عن كيفية سلوك هذا وذاك فى مواقف تتطلب استجابة صفاته الخاصة وحدها •

وفى ضوء هذا الكلام ، تمكننا قراءة قصة (الغرفة) باعتبارها سردا تاريخيا يروى حياة حالة من حالات خداع النفس ، أو عرض لحال صاحب الطوية الفاسدة : ففى الواقع ، انما يبدو أن سارتر يغرق فى فكرة فساد الطوية هذه ، حتى ان أحد نقاده يرى فى عمله هذا مجهودا طويلا يهدف الى اكتشاف قناعات الطوية الخبيثة دون رقة الاحجام عن ذكر مالا لزوم له ، ففى هذه القصة زوجة تعيش مع زوجها المجنون فى الطابق السادس من بناء قديم ، ترفض المرأة وضعه فى مصحة عقلية ، ساعية عن طريق حبها ومشاطراتها أن تكون مثله فتذوق طعم الجنون الذى هو علته• وهنا نحصل على مثل واضح كل الوضوح من أمثلة خبث الطوية وفسادها ، فاذا كانت لا بد تخفق جهودها ، اذا بها تكره على الوجود فى ظلال منطقة الوسط التى لا هى جنون ولا هى عقل سليم • ويصور والدا الزوجة البرجوازية شكلا آخر أكثر وضوحا من أشكال الطوية الخبيثة ؛ وكلا المثلين متطرف شديد التطرف ؛ أكثر جوهرهما طرازى ، فكلاهما امتداد للحقيقة الطبيعية •

وقصة سارتر هذه الى قصة بروست « مشاعر بنوة قاتل أبيه » وقصة بيراندللو الموسومة « شنشى »تتسم جميعها بأنها تكشف منشئون النفس بما اختفى ورا، مظهر سمته الوقار والاتزان • فالأدب الوجودى ، بحكم تعريفه ، يشتغل بهذا الجانب من الوجود الانسانى ، ولعله أكثر من غيره ، وخاصة فى قالب القصة القصيرة قد اكتشف هذه الأعماق غير المعروفة • وتطالعنا هنا حقيقة تدعو الى ذكرها ، تلك أن أهل التحليل من أرباب المذهب الوجودى قد خبروا أوجه النفس الانسانية طويلا قبل أن يقترن فرويد أفكاره عن اللاشعور ، كما عاد من جاء بعده منهم فاصطنعوا طرائقه فى كشف ما غاص فى مستنقعات السلوك الانسانى ، ولفه الظلام يستره عن

الاعين • فقصة بروست التي ذكرنا ، تكشف عن العالم الذى فى غير موضعه ، حيث كان يعيش فلارنبرغ قاتل الأب المذكور ؛ وتومىء الى أن كثيرا ما كان السعى من أجل الحقيقة فى شأن شىء بعينه يفضى الى القتل والانتحار ، حتى ان المرء ليختلط عليه الأمر فلا يدرى أين الحقيقة !

وبالمثل فى قصة « شنشى » من تأليف بيراندللو ، نرى أن قتل الصبى المفاجىء ليس أمرا شاذا ، فهو يؤلف بعض كيان السأم الذى عليه عالم شنشى ، وهو ينفجر على نحو ما لا بد أن تنفجر صورة من صور العنف حين يتعذر بل يستحيل متنفس آخر عليها • فهو وقد ترك بمفرده مع أن العاهرة ، دون ارشاد ظاهر من أى نوع ، شاعرا بالملل المميت الذى يسم وجوده ، وبغير وعى ما لذاته أو لعالمه الذى يعيش فيه ، يجد من الطبيعى أن يقتل ، حتى ولو كان القتل صدفة أو عرضا • وفى عالم كهذا ، يحتمل أن يحدث أى شىء ، فبعد ارتكاب جريمة القتل ، يعود « شنشى » الى عالمه الكئيب وقد استحال الصبى لقتيل فى الغاب ، ذكرى ، لا تلبث أن تغرب عن باله ، وتضيع فى طى ما يجد مع ضحيته التالية •

وفى ريب من هذا القصص ، قصة فيردى ليل آدم الموسومة « الرغبة فى أن يكون رجلا » وفيها يسأل فير فيما يلقى من أسئلة ، كيف يمكن لممثل أن يميز نفسه ذاته من أدواره الكثيرة التى يقوم بها أيها الممثل ، وأيها الرجل الحقيقى ؟ أى شخصية يمكن للمرء أن يحققها ، حين يتعين عليه أن يتخذ شخصيات عــدة حتى يكون فى قناع يحجب عنه الغير ؟ وفى السعى الى الشخصية الحقيقية ، كم يحتمل أن يطول سفره على الطريق حتى يصل الى أن يقرر فرديته ؟ ان هذه كلها أسئلة وجودية تقوم جميعا على أساس من تقرير شخصية الفرد الحقيقية : فهذا شوفال وأصلا ليبينتين ، ويعرف باسم مونانتيل ، فضلا عن عدد لا يحصى من الأسماء المسرحية التى حملها فى حياته العملية الطويلة الناجحة •

ويرغب شودفال فجأة فى أن يكون نفسه ؛ أن يشعر بألوان من العاطفة لاعلاقة لها بأدواره التى يمثلها ، فلأن يكون انسانا ، لا بد أن يشعر بالندم ، ولكنه حتى يشعر بالندم ذاك ، لا بد أن يرتكب جريمة مروعة ثم يلقى بعدها نفسه فى عزلة عن الغير • وهكذا يدبر شــودفال أمر حيــاته على نحو ما يفعل مخلوق انســانى يحس ويشعر ، فعن طريق المواءمة بين وجوده وخططه فى الحياة ، يخلق هذا الانســان جوهره ولكن فراغ العالم من المعنى بلغ درجة ، حتى أنه وقد نفذ خطته التى تبعث الرعب فى النفوس بنجاح كبير ، وخلد الى منارة مهجورة ينتظر الندم ، اذا هو لا يقع على شىء • واذا به يواجه « لاشيئية » الوجود ، واذا بالقارىء آخر الأمر يقرأ : « لم يحس بشىء ، بأى شىء على الاطلاق ! » وتلك عبارة تسبق الى الوجود قولة موزيل ، قصاص الجنس الوجودى : « ان كل شىء من الناحية الوجودية لا يمكن قياسه ، ومن ناحية المعنى ، هو خلط واضطراب » •

ويقدم لنا دى ساديه فى قصة « حوار بين قسيس ورجل يحتضر » صورة عكسية مباشرة لما نراه عنــد فير وشودفال الذى يرغب فى الندم ولا يجد شيئا • نرى مريض دى ساديه يبذل وهو على فراش الموت نصيحة مؤداها أن الندم العقيم يثير السخرية لا أكثر ، وأن الجريمة فى ذاتها يجب أن يتجنبها المرء ويتحاشاها ، لا عن طريق الخوف ، وانما عن طريق العقل والمنطق •

ويمضى صاحبنا فيقول ان الانسان يستطيع عن طريق العقل والطبيعة أن يرتفع

فوق احساساته باللاشيء • ونراه ، بدلا من أن يرهبه عالم لا وجود لله فيه ، يحاول ما وسعه أن يدخل فى روع القسيس فيؤمن بقوله ، ان عالما هذا شأنه ، عالم بغير الله ، يعلو على عالم يحكم فيه الله الانسان • ففى هذا العالم الأخير يحكم الانسان عن طريق الخوف ، بينما فى عالم لا وجود لله فيه ، يغدو الانسان له الكلمة العليا• ان الانسان يستطيع أن يحقق شخصيته عن طريق اللذة ، ويستطيع الى هذا أن يحكم نفسه بالعقل والمنطق لا بالخرافة والدجل والنفاق • وهو هنا يلتقى مع سارتر ثانية ، حيث يقول هذا : « ان الانسان يصنع نفسه » • وقد يختلف الشكل ويتباين ، ولكن الانسان حر يختار جوهره بغير ما تدخل من أعلى • ويمضى دى ساديه فى مذهبه القائم على امكان التغلب على النفور من المجتمع الذى نعيش فيه عن طريق الاغراق فى اللذة الحسية ، مما ترسم صورته شخصياته العديدة فى قصصه الكثيرة •

وقريب من قريب ، يتجه المذهب الوجودى عند صمويل بيكيت وفرانز كافكا وسيزار بافيس اتجاها مغايرا • فالطراز الوجودى فى قصص صموئيل بيكيت شخصية فى خلاف وصراع مضطرب مع الأشياء من حولها ، ذلك لأنها هى وحدها دون غيرها لها نصيب من الحقيقة ، ويذهب بيكيت أبعد من هذا فيقول ، ان حتى تلك الحقيقة موضع شك وريبة فى آخر الأمر ، ولا أدل على هذا من قصته « الطريد » ؛ ففيها يتمثل السعى الذى لا أمل له من أجل أن يعرف صاحبها ألا سبيل الى ردها •

وفى قصة كافكا « راكب الجردل » ، يبرز عنصر الوجودية فيما تقدمه من عالم أصابه الجمود ، تلعب فيه الارادة الانسانية دورا صغيرا أو هى لا تكاد تلعب أى دور على الاطلاق • والانسان عند كافكا ، وهذه ظاهرة واضحة لا يشوبها شك ، فى قصصه قصيرة وطويلة ، هودائما الضحية البريئة ليس هناك من يخفف غلواءها حياله • واذا كان هذا حاله الذى آل اليه ، لا لشيء سوى أنه انسان ، فانه لا يملك الا أن يندب حظه وينتحب ، فنراه يقول : « أنا هنا ، وأكثر من هذا لا علم لى به ، وأبعد من هذا لا يمكننى الذهاب ••• »

وفى قصة برخت « سقراط الجريح » ينتقل بنا المؤلف الى جانب آخر لنشاط الوجودية فى ثوب القصة القصيرة •• ذلك جانب التعليق السياسى الذى فى السخف فى دنياه هو القاعدة ، والنظام هو الاستثناء والشذوذ • ويرمز بريخت الى خلو البطولة من المعنى فى معركة تقرر قوى أخرى بجانب الأفعال الفردية نتيجتها • ولعله هنا يومىء الى بلده ألمانيا وما كان من أمرها فى الحرب العالمية الأخيرة • ونقطة أخرى تبرز فى هذا المجال ، الا أنها أقل حظا من الوضوح • ان الارادة الفردية لا فائدة فيها أساسا فى عالم لا يستجيب للعمل البطولى • وصفوة القول هنا أن الفرد يغترب بفعل غيره عن رغباته كلية تقريبا • وسقراط الجبان ، هو سقراط البطل الى حين ، ثم لا يلبث أن يسقط بفعل شوكة آلمته فى قدمه ، الا أنها أثارت السخرية من جانب غيره • وعلى طول القصة ، لا ينزع سقراط مرة فيخدع نفسه لأن مناط الفضيلة عنده أو ان شئت عند بريخت وأعنى الفضيلة الوجودية العظمى حقيقة الذات فلأن شخصا حقيقيا معناه أن تكون شخصا يواجه الحال الانسانى ، يتقبل فى تصميم واصرار حقيقة محدوديته وموته ، ويستجيب للحياة استجابة ابداعية ، ويتحمل فى رجولة مسئولية قراراته كلها • وهذا فيما يضمن برخت حديثه ، سر عظمة سقراط

والحديث يطول ، وحسبنا هذا القدر الذى يفى بالغاية فيما نقدر ؛ فانما نسعى الى عرض نماذج وجودية من القصة الوجودية التى بلغت ذروتها فى أيامنا هذه •

تشنشى

بقلم : لويجى بيرانديلو
ترجمة : بهجت عبد الفتاح

جلس الكلب فى هدوء على رجليه الخلفيتين أمام الباب المغلق فى انتظار أن يفتح هذا الباب . ومن حين الى آخر كان يرفع مخالب رجليه ويحاول فتح الباب . ومن حين إلى آخر أيضا كان يطلق عواء خافتا .

وعندما عاد تشنشى من المدرسة ، وهو يلف كتبه فى حزام يعلقه على كتفه ، وجد الكلب مايزال جالسا هناك فى الشارع . وتضايق الصبى لهذا الانتظار الطويل وركل الكلب . ثم انه ركل الباب بقوة وهو يعرف أنه موصد وانه لا يوجد أحد فى البيت . وأخيرا رمى الباب بكتبه كما لو أنه يتوقع أن تدخل منه الكتب وتستقر على الأرض داخل البيت . ولكن الكتب ارتدت اليه ثانية بنفس القوة التى دفعها بها . ودهش الصبى كما لو أن الباب يلعب معه ، ودفع بالكتب مرة أخرى اليه . وحينئذ ـ ولأن هناك ثلاثة يلعبون تشنشى والباب والكتب ، أراد الكلب أيضا أن يشاركهم اللعب .

وتوقف الناس لينظروا الى هذا الذى يحدث .. وابتسم قليل منهم رغما عن أنفسهم لسخافة اللعبة وبسبب الفرحة التى كان يشعر بها الكلب . أما الآخرون فكانوا يشعرون بالحنق لأن كتبا غالية الثمن تعامل هكذا دون أدنى اهتمام أو مبالاة . وعلى الفور تعب تشنشى من اللعبة وألقى بكتبه على الأرض . ثم ترك جسمه ينزل ببطء ـ وهو يحتك بظهره فى الحائط ـ على الأرض . وأراد أن يجلس على الكتب ولكنها انزلقت من تحته ووجد نفسه يجلس على الأرض مباشرة . ثم تطلع حوله فى عبوس أبله على حين كان الكلب يقفز من هنا وهناك وهو ينظر اليه .

كان يمكن أن نعرف مدى الألم الذى يشعر به الصبى فى هذه الخصلة من الشعر الذى بلون التبن والتى تهدلت على جبهته ، وأيضا فى عيونه الخضراء التى كانت تومض ببريق غريب . لقد كان فى السن الحرجة فى حياته أبله خشن الطبع . ولأنه نسى المنديل عندما عاد الى المدرسة بعد الظهر فقد اضطر أن يجلس على الأرض مباشرة وهو نحيف ، وساقاه الطويلتان فى حالة عرى لأنه مايزال يرتدى البنطلون القصير بالرغم من أنه تعدى السن التى يرتدى فيها هذه السراويل القصيرة . وكانت ركبتاه ترتفعان حتى مستوى وجهه . لم تكن الأحذية تستمر وتعيش فى رجليه طويلا فقد كان يسىء معاملتها . وهكذا فان الحذاء الذى كان يضم قدميه كان فى حالة من البلى .

وشعر بالضجر • كان فى حالة ضيق شديدة • ثم أخذ يغط فى النوم وهو يحتضن ركبتيه • وفجأة سحب ظهره على الحائط مرة أخرى وانتصب واقفا• وقفز الكلب متوقعا شيئا • الى أين سنمضى ؟ لابد أننا سنمشى فى الحقول ، ربما لنحصـــل على ثمرتين من التين أو التفاح ؟ ولم يكن تشنشى متأكدا بعد مما ســـوف يفعل • وفى فتور وتراخ ربط كتبه ووضعها على كتفه •

وكان الطريق المعبد المرصوف ينتهى الى مابعـــد منزله حيث يبـــدأ الطريق القذر • كان هـــذا الطريق يؤدى الى أعمـــاق الريف المنبســـط الواسع • ما أعجب الأحاسيس التى تشعر بهـا عندما تركب عربة ثم تشعر بحوافر الحصـــان وعجـــلات العربة تنتقل من الطريق المعبد الى الطريق الهش القـــذر الصامت • وقد يشبه هذا المدرس الذى يكاد ينفـــجر من الغيظ ثم نراه فجأة يتحدث بهدوء وصوت رقيق ، ومن ثم تخف حدة الخوف من العقاب • لكى تمضى الى الريف الشاسع المنبسط يجب أن تتبع الطريق القذر حتى يتسع فى الميـدان الصغير فى مشـــارف المدينة وكان هناك مستشفى قد بنى حديثا • وكانت جدرانه التى طليت حديثا باللون الأبيض ماتزال تتالق حتى أنها تبهر نظراء والشمس ساطعة •

وكان كل المرضى قد انتقلوا حديثـا من المستشفى القديم فى عربات الاسعاف وعلى النقالات • وكانت عمليـــة النقل هذه تشبه الاستعراض الكبير ، فعربات الاسعاف فى المقدمة والستائر تخفق على النوافذ الصغيرة ، ثم أغطيـــة الاسرة محمولة على النقالات الجميلة التى تشبه الأراجيح •

وعنـــدما وصل تشنشى وكلبه الى الميـدان كان الظـــلام يهبط على المكان فقد غربت الشمس ، ولم يعد الناقهون فى قمصـــانهم الرمادية وقلنســـواتهم البيضـــاء ينظرون من النوافذ الكبيرة ليحملقوا فى أسى فى الكنيسة المواجهة التى كانت تطل من بين مجمـــوعة من البيوت الخربة المهدمة والاشجار القليلة المتناثرة هنا وهناك •

وتوقف تشنشى وهو متردد ، وأخذ يبحث عن شيء يستند اليه فقد عجزت قدمـــاه عن حمله ، وكان يمتلىء مرارة وأسى وشعورا بالعجز • وكان يحس أشـياء كثيرة لا يستطيع أن يتبينها • فهناك أمه • كيف تعيش وعلى أى شىء تعيش ؟ فهى لم تـــكن تحضر أبدا الى البيت • وقد أصرت على أن تبعث به الى تلك المدرسة • تلك المدرســـة اللعينة التى تقع على مسافة بعيدة • وعليه كل يـوم أن يجرى فترة نصف ساعة على الاقل حتى يصل فى الموعد • ثم يعود فى الظهيرة لكى يرجع الى المدرسة بعد أن يلتهم بعض الطعـــام • وكانت أمه دائما ما تقـول انه كسول يضيع وقته يلعب مع الكلب • وكانت دائما ماتؤنبه وتوبخـــه ، فهو لا يستذكر دروسه ، وهو قذر ، كما ان الناس تغشه عندما تبعث به أمه ليشترى شيئا ، كذلك فهو يحضر الطعام غير الطازج •

والآن أين الكلب ؟

انه هناك •• هذا الكلب التعس • ينتظر فى صمت أن يتخذ سيده أمرا • وعلى أية حال فالكلب يعرف مايراد منه: اتبع سيدك •• وكان تشنشى يريد أن يفعل شيئا ، ولكن كانت هناك دائما نفس المشكلة •• فهو لم يكن يعرف ماذا يفعل • وكان يمكن لوالدته أن تعطيه

المفتـاح على الاقل عندما تخرج لتخيط بالنهـار فى بعض البيوت ـ فهذا هو عملهـا كما قالت له · ولكن لم يحدث ذلك · فقد قالت انها لا تأتمنه · واذا رجع من المدرسة قبل عودتها فعليه أن ينتظر فهى لن تتـأخر كثيرا · ولكن أين ينتظر ؟ أمام الباب ؟ لقد اضطر فى بعض الاحيان أن ينتظر سـاعتين فى البرد الشـديد بل فى المطر المنهمر وحينئذ ـ وبدلا من أن يبحث عن مكان يتقى فيه هـذا المطر ، كان يذهب الى الركن ويقـف تحت الميزاب حتى يبتل جسمه · وأخيرا تظهر أمه وهى تلهث ، حاملة مظلة استعارتها من أحد البيوت، وعينـاها متقدتان وفى حالة عصبية شديدة وهى تبحث عن المفتاح فى كيس النقود ·

ويسمعها تقـول « انك مبتل ·· اصبر قليلا ·· لقد أخرونى » ·

وقطب تشنشى وهـو يسير الى أعلى التل · وكانت تدور فى عقله أشـياء لا يريد أن يفكر فيهـا والده مثلا ·· فهو لا يعرف والده أبدا · وعندما كان صغيرا قيل له ان والده قد مات قبـل أن يولد هو · ولكن أحدا لم يقل له من يكون والده هذا ؟ وهو الآن لا يهتم بأن يسأل عن والده أو يأبه لذلك ، فقـد يكون ذلك الكسـيح الذى شلت يمينه هناك . والذى يحاول أن يجر نفسه الى حجرة الجـلوس · وفى تلك اللحظة ذهب اليه الكلب «فوكس» ونبح · لقد كان فوكس هو السند الذى لا يحبه ·

ورأى فى مخيلتـه نسـاء كثيرات يجلسن فى دائرة ، كروشهن تتـكور أمامهن ولكنهن لسن بالحبالى ـ ربمـا كانت واحـدة منهن حبلى ـ تلك التى يرتفع طرف ثوبها أمامها ويجرجر على الارض وراءها · ثم هـذه الاخرى التى تحمل طفلا بين ذراعيها وينتهى بقدميه عند بلوزتها : يا لها من كتلة من اللحم ·

لقد كانت أمه جميلة ، وهى ما تزال شابة ونحيفة ، وقد أرضعته وهدهدته على صدرها عندما كان صغيرا · ربمـا فى بيت فى الريف ، أو فى العراء تحت الشمس أو على قطعة من الارض تجرى فيها عملية درس الحبوب · انه لا يكاد يتذكر له بيتـا فى الريف عندما كان صغيرا ، هذا اذا لم يكن قد حلم به أو رآه فى مكان آخر · من يعلم ؟· وعندما قدم المساء واشعلت مصابيح الزيت ، استطاع أن يستشعر ظلالا تلقى عتمتها على تلك البيوت بينما تنتقل المصابيح من حجرة الى أخرى ، ويذبل الضوء فى احدى النـوافذ ليظهر من جـديد فى نافذة أخرى ·

وفيما وراء الميدان كان الطريق يتعرج الى جانب أحد التـلال ثم يواصل سيره حتى الريف · وتطلع تشـنشى الى أعلى ورأى رقعة الفضاء الواسعة · وكانت الاشعاعات الاخيرة للشمس الغاربة قد اختفت ، وفوق التل المظلم كانت ترتفع السماء الزرقاء · وسقطت ظلال المساء على الأرض فاخفت الوهج الأبيض لجدران المستشفى ·

ورأى تشنشى سـيدة عجوزا تسرع الخطى نحو الكنيسة الصغيرة حتى تؤدى صلاة الليل · وقرر الصبى على الفور أن يدخل أيضا ، وتوقف فوكس وهو يتطلع الى صاحبه ، ذلك لأنه يعرف تماما أنه لا يمكن أن يدخل الكنيسـة · وكانت السيدة العجوز ، التى كانت تأخرت عن الموعد ، تلهث عنـد مدخل الكنيسـة وتتكلم بصوت متقطع وهى تجاهد كى تزيح السـتار الجلدية الثقيلة · ولكن

تشنشى أزاحها نيابة عنها ، ورآها تقطب جبينها بدلا من أن تشكره. فقد شعرت أنه لم يأت الى هنا للعبادة . وكان الجو باردا فى هذه الكنيسة الصغيرة كما لو أنها كهف . وعلى المذبح كانت هناك شمعتان تحترقان وهما تتذبذبان . وهنا وهناك كانت قليل من المصابيح المتفرقة تتألق . وكنت تحس أتربة العصور الطويلة فى تلك الرطوبة التى يتشبع بها المكان . وكانت الأصداء تتسلل فى هذا الصمت الكئيب على استعداد لأن تعلو عند أقل ضوضاء . ووقفت كل سيدة فى مكانها المعتاد . وشعر تشنشى بأنه يريد أن يحدث صوتا أو يصرخ حتى يجعلهن يقفون ويفزعن.. ولكن لا داعى للصراخ . ماذا لو ألقى بكتبه الثقيلة على الأرض كما لو أن ذلك قد حدث عفوا ! لم لا ؟ وترك الكتب تقع على الأرض ، وانطلقت الأصداء كالرعد تحطم كل شىء حوله ، وشعر بمتعة وسعادة . وكثيرا ما حاول تشنشى هذه التجربة. والآن لا ضرورة من اقلاق هؤلاء المتعبدات اللائى تقدمت بهن السن . وخرج من الكنيسة ووجد فوكس مستعدا لأن يتبعه فى الطريق الى أعلى التل . وود لو قضم ثمرة فاكهة ، وقفز على حائط واطىء ليتحسس طريقه بين الأشجار المظلمة . ولكنه لم يكن على يقين فيما اذا كان هذا الدافع قد استقر فى ذهنه نتيجة الجوع أم لمجرد أن يفعل شيئا فحسب .

وكان الطريق المنحدر خاليا من المارة ، وملىء بالأحجار الصغيرة التى كسرتها حوافر الحمير ، وتركتها تتدحرج الواحدة وراء الأخرى . وركل تشنشى حجرين فى الهواء بمقدمة حذائه . وكانت المنحدرات على الجانبين مغطاة بأعواد الشوفان الطويلة الخضراء وهى لذيذة اذ يمضغها وهو سائر . وكانت الأعواد الصغيرة تنبثق وتتماسك معا حتى لتبدو مثل الباقة . واذا ألقيت على أحد فان السنابل التى تعلق به تؤخذ على أنها عدد الزوجات أو الأزواج فى المستقبل وحاول تشنشى أن يجرب هذه اللعبة على فوكس . سبع زوجات لا أقل من ذلك.. ولكن حدث أن التصقت كل السنابل بشعر فوكس . ووقف فوكس وعيناه مغلقتان ، وهو لا يعلم شيئا عن هذه اللعبة أو عن الزوجات السبع فوق ظهره .

وشعر تشنشى بأنه لا يريد أن يمضى الى أبعد من ذلك . فقد كان الضيق والضجر يعملان فى نفسه كما حدث قبل ذلك . ومضى الى يسار الطريق ، وجلس على الجدار . ومن مكانه هذا أخذ يتطلع الى القمر الجديد ، وقد بدأ لونه الذهبى الشاحب يلمع فى خضرة السماء الباهتة. ورآه ولم يرم مثل تلك الأشياء التى تروح وتجىء فى العقل ، الواحدة مع الأخرى ثم تبتعد جميعا بعيدا عن جسمه الصغير الذى يجلس هادئا حتى لم يعد يدرى به . ولو أنه وضع يده على ركبته أو على قدمه المدلاة فى حذائه القديم القذر لبدت له كشىء غريب عنه . انه لم يعد فى جسمه ، فقد اندمج بالأشياء التى رآها والتى لم يرها . السماء المظلمة والقمر الساطع وتلك المجموعة من الأشجار التى تسمق فى الهواء الرقيق ، والأرض السوداء التى تم حرثها حديثا ، والتى ماتزال تخرج رائحة العفن الذى نتج عن رطوبة هذه الأيام المشمسة الأخيرة من شهر أكتوبر .

وفجأة ، وبينما هو منهمك فيما هو فيه ، شعر بذعر وذهول ، وبحركة

غريزية رفع يديه الى أذنيه • فقد سمع ضحكة قصيرة عالية من تحت الجدار ، كان هناك غلام فى مثل سنه يختبىء الى جانب الجدار الذى يتاخم الحقول وكان قد انتزع عودا من الشوفان أيضا وأخذ ينتزع سنابله ، ورفع يده وهو ممسك بعقده ليطبق بها على اذن تشنشى • وما أن استدار تشنشى حتى أشار اليه الغلام أن يهدأ • ثم حرك عود الشوفان على الجدار تجاه رأس سحلية صغيرة كانت تنظر خلسة من بين الأحجار • وكان هذا الصبى يحاول أن يصيدها واستمر يحاول ذلك ساعة كاملة • ونظر تشنشى فى شغف يراقب مايحدث • وادخلت السحلية رأسها ـ دون أن تدرى ـ فى الأنشوطه، ولكن ليس بالقدر الذى يستطيع به الصبى أن يصيدها ، كان يجب أن تدخل راسها أكثر قليلا ، واذا ارتعشت اليد التى تمسك بالأنشوطة وانزعجت السحلية فانها سوف تهرب •• نعم •• نعم •• ولكن يجب الانتظار •• وعليه أن يكون مستعدا لأن يشد الأنشوطة فى الوقت المناسب • وهذا العمل كله لا يستغرق ثانية • وفجأة أطبق على السحلية التى كانت تلمع كالسمكة فى نهاية الأنشوطة الطويلة •

ونزل تشنشى فى لهفة من فوق الجدار ، ولكن الغلام الآخر ، وهو يمسك بالأنشوطة خوفا من أن يأخذ تشنشى منه السحلية ، دار بذراعه فى الهواء عدة دورات ثم هبط بالسحلية الى الأرض على حجر صلب كبير كان يرقد بين الأعشاب •



وصاح تشنشى لا ٠٠ لا تقتلها ٠٠ ولكن بعد فوات الأوان ٠٠

ورقدت السحلية بلا حراك على الحجر، وكانت بطنها البيضاء تلمع فى الضوء٠ وغضب تشنشى ٠ كان هو أيضا يريد أن يرى السحلية وهى تصاد ، تدفعه الى ذلك غريزة الصياد الكامنة فى أعماقنا جميعا ، ولكن القتل على هذا النحو دون أن يتطلع فى دقة الى هذه العيون الصغيرة والأرجل المختلجة ، وهذه الرعشة التى تسرى فى جسمها الأخضر كله ، عمل مخجل حقا ٠ ومضى تشنشى الى الغلام وضربه فى صدره بكل قوته حتى جعله يستلقى على الارض ٠ ولكن الغلام نهض مرة أخرى وهو يتميز غيظا وغضبا وأمسك بحفنة من التراب من أقرب حفرة ، وألقى بها فى وجه تشنشى فأعماه ٠ وهاج تشنشى وتطاير شررا بسبب طعم التراب فى فمه ، فأمسك بقطعة من الطوب وألقى بها فى وجه الطفل٠ واشتعلت المعركة ٠ وكان الغلام أكثر سرعة ويصوب فى احكام ودقة ٠ ولم يكن يخطىء الهدف ، وأخذ يقترب شيئا فشيئا ، ويلقى بهذه الصواريخ من التراب التى لا تجرح ولكن ترتطم بقوة فى صدر تشنشى وتسقط كالبرد على وجهه وشعره وأذنيه وحتى فى حذائه ٠ وضاق تشنشى ذرعا اذ وجد أنه عاجز وأنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، فوثب وهو يرفع يده ليمسك بحجر من الجدار ، ووجد شيئا يتعجله ، هو هو فوكس ؟ ٠٠ وقذف بالحجر — وفجاة لم يعد هناك شىء يتحرك — مجموعة الأشجار والقمر الهلال الصغير — بعد أن كان كل شىء يدور ٠ وبدا كما لو أن الوقت قد توقف فى ذهول غريب عند رؤية الغلام وهو ممدد على الارض فاقد الحياة ٠

وأخذ تشنشى ٠ وهو مايزال يذهث والذعر يجتاحه وهو يرتكن الى الجدار فى هدوء الريف فى ظلال ضوء القمر ، يبذل الجهد ويغالب وهو فى حالة من الوحدة الأبدية يريد أن يهرب منها ٠ انه لم يفعل ذلك ، ولم يكن يريد ذلك ٠ ولا يعرف شيئا عن ذلك ٠ وحينئذ سار خطوة ثم اثنتين ونظر الى الأرض كأنه شخص آخر يقترب رغبة فى التكشف وحب الاستطلاع ٠ وكان رأس الغلام مدلى الى الارض والدماء ما تزال تنزف من فمه الفاغر ٠ وكان هناك جزء ظاهر من ساقه وبين جواربه وبين بنطلونه القصير ٠ كان كل شىء كحلم وكانت السحلية ترقد ساكنة على الحجر وبطنها الى أعلى والأنشوطة حول رقبتها ٠ وقال تشنشى لنفسه ان عليه أن يستيقظ ويمضى بعيدا ٠ وعلى الفور قفز على الجدار وجمع كتبه وسار يتبعه كلبه كالمعتاد ٠

وفى الطريق الى أسفل التل ٠ ازدادت ثقة تشنشى بعد أن اتسعت المسافة بينه وبين المكان الذى كان فيه ، ومن ثم لم يعد يسرع الخطى ٠ ووصل الى الميدان الخالى ٠ وكان القمر يسقط أشعته هنا أيضا ٠ ولكنه كان قمرا آخر لا يأبه به٠ وكان يلقى ضوءه على الواجهة البيضاء للمستشفى ٠

والآن يعود على نفس الطريق الى المنزل الذى لابد وان أمه لم تصل اليه بعد كالمعتاد ٠ ولا داعى لأن يقول شيئا عن جولته ، سوف يقول انه انتظر هنا وأصبح هذا التفسير — الذى سيكون حقيقة بالنسبة لأمه — حقيقة بالنسبة له أيضا ٠ ووقف يرتكن بكتفيه الى الجدار بجوار الباب كما كان من قبل ٠

ويكفى أنه يوجد هنا فى هذا المكان ينتظر ٠٠٠

السباق

بقلم : محمد وفيق حسن

نحن فى شارع ، والشارع واسع، مرصوف بالقطران ، والقطران لونه أسود ٠٠٠ ولكن فى وسطه شريطين يلمعان لونهما فضى • الشريطان ممتدان ومتوازيان ، انهما قضيبا ترام ، وعليهما يسير الترام ، ولكن هذا الترام محصور بين هذين القضيبين ومقيد من أعلى بسلك رفيع يمده بالكهرباء •

الترام يسير ، السائق يدير مفتاح القيادة فيطوى وراءه ما قطعه من مسافات وفجأة تخرج عربة ، من شارع جانبى، يجرها حصان • العربة مسرعة والترام أسرع منها ، فيتقابلان وتكاد العربة أن تصدم بالترام ويحدث الضرر ، فيمسك السائق مفتاح القيادة بسرعة خاطفة ، فيقف الترام ويهتز الناس داخل الترام فى جميع الاتجاهات • الناس فى هرج ومرج ٠٠٠ فزع ٠٠ خوف ، أسئلة ، أعصاب كلها ثائرة فى داخل الترام عما حدث • ويطمئن الرجال السيدات بأن الحادثة سليمة والحمد لله ، ولكن الحصان ما زال يجول ويصول فرحا بقوته وصولته كأنه يطامن من كبرياء الترام وسائق الترام •

ولكن السائق كان قد انفعل وخرج عن شعوره فان هذا الحصان ـ فى رأيه ـ كان من الممكن أن يخرب بيته ويودى بحياة الناس الآخرين • فنزل دون أن يعى محاولا فى عصبية أن يضرب الحوذى ، ولكن الحوذى كما هو لا يتحرك ٠٠٠ والسائق منفعل • الحوذى فى حجم السائق مرتين ! اذن لن يجدى الشجار معه !؟ ٠٠٠ هذا ما يعرفه السائق جيدا • فقد ثار مرة قبل ذلك على عربجى وكان هذا الآخر بليد الشعور ، فأمسك به وضربه فى رأسه محاولا بطحه فانبطح هو ، والعربجى كان ما يزال يضحك • تذكر هذا جيدا ٠٠٠ فرجعت الكياسة الى عقله مرة أخرى ورجع الى الوراء قليلا ، كمن يحتمى بالناس ، وأخذ يسب الحوذى بكلمات جارحة والناس تؤيده فالحوذى « محقوق » ، ولكن الحوذى لا يرد ، بل يبتسم وينظر الى الرجل من فوق لتحت فهو فى حجمه مرتين •

وازداد السائق فى تقريعه للحوذى فرد عليه الآخر ساخرا :

ـ من أنت وترامك ؟ ٠٠٠ هذا عنتر ـ وعنتر هو اسم الحصان ـ عنتر المغوار ٠٠٠ أبو الفوارس ٠٠٠ هل تستطيع أنت وترامك أن تسبقه ؟

فاحتقن وجه السائق مرة أخرى بهذا التحدى العلنى ، بعد أن كان لسانه الزلف قد ساعده فى كسب الجولة ضد الحوذى وفى اثبات رجولته وقدرته • ولكنه حاول أن يسخر منه مرة أخرى قائلا :

ـ يا أخى تسابق مع جدى أو ماعز أحسن لك •

فضحك ركاب الترام جميعا وأشاروا الى الحوذى بأن يتوكل على الله وأشتد فرح السائق ، فقد أثبت أن دمهخفيف أيضا •

ولكن الحوذى لم يتوكل على الله ••• ولم يمسك بالسائق ليفترسه مع أنهذا كان فى استطاعته بكل سهولة ، ولكنه نظر الى الناس ثم الى السائق •• ووضع يده فى سترته وأخرج منها ورقةبعشرة جنيهات ـ وفى السر كانت هى كل ما يملك ـ ••• ثم أشار بها نحو السائق والناس قائلا :

ـ انت كلامك لا يعجبنى وشكلك أيضا : هذه عشرة جنيهات لك مقابل لا شىء ان استطعت بترامك أن تسبق عنتر ، وأظن يا حضرة السائق أن كلامى واضح ••• فهل عندك الاستعداد لأن تكسب عشرة جنيهات مقابل لا شىء ؟

••• وأحمر وجه السائق وأحس بالفشل بعد النصر ، وما زال الحوذى بوجهه الصارم وتقاطيعه الصارمة يلوح للراجل بالعشرة جنيهات بسخرية ناظرا اليه كمن يقول : هل تستطيع ؟

وفكر السائق فى هذا العرض وهذا التحدى ••• ولكن الرهان من جانب واحد ••• انه سيكسب عشرة جنيهات أو لا يخسر شيئا •

وهمس رجل خبيث من ركاب الدرجة الأولى فى أذن السائق :

ـ راهنه ••• هل من المعقول أن يسبق الحصان تراما • يبدو أن هذه الجنيهات تحيره • أرحنا منها ومنه والنبى •

الحوذى ما زال يمسك العشرة جنيهات وينوح بها للسائق والى الناس ثم يشد اللجام فيزأر عنتر ، كمن يقول :

ـ هل يتجرأ أحد على أن يسبقنى ؟

أنا عنتر ••• عنتر المغوار •

ولكن الورقة ـ أقصد العشرة جنيهات ـ ما زالت تهتز أمام عين السائق فتزغللها فيقول على الفور :

ـ قبلت السباق أيها المغرور ••• انك ستخسر نقودك !

ولكن السائق كان قد أعجب بهذا العرض لأول وهلة ، لولا أنه كان خجلا لأن حتمية الموقف كان تضطره أن يظهر هو الآخر ورقة مثلها حتى يكون الميزان متكافئا • الا أنه استعبط وتظاهر أنه يريد أن يعطى بهذا السباق للحوذى درسا فى الأدب • فلكل شىء حدود ••• ولكن العشرة جنيهات ما زالت تتلألأ فى عينيه •

هكذا بدأ السباق ، سباق حافل •• صمم فيه كلاهما على النصر •

وقف السائق على أهبة الاستعداد منتظرا ساعة الصفر • وكان فى عينى الحوذى شىء غير عادى ••• بريق غريب فيه عزم وفيه ثقة ، ثقة فى نفسه وفى عنتر • فعنتر حتى يومنا هذا لا يدانيه أحد من الخيل فى صولته ولا فى قوته ••• ومع أنه كتب عليه الآن أن يجر العربات ويحمل الاثقال ••• ولكنه كان فى يوم ما ، ذا شهرة لا حد لها • انه عنتر نفسه بلحمه ودمه لم يتغير وان تغير الزمن ، انه عنتر نفسه الذى هز العروش فى ميادين سباق الخيل فى يوم ما ، اذن ••• له أن يقول هو وصاحبه :

ـ ويحك أيها الترام الحديدى ! ويحك أيها السائق !

وكان الترام عربتين ويحمل ثلاث فئات من الناس • ركاب الدرجة الأولى ثم الثانية وحجرة السيدات • أما ركاب الدرجة الاولى فقد كانوا من اللحظةالأولى

مقتنعين بفوز الترام ، متمنين أن يكسب السائق الرهان ويخسر الحوذى كل شيء ، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة تشجيع السائق . وركاب الدرجة الثانية وهم جمهرة الركاب فقد أيدوا عاطفيا الحوذى وهو فى رأيهم :

– رجل شهم وجدع وقلما يوجد مثله .

ولذلك أخذوا فى تهليلهم له وتشجيعهم اياه . وبالأخص بعد ما عرفوا أن هذا الحصان هو عنتر الذى هز بنفسه عروش سباق الخيل وإن تغير الزمن . أما الفئة الثالثة وهى حجرة السيدات ... فلم يفعلن شيئا ... بل وضعن أيديهن على قلوبهن ، متعجبات من الرجال وخفة عقولهم ، متمنيات لو استطعن أن يصلن بالسلامة !

ولكن أى سلامة فى موكب مثل هذا ؟!

وفى هذا الوضع الجديد وقد ظهر لكل من الحوذى والسائق مشجعون أصبح الموضوع أكثر من تحدى وأصبحت الحكاية مسألة كرامة ... كرامة تستحق الجلد والصبر والنجاح .

جاءت ساعة الصفر ... وقد كتم كلاهما أنفاسه . السائق يدير المفتاح الثالث ... والترام ينطلق . الحوزى يشد اللجام والحصان يعدو والموقف يتذبذب والركاب أنفاسهم محبوسة وحواسهم يقظة ، ولكنهم جميعا فى أعينهم التصميم وفى باطن عقولهم النصر .

النصر هو الصوت ، هو صوت صهيل الفرس وجلجلة عجلات الترام ، النصر هو الأمل . المحطة الأولى تشهد توازن القوى ، فلم يستطع الحصان ولا الترام أن يحققا أى تقدم ... الواحد على الآخر . ولكن فى بداية المحطة الثانية استطاع الحصان أن يحقق فوزا طفيفا على الترام ، فهاج ركاب الدرجة الثانية وماجوا وشجعوا صاحبهم الحوذى وصفقوا له ... وكان عنتر قد فهم مغزى الهتاف فانطلق يعدو . واغتاظ السائق واحتقن وجهه وبغليل الحقد انطلق هو الآخر كمن يريد أن يسبق الزمن ولكن الحوذى ما زال يبتسم وينظر بعيدا .. بعيدا نحو الهدف . وفى الحال أشعل ركاب الدرجة الثانية سجائرهم وقد ارتاحت أنفاسهم ، واشعل ركاب الدرجة الأولى سجائرهم محاولين أن يهدئوا من أعصابهم

وجاءت المحطة التالية وما زال الحصان يسرع ... وكان تقدمه ما زال طفيفا والموقف كما هو ... ومع بداية المحطة الثالثة استطاع أن يلحق الترام بالحصان ، سرعان ما بدا الغضب على ركاب الدرجة الثانية وترقب ركاب الدرجة الأولى الموقف بحذر ... وابتسامة تهفو على شفاههم تحاول أن تجد لها طريقا وما زالت السيدات واضعات أيديهن على قلوبهن ... آه يا لخفة عقول الرجال !

ومع نهاية المحطة الثالثة كان السائق قد استطاع أن يحقق تقدما طفيفا جدا ... لم يتبينه الا ركاب الدرجة الأولى .

وجاءت المحطة التالية لتشهد تقدم الترام على أبو العناتير ، فصاح ركاب الدرجة الثانية مستنكرين واطمأن ركاب الدرجة الأولى وأخذوا يبتسمون ابتسامات متفرقة هنا وهناك . وكان كل منهم يهنىء صاحبه ... ثم قال أحدهم : –

– أنا فى عجب من أمر هذا الحوذى ... كيف يسبق الترام ؟

هل سنرجع للوراء ثانية ؟! تصوروا أنه راهن على عشرة جنيهات ؟

وأخذ ركاب الدرجة الأولى ينظرون الى جمهرة الركاب باشمئزاز وقد لاحظ الآخرون ذلك ، فاغتاظوا وأخذوا يقرعون ويسبون صاحبهم الحوذى مكررين عبارات مختلفة ... لا بد وأن تفوز ... انظر الى ركاب الدرجة الأولى ... يجب الا أن يشمتوا بنا ... يجب أن تفوز

عنه ··· أسرع ··· أجرى والله معك ··· لن يسبقك هذا الترام ، لا لن يسبقك ·

وأحس الحوذى بالخطر الذى ألم به والمسئولية التى القيت عليه ، فانفعل وجالت بخاطره أفكار شتى : ــ كيف يمكن أن يحدث هـــذا ؟ كيف ؟ وأخذ يخاطب عنتر ولكن الترام ما زال يسبق، الترام يجـــرى وركاب الدرجـة الاولى يبتسمون ، نعم يبتسمون ··· وها هو الترام يسبقك بنصف محطة يا عنتر · ويكفهر وجه الحوذى فى هذه الانفعالات المتوالية وتنتابه أحاسيس شتى ··· فلا يحس بشىء ··· الجمهور يناديه والترام يتقدم والسوط بيديه · فامسك السوط ولدغ به الحصان لدغات هستيرية محمومة مجنونة · وأخذ يلدغ الحصان ويلدغه والجمهور يراقب ــ الجمهـــور يخاف الفشل ــ ، الجمهور فاغر فاه ··· ولكن ركاب الدرجة الاولى ما زالوا يبتسمون ··· يضـــحكون ، يشيرون على ركاب الدرجة الثانية فى سخرية ، وحجرة السيدات ما زالت كمـــا هى ··· والله معكن أيتها الســـيدات ··· فما زالت أيديهن على قلوبهن ·

المحطات تتوالى والترام يسبق الحصان بمحطة باكملها ··· الجمهور يثور ، يغضـــب ، يسب ، يلعن ··· ولكن ما الفائدة ؟ ··· ، فالترام ما زال يسبق وركاب الدرجـــة الأولى يبتســـمون ، يضحكون ، يشعلون سجائرهم · وينظر الحوذى الى نفسه والسوط ما زال بيده وينظر الى الحصـــان ويحاول أن يلدغه ··· ولكنه يرى ··· يرى عنتر يدمع فيخاطبه :

ــ لقد ضربتك ··· لك الحق عنتر !

ثم ينظر الى عينى عنتر وعنتر ما زال يدمع ، ويدمع هـــو الآخر مع عنتر · والترام يسرع ، والجمهور يثور ، يضطرب يضج ، الجمهور يريد النصر ، الجمهـور يتمنى النصر ، ولكن الترام يسرع ··· يسرع مع أنه يسير على قضيبين)

وأنت يا عنتر أتتأخر ؟

ويرمى الحوذى السوط من يده وينظر الى عنتر ، وعنتر ما زال يدمع ، يسرع · ويأخذ الحوذى فى ارضاء عنتر فهـــو يلاطفه ويذكره بماضيه وبطولته ·

أنت عنتر ··· عنتر صاحب البطولات والكرامـــات ··· لا بد وأن تفوز ! ··· أيقهرك ذلك الحديد ؟ الترام حديد يا عنتر · وعنتر ينظر الى صـــاحبه وما زالت عيناه تدمع ويستمر صـاحبه فى مخاطبته ومصالحته :

ــ تعـرف يا عنتر لو فزت !؟ ··· سيكون هذا يومك · ســـتصبح أنت البطل · سأزوجك عبلة ، ــ وعبلة هذه لم تكن الا فرسة الحاج شلبية جارهم فى الســـكن وزميلهم فى الحرفة ــ اليوم يا عنتر سيكون ليلة عرسك ، عرسك يا عنتر ، ساحضر لك أقماع السكر مثل زمان يا عنتر · ستصبح أبو العناتير · تعرف يا عنتر ··· ستأتى اليوم جميع الخيول لترقص فى عرسك على أنغـــام الطبل البلدى وسترقص معها أنت الآخر يا عنتر الحوذى يحابى عنتر وعنتر يفهم كلام صاحبه ولكن الترام يهرع ، يسرع فى سرعة منتظمة وبدون احساس ·

وفى وسط زئير الجمهور وصـــيحاته وهذا الاحساس الجديد الذى ملأ نفس عنتر وقلبه ، أخذ عنتر يعدو ، يجـرى وصيحات الجمهـــور تتعالى ، تتعالى ، تتوالى ، الجمهور يهتف ، وركاب الدرجة الأولى ثائرون ··· أصـــواتهم تعلو ،

يضجون . الكل متيقظ ، منتبه ، الناس كلها تتكلم ، أصوات تأتي من بعيد ومن قريب ، أصوات خفيضة وأصوات عالية ورنين أصوات يختلط مع صوت صهيل الجواد وصـــوت عجلات الترام وما في الشارع من ضوضاء . أصوات مختلطة من الدرجة الأولى والثانية ومن حجرة السيدات ... يسمع منها في بعض الأحيان :

ـ آه لو انقطع التيار الكهربائي .

ـ سينتهي السباق .

ـ لا لن ينتهي !

ـ ربنا يوصلنا بالسلامة :

ـ كيف يسبق حصان تراما ؟

ـ سيسبق .

ـ لا لن يسبق .

ـ أنني أستطيع أن أشد السنجة .

ـ كيف ؟ لا ! سـينتهي كل شيء بهذه الطريقة الهمجية .

ـ لم تفعل كل هذا ؟ ... سيفوز الحصان حتما .

ـ أنا لا أسمح لسباق بأن يكون بمثل هذه الفوضى .

ـ انني متأكد من كل شيء ... أمعك عود ثقاب ؟

ـ ماذا ستفعل به بحق الشيطان ؟ أجننت أنت الآخر ؟

ـ سأشعل سيجارة ... ماذا جرى يا أخي ؟!

ـ ماذا جرى لكم .

ـ آه لخفة عقول الرجال !

الحصان ما زال يعدو ، يعدو مثــل الريح ، والصـيحات تعلو ، تعلو من هنــا وهنــاك ، وعنتر ينهب الأرض . والمسافة بينه وبين الترام تقصر ، تقترب وعنتر يتقدم ، يجري ، لا يبالي وصاحبه لا يبالي ... ولكن السائق وجهه محتقن وجمهرة يشعلون سجائرهم ، فالسباق أصبح لهم ، لهم وحدهم ، ولكن السيدات مازلن واضعات أيديهن على قلوبهن .

ويدفع الغضب والحقد الســائق مرة أخرى ... فيندفع ويندفع ولكن الترام سرعته لها مدى . الترام مقيد من أسفل ومن أعلى . الترام يسير على قضيبين . انها فرصتك يا عنتر ... انك غير مقيد انك احســـاس ، شعور ، نبض ... وسرعتك ليس لها مدى . أنت حر . أنت حي ، كائن حي ، ولكن عنتر مازال متساويا مع الترام . خط النهــــاية يقترب وما زال الاثنان متســـاويين ، ويخاف ركاب الدرجة الثانية من الفشل ويزداد نبض ركاب الدرجة الأولى ولكن صيحات الجمهور تتعالى ، أصداؤهــا تتعالى ورنينها يتوالى ، يتوالى في اذني الحصان وصاحبه ، والحصان كائن حي، شعور ، فيندفع الحصان في هســتيرية اندفاعة لا حد لها ... يحقق بها الفوز ويستحق اللقب ... ولكن الســيدات مازلن واضعات أيديهن على قلوبهن .

وفي غمرة هـــذا الانتصار خر عنتر مغشيا عليه ، فساد المكان صمت طويل والتف حوله ركاب الترام جميعا وقد شلوا عن الحركة ، ووجوههم العابسة المكفهرة الواجمة لا تعبر عن أدنى شيء وأفواههم فاغرة . ولكن الحوذي سرعان ما يقترب من صاحبه ويجلس بجواره يداعبه ويلاطفه ويكرر له الوعود . وفي وسط هـــذا الوجوم يفتح عنتر عينيه فتحة ليست بالقوية وليست بالضعيفة ... فتخرج بعض الأفواه زفيرا قويا وتشهق بعض الأفواه شــهيقا قويا ، وترتسم على الوجوه العابسة تعبيرات تختلف في احساساتها ... وما زال البطل يفتح عينيه ويغمضهما محــاولا استرداد أنفاسه وبأســـه مرة أخرى والحوذي صاحبه يرنم في سره :

ـ حقا ... انه شعور ، احساس ، نبض ، حي ، كائن حي ! حي ! حي ! .

الذين يحبهم الله

للكاتبة الانجليزية هيلدا هيوز

ترجمة : صلاح عبد اللطيف

سار دافيد وليمز متجها الى البيت الريفى فى تكاسل ووهن • كانت الشمس ترسل أشعتها فوق المراعى ، والتلال تبدو فى الخلف قاتمة وكئيبة ، وكانت السماء فى صباح ذلك اليوم يميل لونها الى الاحمرار •

أما وليمز فهو رجل طويل ، ذو وجه جميل ومهذب ولكن آثار الزمن كانت بادية عليه • مضى يسير فى خطوات طويلة وسط الأراضى الزراعية كما لو أن مشاغله دفعته الى أن يعبر فراغا مكشوفا ، ولكن الملاحظ أن ثمة شيئا يبدو فى مشيته أكثر من كونه فلاحا ، انه لا يعبأ كثيرا بالحياة فلبس مجرد أن يعانى التعب فى الحقل يكون قد عمل شيئا حسنا •

تطلع الى التلال التى تقف سدا منيعا بينما كانت يده تتلمس سقاطة باب الحديقة لتفتحه ، ثم دخل المنزل الريفى وهو الطابع الشائع لمنازل ويلز وفى المطبخ كانت هناك غلايات نحاسية أضفت عليه رونقا ،وكانت النار تئز فى المدفأة رغم حرارة الصيف ، وفى معظم الحالات كانت غلاية الشاى توضع فوق مدفئة الطعام أو أمام النار • وبجوار المطبخ تمدد « نان » وهو كلب اسكلندى اسود اللون ذو وجه دقيق وعينين مليئتين بالثقة ، لقد تدرب على حراسة الأغنام تدريبا ممتازا •• أما « بوب » الكلب الآخر فهو عامل ماهر وان كان أقل جمالا ، وعندما لاح الكلبان أمام الباب لم يبد سيدهما أو سيدتهما ترحيبا بهما للدخول •

وضعت الفتاة ذات الوجه الأحمر اللمسات الأخيرة على المائدة وهى الفتاة التى تقوم بخدمة المنزل ••وفى مواجهة دافيد جلست زوجته بلودوين •• كانت تبدو عليها علامات الصحة والجمال ، وكانت أكبر من زوجها بست سنوات ، ولكن وجهها كان يعبر عن الشعور بالسخط •

قطعت شريحة اللحم وأعطت دافيد نصيبه منها وتحدثت قليلا ، أما هو فادار محاولة جريئة للمناقشة وهو يحكى لها عن السيدة جونز التى رزقت بمولود جديد والسيدة وليمز التى رحل ابنها الى جنوب ويلز وفيكار الذى رحل هو الآخر ليقوم باعداد كونشرتو موسيقى بمساعدة المدرسة ••

وعندما جاء ذكر الموسيقى ازداد وجهها تجهما ••

فقد حصلت ديردر الفتاةالتى يحبها

دافيد على الجائزة فى ايسمد دورد هذا العام ٠٠ وديردر هذه فتاة جميلة تعمل فى مزرعة مجاورة مع طفليهـــا وتحلب الأبقار رغم أنها تبدو أرق من أن تحمل آنيـــة اللبن ٠٠ ولقد عاش دافيـــد مع بلودوين فترة طويلة الى حد انه يستطيع أن يقرأ أفـــكارها ويدرك أى نوع من الأفـــكار يراودها حتى ولو كانت صامتة ٠

ــ هل رأيتها اليوم ؟

قبل أن تتفوه بهذه العبارة ٠٠ تغير لون وجهها ٠٠

ســـال وهو يتظاهر بعـــدم فهم ماتعنيه :

ــ من ؟ ٠٠

ــ لعلك تعرف أحسن منى يا دافيد ٠٠ ويردد بالطبع ٠

وعند ذلك امتقع وجهـــه ثم قال فى قلق بالغ :

ــ كلا ٠٠ واعتقد أنك لا تريدين لى ذلك ٠٠ ثم كيـــف يمكن لى أن أراها مصادفة فى التلال ٠٠ الله وحده يعلم ٠

لكن بلودوين لم تكن راضية ٠٠ انها تحب زوجهـــا ذلك الرجل الذى حامت عيناه على أخرى أصغر منها ٠ على كل ما فى داخلها بالحقد ، انهـــا تريد أن تعرف هل ديردر تفكر فيه أيضا ٠٠ ثم من هى ديردر هذه ؟ ٠٠ لقد سمعت أنها رفضته قبل أن تتزوج منه وهى الآن تعيش مع طفلين فى المزرعة التى تعمل فيها ٠٠ هذه الفتاة بشكلها الجميل ووجهها الرقيـــق واســـمها الذى يثير الخيال ربما تغير تفكيرها منذ أن تزوج دافيد منذ خمس سنوت ٠

ان بولدوين لا تستطيع أن تواجـــه الحقائق كما هى ٠٠ ان زوجهـــا طبيب للغاية معها وهو يفعـــل ذلك رغم كل ما يتوقعه منها ٠

ولكن الحمى فى دمها لا تهدأ ٠٠

قالت :

ــ ليس غريبا أن أتحدث عنها بعد كل ماعرفته ٠

قال دافيد فى حدة :

ــ انت تعـــلمين أنى لم أكن كاذبا معك أبدا ٠٠ لقد تحدثت عن هذه الفتاة الى حـــد أنى لم أعد أحتمل أكثر من ذلـــك ٠٠ وأنت لو أصررت على ذلك فستصابين بالجنون ، كما أننا قررنا ألا نتحدث عن ذلك مرة أخرى ٠٠

وعند ذلك خيم عليها الصمـــت ، لكنها بقيت غير مستريحة ، وأعطته قطعا من البطـــاطس وانطلق فكرهـــا طوال الوقت يهيم فى شتى الظنون ٠٠

انتهى من طعام غذائه ، ثم جلس الى المدفئة ثم ارتدى ملابســـه فقد كان ذاهبا الى السوق ، ومن عادته أن يذهب اليها مبكرا ، وفى هذا اليـــوم أراد أن يقابل واحدا أو اثنين من الفلاحين قبل أن يعودوا الى ديارهم ليناقـــش معهم بعض الامور قبل أن يخرجوا بدوابهم وعرباتهم ،ولسوء الحظ فانه تأخر اليوم عن الذهاب الى المدينة كعـــادته ، ولكن على أية حال لم يتأخر كثيرا ،

ــ دعينى أقبلك قبل أن أذهب ٠٠ بلودوين ٠

قال ذلك وقد تحول فجأة غضبه الى رقة ٠

وغم أن قبلته كانت رقيقة على خدها فان بلودوين لعنت القـــدر لأنهـــا لم تســـتطع أن تســـيطر على عقله وقلبه واحســـاساته الدفينة ، لقـــد كانت مستطيعة أن تنغص عليه الحيـــاة ، وتأخذ عليه العهود لتشهد طاعته لها فى كل لحظة ، ولكن قلبه وعقله بكل احلامها كانت بعيدة المنال عنها ٠

في هذا اليوم لم تستطع بلودوين أن تحظى بالراحة في منزلها ، ودفعها القلق أن تخرج ، فما أن غرقت افكارها في ديردر حتى وجدت نفسها تذهب الى مزرعة السيدة توماس حيث تعمل الفتاة كما لو أرادت أن ترى أنها لازالت باقية ..

كان الهواء شديد البرودة ، وفي السماء غيوم ولكن الشمس لازالت مشرقة والسحب تنقشع سريعا وتلقى الظلال فوق التلال المترامية الأطراف . ان الطبيعة في المناطق الجبلية يتغير مزاجها في لحظة . وحملقت بلودوين في الجبال الداكنة الممتدة امامها وأدركت أن السماء ستمطر قبل أن يحل الليل ، وأسرعت تمشي بجوار الجداول الجبلية ، وفي طريقها كانت تقفز أغنام ويلز بوجوهها المدببة الصغيرة وشكلها الجميل وأذيالها الطويلة ، وكلما سارت ظهر بجانبها بعض الشجيرات الضخمة ، والطريق أمامها يتخذ لونا بنفسجيا وأرجوانيا بتأثير النباتات حيث كان نبات السرخس ينتشر حول الطريق ، وفوقها كان يطير واحد أو اثنان من طيور النورس ..

لقد كان المكان مقفرا ويبعث على الرعب ..

وبدأ المطر يتساقط ...

ونظرت السيدة ويليمز الى البحيرة التى تقع بين الجبال ، كانت قاتمة واشبه بشيء كئيب وقبل ذلك كانت أشعة الشمس تتراقص على السطح الأزرق المتلألىء للبحيرة ، أما الآن فان كل شيء داكن وشديد البرودة ولا يكاد يحتمل . وندت في الجو صرخة من طائر برى فارتعدت بلودوين ، ثم رفعت ياقة معطفها وعادت تحث الخطى ..

وصلت الى المزرعة ، ثم فتحت بابا حديديا يشبه الى حد كبير باب الأفران ، ان ويلز الشمالية تمتلىء كثيرا بمثل هذه الأشياء - ثم عبرت طريقها متجهة الى الحقول ..

وأمام المنزل كان كثير من الحصى الأبيض ، انه تقليد يتبعه بعض المزارعين والفلاحين ليزينوا به المكان مع مراعاة أن يكون الحصى أبيض اللون ..

استقبلها عواء كلب عندما اتجهت ناحية الباب .. وتطلعت امرأة كانت تعمل في المطبخ لترى من القادم ، لكن السيدة توماس فتحت الباب الأمامي بنفسها فصدر منه صوت كما لو كان الباب لايفتح كثيرا ، والحقيقة أن الباب الجانبي كان يستخدم كثيرا ، وكانت الحجرة التى استضيفت فيها بلودوين تضم صورا رياضية علقت على جدرانها ، وقفص طيور ، وآية موضوعة فوق البيانو مكتوب عليها « الله محبة » .

قالت بلودوين للسيدة توماس .

- كنت أخشى أن تكوني ذهبت الى السوق ، ولكن على أية حال أردت أن ألقى نظرة لأطمئن عليكم.. ألم يبارحك مرض النقرس بعد .

قالت السيدة توماس :

ان قدمي تؤلمني قليلا ، وتقوم ديردر باعمالي ، انها فتاة طيبة جدا ، وأستطيع أن أعتمد عليها .

حدست السيدة ويليمز ، انه هذا بالتأكيد ما جاءت من أجله .

- ان ابنك يتمشى معها في الخارج .. أليس كذلك ؟

سألت بلودوين وهي تعرف أن هذا ليس هو الموضوع ، ولكنها لم تستطع أن تبعد الفتاة عن ذهنها .

قالت مدام توماس .

– أتمنى ذلك ، فان كـلا الطفلين يحبانها جدا ، لقد ذهبت الى السوق مع ويليمز اليوم ، انهـا تعتبر الى حد كبير واحدة من العائلة ... هل رأيت الجوائز التذكارية ، لقد كان الحظ حليفها فى استيد فورد هذا الموسم ..

وقامت السيدة توماس تعرض لها الجوائز فى زهو ..

– انها فتاة محظوظة جدا دائما .. ان الله يحبها ..

قالت بلودوين ذلك وهى تضع التذكارات قبل أن تتأملها فهذا الحديث قد يأتى على عقلها ..

وتحدثنا عن أسعار السـوق .. والآلات الموسيقية الجديدة .. وتحدثنا كثيرا عن مدام فيـكار .. وبين الحين والحين كانت بلودوين تنظر الى ساعتها وهى ترجىء رحيلها ...

وبدا الوقت متأخرا ولم تأت ديردر ولم تستطع السيدة توماس أن تدرك سر تأخرهما ..

واخيرا بدأ القلق ينتاب بلودوين ، وقررت أن تعود الى منزلها عن طريق التلال ، لأنه طريق أكثر جفافا ، ولكنها تأخرت ، والمكان يبدو مهلكا لمن يجهله

كان المد قد طغى ناحية التلال وغمرت المياه السفح . وكان الضـوء يومض ويخبو ناحية البحر ، أما الشـجيرات الضخمة فكانت تشبه أشكالا آدمية . ووصل اليها هدير البحر ورائحة الملح تملأ فمها وأنفها ، وطائر النورس فوقها يقطع الظلام بصرخاته ، وقد أثار منظر الأغنام وهى تسير بجوار احدى الصخور الضخمة الرعب فى نفسـها ، ودوى من بعيد صوت الرعد ..

طوال الطريق كانت الظنون تقربها ، كان يخيل لها أنها ترى وجها شاحبا وجميلا وعينين تضحكان وشبح صغير جميل .. لو أنها فقط استطاعت أن تملك قلب زوجها ! !

وأحست ببـرودة الريح . وأمطرت السماء وعند ذلك تعثرت ثم نهضت تواصل المسير . لقد كانت ليلة فظيعة وأفكارها أيضا كانت فظيعة ، لقد كرهت هذه الفتاة التى يوليها الله عطفه ، وطالما بقيت على قيد الحيـاة فلن يمكنها أن تتأكد أن زوجها سيتخلص من أحلامه . كيف يمكنها أن تتخلص من هذه الفتاة الى الأبد .. هذه الشريكة فى الجسد

وتزايدت كراهيتها التى يغذيها خيالها المتعب ..

هل يمكن أن تعيش وترى هـذه الفتاة بعد عمر طويل . ولم تستطع أن تتصور ذلك الواقع ، وفضلت أن تقطع شرايينهـا ، وتسحق الزهـرة تحت قدميها .. واختنقت الضحكات فى فمها ، لو أنهـا فقط تستطيع أن تكتم أنفاسها ..

وصاحت وكأنها تصلى من قلبها .

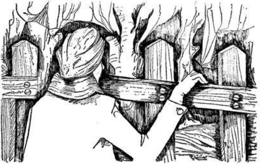
– اللهم استمع الى .. اننى أتوسل اليك .. دعها تموت .. دعها تموت .

لقد أرادت الموت لديردر . انه شىء طبيعى أن تدعـو الى الله بذلك بسبب نزعتهـا الدينيـة والنزعة التقليدية أيضا .

وعادت تصرخ :

– يارب .. يارب .. اقتلهـا .. اقتلها .. دعها تموت .

ودوت الكلمات مرتفعة مع الرياح ، وأحست أن جسدها يتصلب من شـدة السخط .



وقالت وهى تحدث نفسها :

ـ لو انها هنا الان لدفعتها من فوق التل ، وادع جسدها الجميل يسقط فى البحر واسمع صرخاتها وارى وجهها الابيض بعد ان تصبح جثه هامدة ٠

سيكون الأمر عندئذ مجـرد حادث ويمكننى ان اهرب من القـانون ، بعد تعثرت بجسـمها عندما كان الطريق ضيقا ٠٠٠

وتساءلت :

ـ هل يرتكب الناس العاديون مثل هذه الجريمة ٠ ولكنها لم تحفل ٠

وعند ذلك بدا كما لو ان عويلا تنقله الرياح٠٠ أعقبته صرخة مدوية وأحست أن شيئا لامسها وهى تسير رغم أنهـا كانت فى وعيها ولم تكن تحلم وبدا لها أن هذا الشيء يمسك بصدرها الى حد أن قلبهـا كاد أن يتوقف وارتعـدت فرائصها ولم تستطع أن تواصل المسير، وتلاحقت أنفاسها وغمرت الدموع عينيها وسمعت من على بعد دقات الساعة تعلن التاسعة ورغم أنهـا كانت قريبـة من الكنيسة ومنطقة العمران الا أن ذلك لم يجلب الراحة اليها ، لقد كانت تحاصرها أرواح شريرة ، وخيل لها أن أشباحا تسير فى الظلام وأن شيئا يلمس وجهها٠ وسمعت أصواتا تنـذر بالسوء ٠ هل يمكن أن يكون كل ذلك بسبب الرياح ٠ وخيل لها أنها رأت وجـه زوجهـا فى الظلام شاحبا وهو يصدها ٠

وعـادت تسـير وهى تنتحب ، وتصاعدت من شفاهـا دعوات ولعنات فى تمتمات غريبـة ٠ انهـا ستصاب بالجنون ٠ حتى الأغنام ذات الرؤوس البيضاء جعلت العرق يسيل منجبينها ، وأحست أنها ستسقط فى أية لحظة وتمنت لو أن تموت وتستريح ٠

وتحولت وهى تسير فى حذاء البحر ثم عبرت السـلاسل الصخرية ووجدت نفسها تخوض فى مستنقعات جبلية ، وتحولت مرة أخرى وسارت فى حذر وسط الأبقـار وتعثرت فى شجـرة ضـخمة ، ثم جثت الخطر من جديد ، وعندمـا اقتربت من المنـزل بـدأت انفعالاتها تهدأ ، وسادتها السكينة بعد موجة من الحمى ، لقد كان جسـدها ومشـاعرها الداخلية مرهقة للغـاية ومضت تجرجر أعضـاءها فى ارهاق ، كان شـعرها مبتـلا وحذاؤهـا مبتلا

فاحست أن ألما أصابها فى مؤخرة قدمها ، وعندما التصقت ملابسها بجسدها اقشعر بدنها بسبب الصقيع والارهاق .

فتحت باب الحديقة وعبرت الممر .. ثم فتحت الباب الأمامى . كان شخص ما يتحرك داخل الحجرة ، ولمحت وجه السيد وليم توماس وهو يبدو شاحبا فى ضوء المصباح .. وتطلعت اليها الخادم ثم مضت ..

ـ سيدة وليمز .. السيد توماس فى انتظارك انه يريد أن يقول لك شيئا ياعزيزتى .

ولاحظت بلودوين لهجة التردد ، وتحولت تتأمل وجه وليم توماس . كانت شفاهه شديدة الزرقة .

ـ لدى أنباء سيئة يا مدام وليمز .. يالها من دنيا ... ويردد المسكينة ..

قالت بلودوين بصوت هادىء وهى تحس بالبرد يلسع بدنها .

ـ استمر ..

ـ ماتت .. تهشمت كالزهرة وهى فى طريقها . لقد كان ذلك نحو الساعة التاسعة وعند ذلك اختلطت كلماته بالدموع .

« ونحو الساعة التاسعة » .. رنت الكلمة فى ذهنها ، وتذكرت عندما سمعت دقات الساعة ، انها كانت اذن تعد خطة للقتل وهى تصلى الى الله قبل ذلك بقليل انها قاتلة .. قاتلة ..

وتصورت نفسها وهى فى حبل المشنقة .

وحاولت أن تصرخ وهى تلاحق انفاسها . وتجمد لسانها فى فمها .. وارتعدت فرائصها . واستطاعت أن تتكلم وهى تقول :

ـ يا للفتاة المسكينة !

انها لم تسفك دما .. وأدركت أن قوة الهية تدخلت فى الأمر .

قال وليم توماس متكسرا : « تماما مثل الزهرة » .

ماتت ديردر .. هى التى قتلتها .. لابد أن روحها هى التى كانت تسمعها هناك عند التل .

لقد قتلت أحلام دافيد .. وما سامتلكه لنفسى الآن .. لا شىء يحول بينى وبينه . ثم قالت بصوت عال .

ـ لا تحزن نفسك كثيرا ياوليم .. انى أعرف أنه شىء يبعث على الألم وتنفست الصعداء .. « لقد استجاب الله لدعائى » . وأحست أنها هدأت تماما ويمكنها أن تعيش فى سعادة فلن تتدخل بينها وبين زوجها مرة أخرى .

عاد وليم توماس يقول وهو يحاول أن يبدد الحزن من صوته .

ـ دافيد .. لقد ذهب الى السوق كما تعلمين وعندما رأى « سنوان » تسقط جرى نحوها فقد كانت سيارة مسرعة قادمة ، وأعتقد أنه قد أغمى عليها وخشى أن تصدمها السيارة فأراد أن يبعدها عنها ، ثم اندفع الى الطريق وجذبها من ظهرها لكنه لم يكن يعرف نها قد ماتت .. لقد ماتت فجأة فى الشارع واعتقد أن هبوطا أصابها فى قلبها ..ثم.. ثم أتت عليه السيارة.. دافيد المسكين .

قالت بلودوين وقد تغير لون وجهها وهى لا تعرف كيف يجيبها :

ـ دافيد ؟

ثم أطلقت صرخة مدوية .. وظلت تصرخ الى حد أنه بدا أن ليس ثمة شىء يمكن أن يعيد الهدوء اليها .

أمومة

بقلم صديق شيبوب

شعر سليم بدقات قلبه تسرع متوالية وبضيق في صدره ، واضطراب في أعصابه عندما أعلن رجال الباخرة انها دخلت المياه المصرية ، وكان اضطرابه يزداد كلما اقتربت الباخرة من الشاطىء وتبين معالمه في شيء من الوضوح ، هذه رمال تعلوها أشجار النخيل ، وهذه المنارة ، لقد دخلت السفينة ميناء الاسكندرية ، وظهرت مباني الجمرك تحجب المدينة ويطل من فوقها كوم النافورة وعليه الاعلام الخافقة والاشجار القائمة .

خمس عشرة سنة قضاها سليم بعيدا عن المدينة التي كانت مسقط رأسه ، فرأته طفلا يحبو ، وصبيا يدرج الى معاهد العلم ، ويافعا تتفتح نفسه للحياة وقلبه للاحساس وعقله للفهم والمعرفة ، وشابا يضطرم قلبه بما يضطرم به قلوب الشبان من حب للجمال المتمثل في امرأة ، وآمال واسعة في الحياة ، يرجو تحقيقها في بلوغ مآربه من متعة بذلك الجمال في ظل عيش لين هنيء .

وأحس عندما وصل الى هذا الحد من الذكريات بلذعة ألم فتنهد طويلا ، وقد زاد في حسرته أنه ذكر ان في تربة هذا البلد الامين قبرين يضمان رفات من كانا أصل حياته ووجوده .

وقطع عليه تأملاته اضطراره الى الخضوع للاجراءات الطويلة التي يتعرض لها المسافرون عند وصولهم الى الاسكندرية ، وقصد بعد أن خرج من دائرة الجمرك الى أضخم فندق في المدينة .

قضى سليم أيامه الاولى في الاسكندرية يطوف في شوارعها ويقصد الى ضواحيها وهو سواء في جوسه خلال المدينة ، او في نزهاته في الضواحي ، يقابل بين ما كانت عليه من قبل وما صارت اليه الآن . ويتلمس هذه الفروق في شوارعها ومبانيها ومخازنها ، وفي الاضاءة والتنظيم مما كان يتمشى مع اتساع

المدينة واكتمال زينتها ، والمدن كالنساء في حاجة الى العناية بزينتها وظهور محاسنها وجلاء روعتها •

وكثيرا ماقصد سليم في طوافه هذا شارع السبع بنات ، وما اليه من أزقة وشوارع تصله بالسكة الحديدة وشارع الجمرك وشارع البحرية ، تلك الاماكن التي قضى فيها ألذ أيام صباه وشبابه ، وجرى له مرة أن دخل احدى العمارات التي كانت تتوسط ذلك الشارع لاستعادة ذكرى الماضي ، وكان يسكن شقة فيها •

شعر سليم أن قلبه ينازعه صدره وان نفسه تسيل في أعصابه حين احتواه باب العمارة ، واجال نظره فيما حوله ، فاذا كل شيء لم يتغير ، هذا باب غرفة العم محمود البواب ، وهذه الدكة التي كان يجلس عليها • ولكن أين العم محمود ، ذلك الشيخ الطيب القلب الذي كان يرافقه في ذهابه الى المدرسة ويعنى بأمره في رفق وحنان •

رأى سليم شابا جالسا على الدكة فسأله :

ـ أين بواب العمارة • فأجاب :

ـ أنا هو •

فلم يشأ سليم ان يسأل عن العم محمود مخافة أن ينعى اليه فيزيد في اضطرابه وسأله البواب عما يريد فأجابه : ـ لاشيء •

وصعد السلم ، ولما وصل الى الدور الثاني وقف أمام باب الشقة واستند الى الحائط لانه أحس كأن الارض تميد به ، وان رجليه لاتحتملانه •

وأحس بشوق ملح ليدخل المنزل ، ويطوف به مستعيدا الماضي المثقل بالذكريات •

ومد يده الى زر الكهرباء ليدق الجرس ولكن شعورا داخليا أوقف يده واعاده الى صوابه •

ترى ماذا سيقول سكان المنزل عن هذا الزائر الفضولي ، وكيف يستقبلونه وهل يفهمون مافي قلبه من عواطف وشعور • ونزل سليم مسرعا كأنه يهرب من نفسه وقلبه واحساسه •

عاد سليم ادراجه وهو يعيد في ذهنه ماضي حياته ، فيرى نفسه صبيا جادا في طلب العلم وتحصيل الدرس ، وقد فقد والده قبل أن يعي الوجود ، فعنيت والدته بتربيته وتعليمه ، تنفق عليه مما تركه زوجها من مال واطيان ولكن المال نفد ، والاطيان مرهونة لايكاد يكفي دخلها لوفاء أقساط البنك •

ورأى سليم نفسه شابا يعمل لينشيء له مركزا في الحياة فيخونه الحظ في عمله وفي قلبه ، نعم في قلبه الذي كان مليئا بحب جارته «ماري» •

كم من الذكريات ازدحمت في نفسه عندما جال اسمها في خاطره ، انه يذكرها حين جاءت مع والديها الى الشقة المقابلة التي كان يسكنها مع أمه وكانت صغيرة مثلما كان صغيرا ، فكانا يلعبان معا ويتعاونان في تحضير الدروس وكتابة فروض المدرسة، وكانا كلما كبرا تبادلا آراءهما في الحياة ، آراء فتية كالتي يولدها خيال من في عمرهما ، فيسر كل واحد منهما لصاحبه ما يعمر به قلبه من أمل ناهض في مستقبل حسن •

وتحابا كثيرا •• ذلك الحب الاول الذي يذكره كل واحد في شيء من الحنين والالم ، ولكن حبهما كان في أول أمره هنيئا لينا، أليسا على وفاق في عواطفهما يضطربان بها في البيت أمام عيني أميهما وفي المدينة حيث كان نزقهما يدفعهما ،

فيسيران جنبا الى جنب كأنهما يريدان أن يصيحا في وجوه المارة: انظروا كيف يتفق الحبيبان •

أنهى سليم دروسة وخرج الى الحياة يطلب العمل فوجده في أحد البيوتات التجارية حيث عين مستخدما ، وأقصى أمانيه أن يزيد في مرتبه حتى يتاح له أن يحقق آماله في السعادة بزواجه من التي اصطفاها قلبه •

وعلت شفتيه ابتسامة مريرة عندما ذكر هذه السعادة المنتظرة • فقد طال انتظاره لهاكما طال بثهحديثها لماري في ساعات نجواه ، ولكم جلس اليها يحدثها عن حياتهما في المستقبل متعاونين على سرائها وضرائها ، في حين كانت ماري تمسك بذراعه وتلقي برأسها الى كتفه وتتخيل هذه السعادة التي ترتاح فيها الى هذه الذراع الفتية •

وفي صباح أحد الايام فوجيء سليم بالرفت من وظيفته لان تجارة المحل بارت ، ولأن الخسارة التي تكبدها أصحابه اضطرتهم الى الاقتصاد في النفقات ، وكان من ضروب هذا الاقتصاد الاستغناء عن جماعة من المستخدمين ومنهم سليم •

آسته ماري ، كما آسته والدته على فقد وظيفته ، وقد قالتا له انه لا يزال شابا ، وان الحياة واسعة المجال أمامه وان هذه أول كبوة من كبوات الحياة المليئة بالعثرات •

وطال عهده بالبطالة فلم يستطع أن يجد عملا ، وكانت أمه تنفق من دخل الاطيان الذي كان يجب أن يدخر لوفاء الدين ، فساءت حالهما في حين كانت أعمال والد ماري في تقدم ونجاح • • فانتقل بأسرته من منزل شارع السبع بنات الى الرمل •

وفقد سليم بابتعاد ماري أكبر عزاء له وأعظم معين على تحمل ما هو فيه •

على أن صلتهما لم تنقطع ، وحبهما لم يفتر ، كانا يلتقيان اليوم بعد اليوم والفينة بعد الفينة ، فيطوفان بحبهما بشواطيء البحر ومنتزهات الضاحية الجميلة وشوارعها • • وفي مساء أحد الايام كانا عائدين الى منزل ماري بعد ان تنزها طويلا توقفت ماري فجأة عن السير وقالت :

ـ اسمع ياسليم ، اخبرني والدي أمس أن قد تقدم أحدهم بخطبتي ، وانه نال حظوة لدى والدي وذويهما ، وان ما علمناه عنه يكفي لتزكيته •

ـ وماذا قلت :

ـ لبثت صامتة فلم أفه بكلمة •

ـ لعله ظن صمتك عن حياء ، وانك راضية بمن يختارونه لك ، والآن أسالك بدوري ماذا تنوين ؟

فلم تجب ماري على سؤاله ، أما هو فان هذه المفاجأة قطعت عليه الكلام فتلعثم لسانه وارتج عليه • ومن الناس من اذا ثارت أعصابهم انفخرت ثورتهم كلاما على لسانهم، ومنهم من تقطع عليهم ثورة الاعصاب الكلام فلا يجدون اليه سبيلا بينما يشعرون باللظى يلهب أحشاءهم ، وهؤلاء هم الذين اعتادوا أن يعيشوا بخيالهم فيخفون عواطفهم كأنما يضنون بها على الناس جميعا ، وهكذا كان سليم •

ومشى سليم الى جانب ماري، وليست تلك النار المتقدة في النجوم البعيدة بأشد مما في قلبه ، وكان يردد بين حين وحين •

ـ انك لن ترضى به ، قولي انك لن ترضى به •

وظلت ماري صامتة ، وأمسك سليم

يدها فاذا هي باردة ، ونظر الى وجهها فاذا الدمع يتساقط من عينيها ببطء ٠

لله انت ياماري من حبيبة ، لاتبكي فان عينيك لم تخلقا للبكاء ، ولا تضطربي فانى مادمت حيا أفديك بكل عزيز لدى حياتي فداء لك ٠٠ سأتحدث اليوم الى والدتي لعلها ترضى بزواجنا وسأشتغل لنعيش سعيدين والله رؤوف بعاشقين تعسين من عباده المخلصين ٠

وظلت مارى صامتة ٠

وافترقا على أن يلتقيا ، وأفضى سليم الى أمه بما كان ، فأجابته بأن أقصى أمانيها أن تراه رب بيت ووالد ، ولكن أين السبيل الى هـــذا وحالتهـــم على مايعرف ، وما دامت الفتاة تحبه كما يدعي ، فليشر عليها بالصبر حتى يفتح الله عليه بالفرج ٠ ولا يضيرهـــا الصبر لانها لاتزال فى ميعة الصبا ومقتبـــل العمر ٠

وجاءت مارى فى الموعد المضروب كما عودت سليما من قبل ، وقد ظلت كذلك صامتة عندما أخبرهـــا بما قالته أمه ، ولكنها لم تلبث أن أقبلت عليه فى عطف وحنان ، فهـــدأت نامة نفسه ، وقرت خلجات فؤاده ، وظن أن مارى قد اطمأنت الى حديثه ، ورضيت بما عرضه عليها ، ولم يدر فى خلده ان مارى قد استقرت عزيمتها على طاعة والديها ، وانها تريد أن تتودع من هذا الوجه الذى طالمـــا أحبته ، ومن هاتين العينين اللتين طالما طالعت فيهما الهناء المرتقب والســعادة والموعودة واللتين طالما ســهرتا عينيهـــا ونفتا الرقاد عن جفنيها ٠

أجل ان الأنوثة المرتـــكزة فى نفس مارى دلتها على أن الفتـــاة فى الشرق مصيرها الزواج لتعيش حياتها مطمئنة الى رجل يعولها ويدفع عنها غوائل الحياة ومخبآتها المزعجـــة ، واذا كانت المرأة أدق عاطفة من الرجل وألهب احساسا فانها أسرع منه الى التضحيـــة بهـــذه العـــاطفة احتفـــاظا لمستقبلها وصونا لفضيلتها ٠

رأت مارى أن الزمان يمر مسرعا ، وان للشباب مواقيت يزول بزوالها ، وان الدنيا حظوظ وفرص يجب انتهازها اذا أقبلت ، والمرأة أقرب الى الحيـــاة العملية من الرجل ، فبينما يسير بعض الرجال فى حياتهم العاطفية وراء مثـــل أعلى يتخيلونه فى الجمال والحياة ٠٠ تسترشد أكثر النساء بحياة عملية لينة وينبذن الخيالات والاوهام ٠

وهكذا شعر سليم انه قذف به من حالق حين أخبرته مارى انها نزلت عـــلى ارادة والديها وانها رضيت بالزواج ممن اختاروه لها ، وان هذا الموعد آخر ما يضرب بينهمـــا ٠٠ وأظهرت مارى من الشجاعة والتجلد ما جعل سليم يشـــك فى حبها الطويل له ٠

الله فى صرح آماله المتهـــدم ، أين المستقبل الذى حلم به ســـليم ، وأين السعادة التى طالما رجاها ، واين ما فى آمال وأمانى ٠٠ لقد تلاشى الحلم ٠ ٠ ٠ وتبددت الاوهام ، وهذه الحياة تبـــدو على حقيقتها المخيفـــة تصرعه فلا يدرى مايقوله ، ولا يملك غير أن يردد :

ـ هذا صعب الاحتمال ، انه مستحيل انت تقولين هذا ياماري ٠

وكانت مارى ترد عليه :

ـ سوف تنسانى ياســـليم ٠٠ ألم تكف هذه السنون الطويلة التى تحاببنا فيها ٠ ٠ ألم تملنى ٠٠ ليس ما بك حب ولكنها العادة ٠٠ سوف تحب غيرى ٠٠ وتألف حبها كمـــا ألفت حبى ، ســـوف تبرأ مما أنت فيه ٠

وعندما افترقا لم يجرؤ ســـليم أن يلمس يدها ، وكان شيئـــا من الخفر حال بالرغم من مارى بينها وبين أن تضمه

الى صدرها تلك الضمه التى كانت أملها في الحياة ٠

يالشقاء القلب البشرى ، أيكفى أن يحجب وجه محبوب ، وان تتحول عينان طالما طالعنا فى لحظيهما الحب وفى نورهما الهوى واللذة حتى يخيل الينا أن الناس ليسوا كما عهدناهم ناسا وان الاشياء ليست كما عرفناها اشياء ، ما الحياة ، وما العالم ، وما الناس ، وما الاشياء فى ساعة مثل هذه الساعة ، ظن سليم ان الارض تميد به وان الحياة تتسرب من جسمه شـــيئا فشيئا ، وانه سيقضى نحبه فى ليلته تلك ، وهل يذكر انه بعد أن ترك مارى مر بخط الترام وســمع صوت عرباته آتية من ورائه فشعر كأن شيئا يقذف به على قضبان الحديد لعل العربات تمر عليه فتريحه لما يعانيه ٠٠ ولكنه تماسك ، ويذكر أنه اتكأ الىجدار قريب ، وانه أمسك بهذا الجدار مخافة أن يقذف بنفسه تحت عجلات الترام ٠

وساءت حالتهبعد ذلك كثيرا اذ أعوزه وأمه المال ، فبيعت الاطيان وافتقرا ٠٠ وماتت أمه حسرة وكمدا ٠

أما هو فتذكر ان له عما فى أمريكا فارسل اليه يخبره بما أصابه فبعث اليه بشىء من المال يساعده على السفر اليه٠

وكانت الوحدة فى الاسكندرية قد أمضته بعد وفاة أمه فما كادت تصــله النقود حتى سافر تاركا فى الاسكندرية أعز ذكرياته ، حاملا فى نفسه قلبــا محطما وجراحا دامية ٠

ذكر سليم كل هذا بينما كان عــائدا من شارع السبع بنات الى الفندق وذكر كذلك كيف استقر فى أمريكا ، وكيف عمل ، وكيف أثرى ، وذكر أيضا كيف صدف عن النساء مخافة أن يعلق قلبــه بحب جديد لاقبل له بدفعه، ولا سبيل له الى احتماله بعد أن قاسى ماقاساه ٠٠

وهو لايدرى كيف عاد الى الاسكندرية ولماذا عاد اليها ، وكل الذى يعرفه انه أحس بشــوق ملح الى رؤية المدينــة ومشاهدة المعــالم التى كانت ملاعب صباه ومراح شبابه ٠

قضى سليم أكثر من عشرين يــوما بالاسكندرية استعاد فى خلالها صــلاته ببعض أصدقائه القدامى من رفاق صباه واخوان شبابه ، ولكنه لم يجرؤ مرة أن يسأل أحدهم عن مارى وماذا أصبحت ، وكيف هى الآن ، وكان احساسا داخليا كان ينبئه بأنه سيلقاها مصادفة ٠ ٠ وهكذا كان ٠

فانه بينما كان واقفــا مرة على باب محل حلوانى كبير بشارع فؤاد بسيدة خصبة الجسم ، حلوة الملامح تنظر اليه طويلا ، فخيــل اليه انه يرى ابتسامة مبهمة تهيم على شفتيها ، وهم أن يلحق بها ، واشد ما كانت دهشته حين رآها تعود اليه فظن انها تريد دخول محــل الحلوانى فتنحى لها عن الباب ، ولكنها تريثت قليــلا ثم نظرت اليــه مبتسمة وقالت :

ـ بونجور ياسليم ، كيف أنت ومتى عدت الى الاسكندرية ؟

من يصف شـــعور سليم حين بلغ مسامعههذا الصوت الذىطالما ود سماعه وتعرف هذه الابتسامة الرقيقــة التى طالما تالم لاجلها ٠

مارى ٠٠ أجل انها هى٠٠ وقد عرفت سليما حين رأته ، وترددت فى مخاطبته ولكنها فطنت الى أنه ربما لم يعرفها وقد تبدلت بعد الزواج ، فتركزت خطوط وجهها ، واكتملت أعضاء جسمها اكتنازا وخصبا ٠

وسارا يتحدثان جنبا الى جنب ٠

زار سليم مارى مرارا فى منزلها ٠٠ وكان فى كل مرة يشعر بان قلبــه

يستعيد عواطفه التى كانت راكدة فى قرارة نفسه، وان ما ظنه قدزال وانقضى أخذ يطفو على صفحة الزمان قويا عنيفا كما كان ..

وتعرف سليم الى زوج مارى ، وعلم دقائق حياتها وما تقاسيه من ألم لان زوجها يهملها فيقضى نهاره فى عمله وليله فى أندية القمار ودور اللهو ظنا منه اذا كفى زوجته الحاجة وأغدق عليها المال فقد كفاها كل شىء ولا يلقى بالا الى عواطفها وما يضطرم به فؤادها من عذ. الى عطف وحنان وحب ، ولولا ان رزقها الله بعد زواجها بسنين غلاما جعلته موضع حبها لكانت من أتعس الزوجات.

ولج الحب بسليم حتى لم يطق صبرا ولم يستطع صمتا ، فبث لواعجه لمارى التى أصغت اليه بعطف واخذت تدافعه برفق كما فعلت يوم قطعت علاقتها به.

ان لها اليوم زوجا يجب أن تصون شرفه ، ولها ولدا يجب ألا يستحى بامه وبعد اليست الحياة واجبات نقضيها. وشرائع نعمل بسنتها ونصدف عن نواهيها .

ولكن هذه الاعتراضات التى قدمتها مارى لسليم فى قوة وتشدد عندما شرع يذكرها بحبهما القديم ، أخذت تتخاذل شيئا فشيئا ، وكانت زياراته الطويلة وجلوسه اليها منفردين تقرب بينهما ، وتبعث فى قلب مارى عواطف كانت قد تناستها مع مرور الزمان .

وهكذا تخاذلت مارى شيئا فشيئا أمام عواطف سليم الملتهبة ، وحججه الوجدانية المؤثرة .

كيف ترضى بان تصون شرف رجل لايعنى بأمرها ولا يعمل على اسعادها والاحتفاظ بها ، أليس من حقها أن تنعم بالحياة كما تنعم، وأن تلبى دواعى قلبها كما يفعل وما الواجبات ، وما الشرائع ، وما الحياة اذا جد جد العيش وزال الشباب ولم يبق غير الشيخوخةالمضنية أما ابنها فهو عند سليم بمنزلة الولد ، وسيحنو عليه أكثر من حنو الآباء .

وجلس سليم فى أحد الايام يعيد بث لواعج حبه المضطرم ، ويلح فى حملها على تلبية نداء قلبها ، وشعرت مارى أن سليما على حق فيما يقول ، وان عقلها ينهزم أمام قلبها ، وان عزيمتها تتلاشى أمام عواطفها ، وطالع سليم فى عينى مارى الحب والهوى، وقد رنت نظراتهما واتقدت حدقتاهما ، ورأى شفتيها تضطربان وصدرها يخفق .. وفجأة فتح باب الغرفة واندفع ابنها الصغير نحوها مناديا :

ـ ماما .. ماما .

وقف العاشقان كل أمام صاحبه وجها لوجه، واحتضنت الام ابنها وقبلته قبلة طويلة ووضعته بينها وبين سليم وقد عاد اليها هدوءها طمانينتها .

فهم سليم أن لاسبيل الى استعادة الماضى والفوز بقلب مارى ، وان كل تعاطف بينهما يجب أن يزول ، فودعها وانصرف .

بينما كانت مارى وزوجها يتناولان طعام الغداء فى اليوم التالى قال الزوج :

ـ زارنى اليوم صديقنا سليم بمكتبى واخبرنى ان عملا مستعجلا يضطره الى السفر الى امريكا غدا وانه لن تتاح له فرصة سانحة لتوديعك فرجانى ان اعتذر اليك عن تقصيره .

وبعد صمت قصير قال الزوج

ـ التقيت بسليم منذ أسبوع فكان نشيط الحركة تبدو عليه مظاهر الصحة والشباب ولا أدرى ماذا أصابه بعد ذلك . فقد خيل لى اليوم أنه قد هرم وبدا كان سنه قد زاد فى هذا الاسبوع عشر سنين .

مقدمة إلى كافكا

تأليف : فيليب زاف

ترجمة : ماهر البطوطي

يرتبط فرانز كافكا اليوم فى الأذهان الأدبية ارتباطا شديدا بأسماء مثل جيمس جويس ومارسيل بروست وييتس وريلكة واليوت ، وهم من أطلق عليهم بحق الأبطال المقدسين الذين لا يمتوا — للنزعة الخلاقة الحديثة ·

وهو ينفرد بينهم بأنه الوحيد الذى لم يتمتع بنجاح شعبى ذى أهمية ابان حياته ، لأنه حجب قصصه الطويلة عن النشر · ولهذا لم تتعد شهرته حلقة صغيرة من الكتاب الألمان ، ولم تأته الشهرة العالمية الا فى العقدين الأخيرين ، بعد وفاته ·

واول مرة ظهرت فيها ترجمة لاحدى رواياته — القلعة — كانت فى عام ١٩٣٠ ، بعد أن مضى على وفاته ست سنوات · والقلعة رواية تسطع عاليا فى سماء الأدب الكافكى ؛ وحين ظهرت فى البداية لم يتمكن من سبر غور قيمتها الحقيقية سوى عدد قليل من القراء ، بل انه حين ظهرت « المحاكمة » فى عام ١٩٣٧ ، لم يكن المعنى الذى قدمه كافكا والدوافع الأساسية عنده هى التى أثارت الاهتمام بقدر ما أثاره الألغاز الظاهر فى كتاباته · وقد أدهشت رواياته القراء ، غير أنهم لم يقتنعوا الاقتناع الكافى بأهميتها · ومنذ هذا الوقت ، جرت قوة الحس التى تمثل سمة قوية من سماته ، جرت فى شريان الدماء الذى يتخلل أدب القرن العشرين · وقد أصبح كافكا موضوعا لدراسات نقدية عديدة فى كثير من اللغات · وفى جميع الأنحاء ، اتخذ الكتاب الشبان رقيقو الحس ، الذين شعروا بالحالة المتجمدة للأساليب الروائية السائدة والذين كانوا جاهدين فى البحث عن تجديدات خلاقة ، اتخذوا مثاله الذى اتبعه مأخذا جديا ·

ولم يعد هناك شك فى منزلة كافكا كفنان على النهج الميتافيزيقى الذى يهتم بالتركيب النهائى للوجود الانسانى أو فى اصالته الفائقة كمجدد فى الأسلوب الخلاق · ومثل « ريلكه » فى « مرثيات دوينو » يلقى كافكا بالسؤال الخالد : « ما هو الحقيقى فى هذا العالم ؟ » ·

وكافكا سيد من سادة النسق القصصى ، أسلوبه دقيق ذو تحفظ ساخر ، وهو يجمع فى رواياته بين الحقيقى وغير الحقيقى ، بين ذاتية المضمون الخالصة وأشكال غاية فى الموضوعية ، بين صورة صحيحة ودودة عن العالم الخارجى والتحلل الحلمى لهذا العالم ·

وعن طريق توحيد هذه العناصر المتضادة تمكن كافكا من تحقيق ملاءمات جوهرية جديدة لمصادر الكتابة النثرية · يمكننا القول بذلك الى أبعد الحدود دون أن نتقيد

باعطاء تقدير نقدى متكامل لأعماله ، لأن مثل هذا التقدير يكون سابقا لأوانه نوعا ما الآن ، ويكفينا أن نعطى تحليلا ووصفا لصفات هذه الأعمال • وهكذا يتضح أنه لو كان كافكا يضطرنا الى الاحساس بأواصر الصلة بيننا وبينه وبالتماثل القوى القلق ، فان ذلك يرجع الى الصفة القوية التى يتسم بها شعوره بتجربة الضياع الانسانى ، بالغربة والاثم والقلق ، وهى تجربة تزداد تسلطا فى العصر الحديث •

ولا مراء فى أن كافكا واحد من أكثر الفنانين الادبيين عصابية ، وهذا ما يفسر الوعيد المحسوس لرمزيته التصورية وابتعاده الشديد عن أنماط الخيال الأدبى المحددة المتعارف عليها • ورغم وضوح حقيقة عصابية كافكا ، فانها تمثل للذهن غير الأدبى خطرا ، ان لم يكن اغراء مبتذلا ، لأن هذا الذهن ينزع الى تشويش الحقائق الجلية بالأحكام والتقييمات النقدية ، وليس هناك خطر أعظم من ذلك فى تناولنا للفن الأدبى • وحتى نتجنب هذا الخطأ الشائع يجب فوق كل شىء ادراك أن كافكا شىء أكثر من فنان عصابى وحسب ، انه كذلك فنان يكتب عن العصابية ، أو بمعنى آخر ينجح فى تجسيم حالات العقل التى يتصف بها العصابيون ، من خلال وسائل الخيال• ويعمل عن طريق ذلك على ادماج عالمه الخاص فى العالم الذى نعيش جميعا فيه • وحين تتم هذه العملية ، يكون الكاتب الخلاق قد أدى العملية الأساسية التى يكمن فيها سر انتصاره كفنان ان لم يكن كانسان ، ويكون بذلك قد حرر نفسه من شيطانه ومن حمله الشخصى ويحولنا بذلك الى شركاء له فى نفس الشىء • وبحكم اشتراكنا مع المؤلف لا يكون لنا نحن القراء سبب طبيعى للشكوى • وقد تكون العصابية هى الباعث أو الدافع ، ولكن الأعمال الأدبية هى النتيجة • وفوق ذلك ، فان الكاتب الخلاق هو الشخص الأخير الذى يمكن أن نضربه مثالا فى تمييزنا السوى من غير السوى ؛ فمع كل ما يمكن أن يفعله العالم النفسى من مثل هذا التمييز الفج المفيد ، لا يمكن للفنان أن يلتفت اليه دون أن يقمع فى نفسه احساسه بالحياة فى ذروة تماسكها وتشبعها •

وقد سبق للروائى الانجليزى « جراهام جرين » أن أدلى بملاحظة مضمونها أن كل كاتب خلاق جدير باهتمامنا ، كل كاتب يمكن أن نطلق عليه لقب شاعر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، ان هو الا ضحية ، هو رجل تسلط عليه شعور ما » • وكانت الفكرة التى تسلطت على عقل كافكا احساس حاد بالقصور والفشل والاثم ، اثم لا يرجع الى ذنب ارتكبه أو عمل تركه ناقصا ، بل اثم يكمن فى أعماق كيانه الداخلى ، وقد كتب كافكا مرة فى دفتر ملاحظاته : « ان الحالة التى نجد أنفسنا عليها حالة آثمة ، ومستقلة تمام الاستقلال عن الاثم ذاته » • ومفتاح « المحاكمة » هو أن فكرتنا عن الزمن هى الشىء الوحيد الذى يجعلنا نتصور وجود يوم للدينونة ونطلق عليه هذا الاسم ، وما هو فى الحقيقة الا محكمة تعقد جلساتها بصفة مستمرة » • وفى نفس محيط هذا التفكير تبرز الصورة الفكرية التالية : « تلعب كلاب الصيد لاهية فى الفناء ، ولكن الفريسة لن تفلت من يدها رغم ذلك مهما كانت سرعة جريها بين الغابات » • والتطابق بين الانسان يقع هنا مع الفريسة ، ومع كلاب الصيد كذلك باعتبارها ترمز لتطلع الفريسة الى عقاب النفس ، والى رغبتها الدفينة فى أن يتم تضييق الخناق عليها وأن تؤذى وتمزق تمزيقا حتى يتم تكفيرها

عن الاثم الذى يغمرها من الرأس الى القدم . وفى هذه الجملة القصيرة عن الفريسة والكلاب تكمن خلاصة القصة الكافكية الأصيلة : موضوع التسلطات ، النواة القصصية التى تتعلق بضحية القوة الغاشمة : الموضوع الذى يعود اليه كافكا من آن لآخر ، آخذا فى تنويع وتعقيد بنائه بثراء عجيب ، مقيما على أساس بسيط كهذا صرح بناء شامخ ، مثل أسطورة القائد العجوز فى قصة « معسكر الاعتقال » ، وأسطورة القانون فى « المحاكمة » ، وأسطورة البيروقراطية السماوية فى « القلعة » .

ومع ذلك يجب ألا تقودنا بساطة النواة القصصية عند كافكا الى اهمال الصفات التى تجعله واحدا من أشد الشخصيات الفازا فى الأدب العالمى . فاذا تحدثنا عنه باعتباره مؤلفا لأليجوريات دينية فان ذلك لن يفيدنا فى شىء ، فعلى خلاف الأليجوريين الدينيين أمثال دانتى وبنيان ، لا يعتمد كافكا فى كتاباته على المنطق المحدد لأحد الأنظمة الدينية المتعارف عليها ؛ ولا تفترض طريقته الخلاقة وجود أى معرفة خارج الذات . وعلى هذا فهو ليس باليجورى على اى نحو مقبول ، بل الأصح انه مجدد مفرق فى الفردية الى درجة لا يمكن معها وضعه فى تصنيف من التصنيفات المألوفة . وكذلك فان الصعوبة التى تواجهنا فى فهمه تختلف فى مستواها عن تلك التى تصادفنا عند قراءة أعمال روائى مثل جيمس جويس مثلا ، فبينما يكمن غموض الأخير فى طرق الأساليب البراقة التى يشكل بها مادته ، وفى تصميمات بنائه القصصى المتشابكة ، فان الذى يحيرنا فى كافكا هو المعنى المقصود فقط . ويمكن مقارنة كافكا بجويس من ناحية اللغة والبناء ، ورغم ذلك فان رواياته الكاملة قد حيرت كثيرا من القراء . وتزول هذه الحيرة لو اننا تعلمنا ان نصغى بانتباه الى نغماته التى يضرب عليها وان نألف الحرية الكاملة التى ينبذ بها بعض التقاليد الروائية حين يناسب غرضه الرمزى هذا النبذ . وعلى هذا ، فاننا حين نطالع الجملة الاولى من قصته « المسخ » التى تقول : « استيقظ الموظف (جريجور سامسا) فى صباح احد الأيام ليجد نفسه قد تحول الى حشرة ضخمة » ، نخطىء لو تصورنا ان كافكا يقصد عن طريق هذه الضربة الجريئة أن يشير باصبع الاتهام الى قوانين الطبيعة ، بل يجدر القول بأنه يتهم التقليد الذى يدعو الى مراعاة الأساليب الطبيعية عند كتابة القصص . وهو بعد أن يبعد عن هذا التقليد فى الجملة الاولى من القصة ، يطورها من هذه النقطة بطريقة منطقية واقعية . وان مسخ الموظف هو رمز مركب لغربته عن الحالة الانسانية ، رمز ليقظته على رعب وجوده الخامل الميت ، على الامتعاض اليائس الذى يكمن فى لا شعوره ، حيث تلقى الرغبة التى يحس بها فى أبعاد أبيه والاحلال محله فى محيط العائلة معوقات تنجم عن حاجته الى معاناة عقاب قاس على رغبته المحرمة تلك .

وهناك نوع آخر من الرمزية به نسبة أقل كثيرا من الاستعمالات النفسية ويوجد فى قصص مثل « سور الصين العظيم » . ما هو هذا السور العظيم ؟ انه ايضا رمز مركب للتضامن الانسانى ، للتحقيق الدنيوى للذات ولمحاولة بنى الانسان الحصول على مساعدة القوى الغيبية : ولكن .... لماذا شيد السور بهذه الطريقة المنفصلة حتى انه يسمح للمتجولين فى الشمال أن يتسللوا

خلال المنافذ ؟ والجواب هو أن طبيعة الانسان لا تمكنه من انجاز شيء سوى أهداف محدودة ، وليس بامكانه فهم « الكل » ، ورؤياه منفصمة غير متواصلة كما أن أمنه لا يمكن أن يكون تاما ، ولا يستطيع تحقيق أهدافه الا بطريقة متقطعة جزئية . وليس من شك فى أن ما يسبب تشييد السور فى النهاية بهذا الشكل المنفصل هو « الأمر العلوى » ، ورغم ذلك فان المجادلة فى قرارات هذا الأمر العلوى لا تجد شيئا على الاطلاق ، وليس سبب ذلك أن مثل تلك المجادلة تعد كفرا فى حد ذاتها ، بل لأنها تصبح على المدى الطويل عبثا لا طائل من ورائه . وفى هذا المجال ، لا يستطيع المنطق الا أن يقودنا الى نقطة معينة ، وما هناك من جواب وراء ذلك سوى فى الرمز الذى قدمه كافكا فى القصة للنهر ابان الربيع . ومع مضى حوادث القصة ، يتحول موضوع السور بطريقة نامية حية الى سلسلة من التأملات الشعرية حول العلاقة بين أهل الصين والبلاط الملكى فى بكين ، أى بين الله والانسان . وبينما يتمثل ابتعاد الاله فى قصته « كلب يبحث » كابتعاد فى الزمن ، فان الصور فى قصة سور الصين العظيم تتعلق فى معظمها بالمكان ، فبكين العاصمة بعيدة جدا عن القرويين الذين يعيشون فى الجنوب حتى أنهم لا يكادون يتصورون وجودها . وهم يتعبدون لملوك ماتت منذ زمن بعيد ، ولا تترامى الأنباء التى تصل من القصر الملكى الى أسماعهم سوى مهملة باطلة المفعول . ويستبين عجز الصينيين عن امتلاء امبراطورهم فى واقع حى واحد ، كانعكاس لفكرة الله كما يعرفه الانسان الحديث ؛ وهى فكرة غير محددة ، غامضة ، وفوق كل شيء ، فكرة عتيقة . فالانسان الآن لا يدرك كنه القوى التى تحكم حياته . فاذا عرف شيئا عن الالوهية فهى معرفة تاريخية خالصة .

والشجار بين المفسرين الدينيين والمفسرين النفسيين لأدب كافكا ليس بذى أهمية عظيمة ، لأن عمله يجمع من المعانى ما يكفى لأن يدعم جزءا من الحقائق التى تخرج بها كلا من هاتين المدرستين . وعلى هذا يمكن تفسير حادثة الأب الذى يحكم على ابنه بالموت غرقا فى قصة « الحكم » على ضوء فكرة فرويد عن الأب الطاغية ، وفى نفس الوقت يمكن تفسيره بأنه الـه القصاص وقد هب فى غضب ليحطم الوهم الذى يبين للانسان فى اقامة كفاية ذاتية فى هذه الدنيا ، وليس هناك أى تعارض بين هذين التفسيرين فى أساسهما ، فهما أولا ليسا بمتضادين وثانيا فان قراءتنا للقصة وفهمنا لها ، كما أنها تعتمد على وجهة نظر المؤلف ، فهى تعتمد فى نفس القدر على وجهة نظرنا الخاصة فى حدود معينة . وقد كان فى شخصية كافكا عنصر من الخضـوع الجوهرى يمنعـه من الشروع فى اثبـات اى اتجاه معروف عن الحياة أو اى فكرة عنها . وقال هذا بوضوح فى احدى مأثوراته التى كتبها عن نفسه بضمير الغائب : « انه لا يثبت الا نفسه ، وبرهانه الوحيد هو ذاته ، ولذلك فان خصومه قد تغلبوا عليه فى الحال ، ليس عن طريق دحضه (فهو ممن لا يمكن دحضهم) ولكن عن طريق اثبات ذواتهم » .

أما ان كافكا كان رجلا ذا مزاج دينى فهذا ما لا اشك فيه أبدا . فمع انه قد خلق صورا مبرزة فى الفشل والاحباط الانسانى ، وبميل الى الشعور بأنه سجين فى هذه الدنيا ، وتعذبه الكآبة والعجز والضعف والخيالات المحمومة التى تراود

السجين ، فانه لم يتخل عن ثقته فى معنوية الوجود وروحيته فى « الفهــار » ، كما أنه فقد الثقة فى مجهوداته الأدبية لأنه كان يريد لكتاباته أن تصل الى القوة التى تتمكن معها من رفع العالم الى المملكة « النقية ، الحقة ، الثابتة » · ومع ذلك فليس هناك شيء فى اوراقه الخاصة أو فى رواياته يجيز الزعم القائل بأنه كان يعتقد فى اله خاص به يوافق على النظم الجامدة التى تتصل بالدين الرسمى · وحتى الخطيئة الأولى ، وهى العقيدة القريبة من مركز أعماله ، كان يفسرها فى تبصر بأن أساسها هو « الشكوى التى يرددها الانسان ولا يكف عن ترديدها بأن سوءا قد ارتكب فى حقه ، وان الخطيئة الأولى قد وقع وزرها عليه » · وينظر العالم الدينى الى هذا القول على أنه مجرد خرافة ، خرافة رقيقة تتهم نفسها ، ولكنه خرافة على أى حال · وقـد أشار الناقد الألمانى « فرانز بلى » الى كافكا ــ وكان من معارفه الشخصيين ــ باعتباره « خادما لاله لا يعتقد فيه أحد » · كانت تقواه متناقضة ، مستثناة من التعـريفات والتصنيفات المحددة ، بعيدة كل البعد عن الساكن والتقليدى ، ترفض السلوى التى يقدمها الدين فى اباء ، وتصر رغم ذلك على شــق طريقها الى ايمان « كالمقصـلة فى ثقله وفى خفته » ، تقوى لا تجد متنفسا لها فى الأفكار العامة ولا فى الفكر المنطقى بل فى لغة الفن فقط ؛ تلك اللغة التى تقدم كل شيء ، ثم لا تزعم شيئا ولا تؤكد شيئا ولا تثبت شيئا فى نفس الوقت ·

ولد كافكا فى عام ١٨٨٣ من أبوين يهوديين من عائلة متوسطة · ويبدو أنه قد فقد ثقته بنفسه فى مطلع حياته ، واستبدل بها كما يقول : « شعور لا حد له بالاثم » · وقد وسمت حالات الضياع والفشل وفكرة عدم وجود حل لأبسط المشكلات الانسانية ، وسمت فترة شبابه بالحزن والهمت فنه بعد ذلك · ويقف أبوه فى مركز حياته كشخصية تتفق تمام الاتفاق مع فكرة « فرويد » عن الرعب المتمثل فى « الأب الأول » ·كان أبوه نشطا ، صلفا ، متقلبا ، ناجحا ، محترما ، وكان يتعرض بالسخرية لميول ابنه غير العملية وتجوالاته الروحية دون أن يقصد سوءا من وراء تلك السخرية بل هى طبيعته أملت ذلك عليه · وكانت الأم رغم شفقتها على ابنها مستغرقة بجل عواطفها فى أمور زوجها لدرجة جعلتها عاجزة عن أن تتخذ لها دورا مستقلا · وهكذا تعرض فرانز الصغير لتطرفات العزلة واستبطان النفس ، تلك التطرفات التى كانت تلغى نفسها دوما عند التفكير فى التكامل عن طريق الزواج وانجاب الأطفال وممارسة اعباء وظيفة محترمة (مهنة حقه ٠٠٠٠ المهنة المناسبة) وكان تأثير أبيه عليه ظاهرا لدرجة جعلته يتعثر فى حديثه أمامه رغم أنه يتحدث عادة بطلاقة فائقة · وقد كتب فى خطاب وجهه الى والده بعد ذلك : « لقد بدات تتخذ تلك الصفة الغامضة التى يتصف بها جميع الطغاة ، الذين يعتمدون على تفوقهم فى شخصياتهم وليس على الحق » · ومن الواضح ان مصدر فكرة السلطة التى تشيع فى معظم أعماله يرجع الى موقفه المتناقض تجاه والده ، موقف يتمثل فى نفور فياض وشعور بالمماثلة أيضا· ونحن نرى البطل فى أعمال كافكا القصصية الرئيسية والذى تظهر فيه عناصر من شخصيته الذاتية ، نراه دوما وقد قهرته قوى ما فوق الطبيعة ، تلك القوى التى تجد دائما ما يبررها ويعلى من شـأنها حتى ولو ظهرت فى ثياب بيروقراطية ظالمة متوعدة · ويحكى ماكس برود ، صديق كافكا الحميم ومؤرخ حياته الذى نشر كتاباته

بعد وفاته ، يحكي أنه حاول أن يدلل لرفيقه على خطأ احساسه الذاتي بالحقارة وخطأ مغالاته المزمنة في الاعلاء من شأن والده • ولكن هذه الأحاديث كانت تذهب قبض الريح لأن كافكا كان يدلى بسيل من الحجج يصد بها أقوال صديقه ويفنـدها • وقد تحقق ماكس برود أنه لا يمكن لامرىء أن يتساءل عما كان يجدى كافكا قبول أبيه له الا من وجهة نظر أحد الغرباء البعيدين عن كافكا واحساساته ؛ فقد كان واضحا ان حاجته الى هذا القبول تمثل عنده شعورا فطريا دام الى آخر أيام حياته •

و فى عام ١٩٠٦ حصل كافكا على اجازة القانون من الجامعة الألمانية فى براغ ووجد عملا بعد ذلك فى شركة للتامين ضد الحوادث • غير أن اهتماماته الحقيقية كانت تتمثل فى ميدان الكتابة ، وقد مارس هذا العمل الاخير بكل حماس أخلاقى ، معتبرا اياه بذلا مقدسا للطاقة الانسانية وخطوة للاتصال ببنى الانسان ، وانعكاسا باهرا للادراك الدينى • ورغم ذلك فان الكتابة لم تكن لتقيم أوده ، فبالاضافة الى اعتراضه من ناحية المبدأ على تحويل الموهبة الأدبية الى مصدر للمنفعة المادية ، كانت أمامه عقبات أخرى فى هذا السبيل • وكان يكتب فى سرعة خاصة به ، يملؤه سخط متوهج • وكانت تتملكه فى نفس الوقت حاجة ملحة لأن يقف على قدميه ، لأن يستقل سريعا عن عائلته • ومع ذلك فقد عملت وظيفته فى شركة التأمين على تفكك شخصيته للتناقض التام بينها وبين مهنة الكتابة •

ويكتب كافكا فى خطاباته عن الأدب باعتباره أمله الوحيد فى السعادة وتحقيق الذات • وعندما كان يتحدث عن الحالات التى تشبه حالات الغيبوبة والتى تجعله يقترب من الاحساسات الانسانية العادية ، يضيف بأن هذه الحالات كان ينقصها هدوء الالهام مما يجعلها لا تساعد على الكتابة الحسنة وهو يتحدث عن نفسه على أنه بسـبيل خلق « عقيدة سرية جديدة » « كابالا » غير ان اجاباته عن معنى هـذه العقيدة كانت مشتتة متناقضة • (وقد قال « برود » بحق ان اصراره هذا كان اصرارا أخلاقيا وليس فكريا) ونحن نقرأ فى يومياته : « اننى أمثل العنصر السلبى للعصر الذى أعيش فيه •••• وبخـلاف كيركجارد لم تقدنى يد المسـيحية فى حياتى ، ولا أنا تعلقت كالصهيونيين بأحد أطراف أردية اليهود الخيالية » • ويبدو أن الشائبة الوحيدة فى علاقة كافكا بماكس برود كان مبعثها برود كافكا تجاه الصهيونية ، وكان قد كتب مرة : « ماذا يجمع بينى وبين اليهود فى الوقت الذى لا يكاد يوجد هناك ما يجمعنى ونفسى ؟ » •

وكان عام ١٩١٢ عاما مصيريا فى حياته ، فقد قابل فيليس ب ، تلك الفتاة التى جاءت من برلين والتى كان يرغب فى الزواج منها ولكن الظروف أجبرته على الابتعاد عنها ، وقد عانى شجنا طاغيا من جراء فسخ خطوبته لها مرتين • كان يشعر أن الزواج عمل مستحيل بالنسبة لرجل مقطوع الصلة فى مثل ظروفه ، رجل يفتقد الاستقلال الاجتماعى والتوافق الآمن فى حياته • وقد شهدت هذه السنة كذلك التقاء مقاصده الأدبية مع منهجه المستمر فى سبر غور نفسه الداخلية مما أتاح له أن يتقدم وئيدا بخطى ثابتة فى عمله • ولو قارنا ما كتبه ابان خريف هذا العام بكل ما كتبه قبل ذلك لبدت هذه الأخيرة مجرد تخطيطات ناقصة • وفى ليلة ٢٢ سـبتمبر من نفس هذا الخريف كتب « الحكم » فى جلسة واحدة • وقد قال بعد ذلك انه حمل

عبء وزره على ظهره أكثر من مرة فى خلال هذه الفترة التى امتدت من العاشرة مساء حتى السادسة من صباح اليوم التالى • والحكم هى أول قصة كافكية تظهر فيهـا سمات أدبه المعروفة كما أنها أول قصة سبر فيها المؤلف موضوع الصراع بين الأب والابن الى الأعماق • وفى نفس الشهر أو الشهر الذى تلاه ، كتب كافكا الفصل الافتتاحى الطويل لروايته الأولى « أمريكا » ، وفى نوفمبر أكمل أعظم قصصـه : « المسخ » ويحقق فيها تأثيرا فعالا عن طريق تناوله الكامل للتفصيلات الواقعية التى تساند وتدعم الرؤيا الكئيبة لموضوعاته القصصية • وهذه القصة تجسيد حى لصفتى الضرورة والتطرف ، تجسيد لاحساس امرىء جثم الوجود على أنفاســــه وليس أمامه الا الانتماء الى هذا الوجود • ويمس هـذا كله شـــعورنا حين نقرؤه فى أعمـال كافكا لأنه يشـــتمل على المنهج وعلى المضـــمون ، على الطلب وعلى الاستجابة ، على الهدف وعلى الطريق فى آن واحد • وعن طريق هذه الصفة «الوجودية» فقط ينجح كافكا فى تجسيم عالمه أمامنا ، وينقل نداء الحقيقة الذى لا يخطىء الى عناصر هذا العالم التى لم تكن لتبدو بدونه سوى نتاج غريب ضـــال • ويمكن لى أن أقول ان كافكا قد حقق تماما ولأول مرة فكرته الخاصة عن الكتابة فى قصتـه « المسخ » ، وهى فكرة تتصف بباطنية والحاح لا يوصفان • وقبل كتابة هذه القصة بفترة طويلة ، حاول كافكا أن يشرح معنى الكتابة كما يترامى له ، فقال فى خطاب الى صديقه « أوسكار بولاك » : « ان الكتب التى نحتاج اليها هى تلك التى تؤثر فينا تأثير الكارثة ، تلك التى تجعلنا نقاسى نفس المعاناة التى نمر بها حين يموت لنا أحد الأقارب الذين نعزهم أكثر من أنفسنا ، تلك التى تجعلنا نشعر كأننا على شفا الانتحار أو تائهين فى غابة بعيدة عن العمران ، وهكذا يجب على الكتاب أن يعمل عمل الفأس فى البحر المتجمد داخل نفوسنا » •

وفى أكتوبر من نفس العام ، كتب « ماكس برود » فى يومياته : « ان كافكا فى حالة من النشوة ، قائما يكتب طوال الليل ••• » وأيضا « ••••• ان كافكا تنتابه حالة غريبة من النشوة » • وتتضمن هذه النشوة شيئا أكثر من الاعلاء وشعور الحرية الذى يمر به الكاتب عادة حين يتقدم فى عمله الفنى تقدما محسوسا • ويستبين من الطبيعة الاكراهية لقصتى الحكم والمسخ ومن تعليقات كافكا عليهما فى يومياته أن هاتين القصتين كانتا الفأس الذى حطم بحر الثلج بداخل نفسه ، أو بمعنى آخر ، ان عملية خلقهما تضمنت النفاذ الى طبقات من مادة مكبوتة لم يكن فى الامكان ادراكها قبل هذا الوقت • ويبدو كما لو أن المعاناة العصابية فى كافكا والفنان فيه تعاونا واتفقا فى رواياته التى تتميز بالحركة النفسية فى سبيل الحفاظ على الحياة الثمينة • ويمكن للمرء فى دقة أن يقول عن مثل هذه الأشياء مع « ييتس » أنه كلما كان الخلق لا شعوريا كلما كان أكثر قوة •

وتقوم رواية أمريكا ، التى بدأ كافكا فى كتابتها فى تلك الفترة ، على مبعدة من أعماله الأخرى ، فهى تفتقد ذلك العنصر غير الطبيعى ، وليس فيها ذلك الاستدعاء للقوى الخفية أو أى تصوير ملغز للعالم المعروف المألوف ، وهو الأسلوب الذى اتبعه كافكا بعد ذلك من أجل تطعيم رواياته بعنصرى اللامعقول والابهام • وهى الرواية

الوحيدة من بين أعمال كافكا التى أطلق الفنان فيها العنان لنزعته نحو كتابة الملهاة. ورغم ذلك فانه لم يقصد من وراء كتابتها عرض نقائص معينة بل تصوير الموقف الانسانى المتميز . وقد كتب كافكا فى دفتر ملاحظاته : « لو أن حوادث الملهاة نظمت تنظيما متناسقا لتحولت الى حقيقة واقعية » .

ويمكن لهذه العبارة أن تكون شعارا للرواية البيكاريسكية أمريكا » . وهى تحكى مغامرات صبى فى السادسة عشرة من عمره ـ كارل روسمان ـ من أهالى براغ ، فى مدن الولايات المتحدة التى طغت عليها الآلية . ولم يكن كافكا قد رأى الولايات المتحدة قط عند كتابته لهذه الرواية ، بل انه كون صورة محددة عنها فى ذهنه وحسب .

وكان كافكا يميل بحكم نوبات الضياع والفشل التى انتابته الى الاطلاع فى دهشة واعجاب زائد على كل أمثلة الارادة البناءة ، على قدرة الانسان على اكتشاف مهنته الحقيقية ، على امكانه تحقيق التكامل مع مجتمعه ، هذا المجتمع الذى كان يربط كافكا بأعظم القيم والذى اعتقد انه يكمن بعيدا عن متناول يده . ويمكن مطابقة الأسى الذى كان يغمره بصفة دائمة بالذى شعر به بطل قصة هوثورن « مكتب المخابرات » الذى لم يكن يكف عن الصياح قائلا : « أريد مكانى ، مكانى الشخصى . مجالى المناسب ، أريد عملى الذى خلقتنى الطبيعة لأؤديه حينما شكلتنى على هذا النحو والذى بحثت عنه طوال حياتى عبثا ! » ولهذا السبب كان « بنيامين فرانكلين » من بين الشخصيات التاريخية المحببة عند كافكا ، وهو الذى نجح فى كل ما تولى من الأمور ؟ كما أن كتاب « السيرة الذاتية » لفرانكلين واحد من مصادر رواية « أمريكا » ومع ذلك فلا يظن أحد أن كافكا قد فتن بفكرة ريتشارد المسكين عن نفسه أو بفلسفته العامة ، ولكنه اهتم من نموذج الطبيعة الأمريكية هذا بعنصر القدر الذى لا يمكن تفسيره ، ذلك العنصر الذى ظهر على شكل ايجابى فى هذا العمل . وأغلب الظن أنه قرأ توصيات « ريتشارد المسكين » التى بحث فيها على اتباع الفضيلة ، وقائمة الأمثال التى أعدها عن سكينة النفس والاعتدال فى النفقة والاعتدال فى الطباع ، والاعتدال فى كل شىء ، وما شابه ذلك من الموضوعات كما يقرأ المرء سفرا عن الاستراتيجية . قرا كافكا هذه الأعمال ، وفسر هذه الأقوال الحكيمة الكئيبة على أنها خطوات فى تلك اللعبة المتشابكة التى يسعى فيها المرء لنيل الحظوة عند القوى المجهولة التى تسود قوانينها كل شىء رغم أن مرماها ومعناها غير معروفين ولا يمكن معرفتهما .

وكان ما جذب كافكا نحو فرانكلين ذلك المظهر الذى يجعله شبيها بأوليس وقد تصور أن أمريكا لدى فرانكلين مثل البحر الأبيض لدى البطل الأسطورى. وكان يعتقد أن الأمريكيين لم يرسموا الابتسامة على شفاههم الا عن طريق الحماية التى كفلها لهم أبعاد العالم الجديد .

ويتسم بطل « أمريكا » (كارل روسمان) بالبراءة حقا ، وهو فى هذا المجال يختلف اختلافا جوهريا عن «ك» . بطل روايتى « المحاكمة » و « القلعة » ، ... ك.

يتناول مشكلة الاثم بطريقة تشريعية فى معظمها متأثرا فى ذلك بالمسيح أعنى . ويحاول الانتقام من الكوارث التى نزلت به ، ويجاهد فى سبيل اطلاقه سراحه باثبات براءته من ارتكاب أى جرم عن طريق اجراءات منطقية · أما كارل فانه يعانى من الاضطهاد دون أن يفكر فى الانتقام أو يعكف عن التفكير طويلا فى الاساءات التى ارتكبت فى حقه ، ولم يفه بكلمة احتجاج حين طرده عمه الثرى بعناد من منزله دون أى سبب على الاطلاق ، بل بدأ يلائم نفسه فى هدوء مع الموقف الجديد · وهو ليس بشخصية ذاتية ، بل أن طاقته من ذلك النوع الحنون الذى ينساب فى أضيق المسالك فى وداعه ولطف ·

ويصيب كارل شيئا من سخرية كافكا ، فقد وقع فى أحابيل سلسلة من الحوادث والأخطاء وسوء الفهم دقيقة فى ظروفها سحرية فى تتابعها · وأحاط حسن الحظ بخطواته الأولى فى أمريكا ، تلك البلد الذى لم يجرؤ على التمعن فى آليتها البيروقراطية الهائلة المحيرة عن قرب · غير أنه لم تمض سوى شهور قليلة حتى دهمته الكوارث فجأة واضطرته الى البحث عن عمل فى رفقة اثنين من اللصوص العاطلين : « ديلامارش » و « روبنسون » · وبعد محاولات عدة ، بشىء صداقة مع امرأة لها روح أثينا الهة الصيد فى صورة مديرة أحد الفنادق · ولكنه يفقد منزلته تلك أيضا حين يبعده رفيقاه اللصان عن عمله ليرغماه بعد ذلك على الالتحاق بخدمة « برونيلدا » ، وهى امرأة تشبه الساحرة « كيرلى » فى الجو الذى تعيش فيه . وقد دفعت اللصين الى شهوانية قذرة (وانى أعتقد أن الفصل السابع « الملاذ » الذى يصف المطاردة المضحكة بين كارل ورجل البوليس ، وملاقاته « برونيلدا » الفريدة ، والاستعراض الانتخابى ، وحديثه مع الطالب الذى يتغذى على مشروب القهوة ، لهو عندى من أحسن ما كتب فى الروايات الحديثة) · وفى النهاية يفر كارل من معقل برونيلدا ليجد عملا فى مسرح أوكلاهوما الطبيعى ، وهو أحد المشروعات الكريمة الخيالية يفتح للعاطلين الباب الى جنباته الرحبة حيث يحصلون على عمل ويتم التوفيق بينهم وبين المقاصد الخفية للقوى التى تحكم حياة الانسان ·

ولم يحاول كافكا أن يقدم فكرة حقيقية عن امريكا ، تفاصيله عنها لا تطابق الحقيقة بالمرة ، غير ان الصورة فى مجموعها تكون حقيقة رمزية غريبة · واذا كانت هذه الرواية من وجهتها الواقعة مجرد محاكاة ساخرة لحياة « ريتشارد المسكين » (أى لحياة الأمريكيين عموما) فهى من وجهتها الأدبية تستمد شيئا من أدب ديكنز · « فدافيد كوبرفيلد » الولد الطيب الذى يستخدم ذكاءه فى أوقات المحن والتجارب للاستفادة الى أقصى حد مستطاع من الفضيلة التى يتحلى بها ماهو الا طراز لكارل بطل « أمريكا » . ولكن تقليد رواية ديكنز لهذه الطريقة يعتبر تناولا هزليا لها وهو شبيه باستخدام جويس للملحمة هوميروس فى روايته « يوليسيس » ·

وان المرء ليعتقد فى رواية « أمريكا » ذلك المضمون العميق الذى يميز أعمال كافكا الاخرى · ومن الواضح أن خياله لم يدعم تلك المجهودات التى بذلت فى القصة للسير بحياة أحد الشبان الى نهاية سعيدة ، بل كان خياله أقرب الى القلاع والمحاكم المخيفة حيث يطوف ك . بحثا عن العدالة حتى يكتشف فى النهاية أن العدالة بقدر

ماهي حتمية فانها ليست بذات معنى • فرواية « أمريكا » اذن تندرج تحت ما يمكن أن نطلق عليه الجانب النفسي لفن كافكا • وتبدأ حركة هذا الفن من علم النفس الى علم الأساطير التجريبي (من الملاءمة الفورية بين حالات شخصية داخلية الى عرض هذه الحالات على العالم الخارجي) وهكذا فان الأساس الصحيح الذي تقوم عليه أعماله يتجسم في البداية ، كما يحدث في « الحكم » و « المسخ » ، في شخصية أب « حقيقي » ، أب يمكن بسهولة مطابقته بفكرة فرويد عن « الرومانسية العائلية » بينما لم يعد في الروايات التالية الأكثر طولا للأب شخصية يمكن التعرف عليها في الحياة المألوفة ، فقد تم اقصاؤه عن مجال الأسرة ، وأصبح فكرة عامة : كقوة من القوى الرسمية ، مقدسا ، قصيا ، خفيا ، مثل القانون أو المحكمة أو مثل طبقات الموظفين الذين يقطنون القلعة •

وفيما يختص بهذا الخط من التطور ، يمكن اعتبار قصة مستعمرة العقاب قصة انتقالية • وقد كتبها كافكا في نوفمبر ١٩١٤ حين بدأ العمل فعلا في رواية « المحاكمة » • وتتضح الاشارات الدينية في هذه القصة أكثر مما سبقها من القصص ربما لانها تبين تأثير كيركجارد ، الذي اكتشفه كافكا لأول مرة في عام ١٩١٣ • ويستبين القارىء من شخصية القائد العجوز الذي تنبعث ذكراه المخيفة في قصة مستعمرة العقاب بعض السمات الفردية التي يتصف بها الأب « الحقيقي » ، وفي نفس الوقت تتخذ هذه الشخصية الشكل الأسطوري الملغز الذي يتخذه رمز السلطة في روايات كافكا التالية •

وعلى المدى الطويل ، لم تفلح محاولات كافكا السابقة من سبر غور حياته النفسية في أن تنقذه من مخاوفه التي دمرت أعصابه ولا من شعوره بالاحتقار الذاتي• وتداوم على شجاره مع نفسه ، وعلى خطته التي وضعها لعقاب هذه النفس ، بل انه فكر في الانتحار : « لقد حمل بلزاك ، عصا مكتوب عليها هذا الشعار « انني أحطم أي عقبة » ولكن شعاري هو « كل عقبة تحطمني » ، وقد أثر تذبذبه المستمر بين الكتابة وبين عمله على صحته كثيرا ، فعاني من نوبات الصداع والأرق ، حتى هاجمه أخيرا مرض السل واضطره الى قضاء عدة سنوات في المصحات • وقد اعتبر كافكا مرضه حتمية نفسية : « لقد تآمرت نفسي مع رئتي من وراء ظهري • » ولم يتحقق من حاجته الى الاستقلال بحياته الا في عام ١٩٢٣ حين قابل « دورا ديامانت » ــ وهي فتاة نشأت في عائلة محافظة في بولندا ــ ووجد نفسه في حالة طيبة تسمح له بالانتقال معها الى برلين • غير أن الوقت كان قد فات لتعويض ما فقده من سنوات المرض والشقاء • وفي يونيو ١٩٢٤ مات كافكا في احدى المستشفيات بالقرب من فيينا من داء الحنجرة ، وكان عمره واحد وأربعون عاما •

ولم ينشر كافكا ابان حياته سوى بعض أعماله القصيرة كما أنه لم يكمل أيا من رواياته الثلاث الى نهايتها •

وقد كتب قبل وفاته الى « ماكس برود » طالبا منه احراق جميع المخطوطات التي خلفها وراءه • ولحسن الحظ أخذ هذا الصديق على عاتقه مسئولية اغفال هذه الوصية الأخيرة اليائسة •

قصة

هارب

بقلم : السيد عبد الرؤوف



عندما غادر شندى قريته فى أقصى الصعيد لم يكن فى نيته أن يعود .. كان آخر من بقى من العائلة بعد أن راح رجالها واحدا وراء الآخر فى عمليات الثأر المتبادلة بين عائلته وعائلة الابراشى أكبر عائلات القرية .. كان قد حصل على قدر من التعليم ومنعه أهله من الذهاب الى المدرسة خوفا عليه من القتل .. وعاش فى القرية يشهد مصرع أخوته واحدا وراء الآخر .. وفى كل مرة كان يشعر أن دوره يقترب .. ففى مقابل كل واحد من أخوته كان يقتل من العائلة الأخرى رجل .. وعندما بقى هو كانت عائلة الابراشى ما تزال مدينة لهم برجل .. وقتل هو هذا الرجل .. كمن له بين أعواد القصب وانتظر .. وطال انتظاره له ساعات .. وفى نصف الظلام سدد بندقيته ودوت فى الأفق أصوات رصاص .. وانتهى كل شىء .. كان أعد عدته لمغادرة القرية الى الأبد .. لم يكن مقتنعا بما يفعل .. ولكن هذه الأشياء لا تمارس باقتناع .. انها تمارس تلقائيا .. تماما كما يحرك الانسان يده يدفع بها ذبابة عن عينه .. وهناك لا يعتبرون القتل عيبا وكذلك الموت .. وهو كذلك لم يكن يعتبر الموت عيبا ومع ذلك كان يخاف منه .. وعندما انطلقت الرصاصات من بندقيته شعر بأن كل شىء قد انتهى .. كان يشعر بأنه يجب الا يموت .. يجب أن يعيش وأن ينجب .. لابد أن يذهب الى مكان بعيد ..

[illegible]
خوفا من الموت .. ولكن موته يعنى موت العائلة .. لم يعد هناك رجال يحملون اسمها الا هو .. ولا بد أن يعيش ويترك أولادا يذكرهم بالقصة الخالدة ويعلمهم ويعدهم للانتقام ..

وغادر القرية وفى ذهنه صورة غامضة عن مستقبله .. لم تكن فى ذهنه أى فكره عن المكان الذى يجب ان يذهب اليه .. يجب فقط ان يهرب .. ويهرب بسرعة .. والى اى مكان بعيد .. بعيد بالقدر الذى لا يستطيع معه أحد من عائلة الابراشى أن يصل اليه فيه ..وقد يرجع .. ولكن ليس قبل ان يكون قد اعد عدته لانتقام كبير يغطى كل خسائر العائلة .. وبعدها لا يهم أن يموت .. وسافر .. ركب القطار المتجه الى القاهرة وقرر أن يقيم هناك .. فى القاهرة بعض أفراد العائلة انقطعت صلتهم بها منذ زمن بعيد .. ولكنهم قطعا سوف يمنحونه حمايتهم حتى يستطيع الحصول على عمل .. لقد كان يعيش فى قريته سيدا عزيزا .. وقد يعمل الآن خادما أو بوابا أو عامل بناء ولكن هذا لايهم مادام سيوفر له الحماية اللازمة بعيدا عن الجحيم .. ولكنه عاد فاستخف فكرة مقابلة هؤلاء الأقارب .. انهم قطعا سيثورون عليه .. انه هارب ويستحق الموت لا الحماية .. وقد يقتلونه بالفعل .. أو على الأقل يسبغون عليه احتقارهم بدلا من الاحترام المطلوب لرجل صفى ديون العائلة مع عائلة الابراشى .. وربما عرف أحد من عائلة الابراشى بمكانه ..

[illegible]
اذن فسيقتلونه .. وبذا يكون كل ماعمله قد ضاع وضاع معه شرف العائلة .. وفكر وهو مستند براسه على زجاج النافذة البارد فى قطار الليل فيما لو كانوا فى القرية قد عرفوا بهربه وتتبعوه .. ولم يملك فى هذه اللحظة ان يمنع نفسه من النظر خلفه فى رعب .. ولكنه استبعد أن يكون أحد قد عرف من أمره شيئا .. انه لم يخبر أحدا .. ولم يره أحد وهو يغادر البيت ومعه البندقية .. انهم حتما سيعرفون .. ولكن ذلك لن يكون قبل الصباح .. وفى الصباح سيكون فى حيث لا يعرف أحد .. وشعر بارتياح غريب عندما فكر فى انه قد أفلت بجلده من موطن الجحيم .. وتحسس بيده جيبه .. المحفظة فيها جنيهات كثيرة تكفى لأن يفتح محلا للبقالة .. ولكنه لا يريد هذا .. لا يريد أن يستقر فى مكان واحد .. واذا كان لابد من الاستقرار فلا يمكن ان يكون هذا قبل وقت طويل .. قد يستقر من الآن فى مكان واحد سواء بعد أو قرب ثم تصل أخباره الى القرية وهنا لابد أنه سيلقى نفس المصير التعس الذى كان سيلقاه لو انه بقى هناك .. انهم لن يسكتوا عنه .. سيظلوا يتتبعون أخباره حتى يعثروا عليه .. ولذلك لابد من تضليلهم .. لابدمن الترحال .. وفكر فيما يجب ان يفعله .. ان أهل قريته معظمهم فقراء وكثيرون منهم يهجرون القرية بسبب الشظف الذى يعيشون فيه .. وكثيرون منهم يعملون فى التراحيل التى لا تكف عن التنقل من مكان الى مكان .. فكرة .. ولكن ..

ماذا لو تقابل مع واحد من هؤلاء ؟.. انه ليس فقيرا بالدرجة التى تدفعه الى العمل فى التراحيل .. سيكون اذن هناك كلام ولن يمكنه الهرب من مصيره التعس .. ولكن فكرة اخرى .. فكرة جميلة طرأت عليه .. ولعن غباءه لأنه لم يفكر فيها منذ البداية .. يمكنه أن يبيع قماشا .. انه يسمع عن كثيرين فعلوا ذلك ونجحوا وعاشوا بعيدا عن الفقر .. أثواب قليلة من القماش توضع فى لفة كبيرة .. وعصا .. ويحملها على كتفه ويتنقل .. وسوف يجد قلوبا تتسع له .. انه غريب .. وهناك أناس كثيرون يشعرون بالحنان نحو الغرباء .. ربما لخوفهم من أن يصبحوا هم أنفسهم غرباء .. وربما لأن لهم أولادا بعيدين عنهم .. بل انه هو نفسه رغم أنه لم يسبق له أن ترك بلدته .. ورغم أنه ليس له عزيز يعيش بعيدا عنه الا أنه يشعر بالميل للعطف على الغرباء .. وحتى لو لم يجد عطفا من أحد .. فانه بحاجة للعطف .. ان الناس مهما بلغت قسوتهم لن يكونوا فى مثل قسوة القدر الذى شاء له أن يعيش عشرين عاما وأكثر فى خوف دائم من الموت .. والموت بلا سبب معقول أو حتى غير معقول .. والذى شاء له الآن ان يتشرد بعيدا عن القرية التى لم يعرف شيئا وراء حدودها الا فيما قرأه من كتب أيام كان فى المدرسة .. لقد كان هذا القدر قاسيا فى حكمه .. ذلك الحكم الذى بدأت قصته بأعواد قصب اقتلعها أحد أجداده بدون قصد من حقل رجل من عائلة الابراشى .. هذا القدر قاس والناس لا يمكن أن يكونوا فى مثل قسوته .. وهو حتى لا يريد حنانا انه يريد حماية .. وهذه الحماية لا يطلبها من الناس .. انه سوف يجدها فى التنقل .. ومشكلة السكن والاستقرار .. انه يمكن أن يبيت فى أى مسجد .. يمكنه أن يستأجر بيتا أو حجرة لمدة قصيرة ثم يغادرها .. حتى لو اضطر لاقامة خيمة ينام فيها .. ان هذا الترحال هو فترة مؤقتة لابد بعدها من الاستقرار .. بعد أن تكون القصة قد غطى عليها الزمن .. بعد أن يكون الناس قد نسوا الى حد ما .. ولكن من سينسى! انهم هناك لو نسوا كل شىء فلا أن يمكن أن ينسوا هذه القصة .. قصة الهارب .. الجبان ..

وضاق صدره .. ضاق وانقبض .. وشعر كأنه ينسحق .. شعر كأنه وضع بين تروس ساقية يشدها ثور قوى .. وبيد مرتعشة حاول أن يلف سيجارة .. ولكن الورقة تمزقت فى يده وتساقط منها التبغ فوق جلبابه الأسود .. وتذكر أن فى جيبه علبة سجائر فأخرجها وأشعل سيجارة .. لم يشعر لها بطعم .. شعر بجفاف فى حلقه .. وتلمس كوب ماء .. ولكن لا أحد هناك .. العربة خاوية .. ليس فيها أحد على الاطلاق .. النور فيها ضعيف باهت يزيد من شعوره بانقباض .. وحاول أن يتشاغل بالنظر من النافذة .. ولكن الظلام يلف كل شىء .. وفى البعيد .. فى البعيد كان ضوء خافت .. وحاول أن يشغل نفسه بالنظر الى الضوء وهو يبتعد ويطويه الظلام .. وسمع صوتا يقول له أيها

يهارب .. أيها الجبان .. والتفت خلفه فى ذعر .. ولم يجد أحدا .. وندم على أنه ترك البندقية .. لو أنه حملها معه اذن لضمن لنفسه الحماية على الاقل حتى يصل الى القاهرة . فالليل صامت ورهيب .. وضجيج القطار يلهب رأسه .. البرودة التى تقتحم العربة من بعض النوافذ لا يشعر بها .. لايشعر بشىء .. رأسه تدور وتدور وجسمه يغلى والعرق يكتسح جبينه ليغرق وجهه .. والصق وجهه بالنافذة ونظر فى الظلام البعيد .. قرية هناك ترقد فى قلب الرمال .. ومنها تأتى أضواء خافتة .. شبه ميتة .. ودارت الأضواء ودارت .. وكأنها مشاعل فى حلقة نارية فى مشهد بالسيرك ..وظلت تدور وتدور..ومعها ينقبض أنفه ويتسع .. وكفت الأضواء عن الدوران وتركزت .. تركزت وقل عددها وأصبحت عينين اثنتين .. لم يستطع أن يتبين ملامح الوجه .. ولكن العينين تحدقان فيه .. وبدات صورة الوجه تكتمل .. انه لا يعرف صاحب الوجه .. لا لا لا .. انه الآن يعرفه .. رشوان ..الشقيق الأصفر للرجل الذى قتله اليوم .. وقالت العينان دورك الآن .. وصفع النافذة بيده .. ولكن زجاجها لم يتحطم وتمنى لو كان صفعها برأسه حتى تتحطم وتتحطم رأسه معها .. وكف عن النظر من النافذة ووضع رأسه بين يديه .. ودارت رأسه من جديد .. وشعر وكأنه مريض بالتيفوس .. حلقه جاف .. وكل الأشياء فقدت معناها عنده .. الكرامة .. العائلة .. الاسم .. الشرف .. لاشىء يبقى فى ذهنه الا انه جبان .. هارب .. متخاذل .. لابد أن يعود ويواجه مصيره .. لابد أن يعود .. ولكن كيف يعود الان .. انه يقترب من الخلاص .. مئات الأميال قطعها بعيدا عن الجحيم فكيف يعود ..؟ بل لابد أن يعود .. لا يهم أن يموت .. المهم أن يبقى للعائلة شرفها .. عندما يموت سيعرف أقرباؤه فى القاهرة .. لقد انقطعت صلتهم بالعائلة والقرية منذ زمن بعيد .. ولكنهم سوف يمارسون الشىء التلقائى الذى مارسه هو .. اذن سيعود .. سيعود .. وتحرك نحو الباب .. ولكنه تذكر أن القطار يسير .. فعاد الى مكانه ..

وفى الصباح كان القطار يقف فى احدى المحطات .. ونزل بسرعة .. كان هناك قطار آخر ذاهب الى الصعيد .. انتقل الى الرصيف الآخر وكان القطار يتحرك .. وبسرعة قطع تذكرة .. وجرى نحو القطار .. وكان القطار يسير .. وأمسك بمقبض الباب .. وظل يجرى مع القطار .. ولكن شيئا ما كان يجذبه الى الخلف .. صوت ما كان يحذره : لا تعود .. وصوت آخر كان يصرخ فيه : لابد أن تعود .. وفجأة شعر بشىء يجذبه الى الأرض .. وحاول أن يقاوم .. ولم يستطع .. وسقط .. سقط فى الهوه بين الرصيف والقطار .. وسمع الناس فى المحطة صرخة ألم .. وعندما غادر القطار المحطة كانت على الشريط أشلاء رجل وحولها بركة من الدماء ...

حارس عناقيد الحصرم

بقلم : عزمى لبيب

مع كل غروب ٠٠

تتجمع العصافير فى حديقة منزلنا ٠ وتنتقل فوق اغصان الاشجار بحركات رشيقة قلقة ٠٠ وتظل تغرد بزقزقتها الشجية الى أن ياتى المساء فتهدأ تماما ٠

وتتميز حديقتنا الممتدة حتى مجرى النهر ، بزهورها النادرة وثمار المانجو وعناقيد العنب ٠ وهناك الكرمة الكبيرة تظلل الطريق المحاذى لمجرى النهر ٠

وما يكاد جدى ينتهى من طعام الافطار حتى يهرع الى الكرمة ٠٠ كان يفضل الجلوس فى ظلها ٠٠ ينظر الى العناقيد ويكاد يحصيها ٠٠ وعلى البعد يتحرك عم يوسف الجناينى على ساقيه وقد انحنى ظهره فوق حوض النباتات الغالية ! ويرفع النباتات من داخل الاصص ويغرسها بعناية فى باطن الارض المبللة بالماء ، ثم يجمع حولها التراب بكلتا يديه ٠٠ كان يشتغل حافى القدمين ! وقد لف خاصرته بحبل من الليف المجدول ٠ ورفع جلبابه الى مافوق ركبتيه ٠ كانت قدماه عريضتين بهما اخاديد مشققة عميقة ! تبرز منهما اصابع يابسة منحرفة ! كان العرق ينحدر فى خيوط خلف أذنيه ، ومن جبينه على وجهه ثم ذقنه ٠ وعندما صعدت ريح نشطه من الشمال ، استدار عم يوسف كى يلتقط نفسا عميقا يلتمس به شيئا من الراحة ٠٠ فينفجر جدى ساخطا يلعن ٠٠ ويوجه له الشتائم بصوت مرتفع ٠ لابد أن شتم الذين يعملون عندنا ، و «القنزحة» على الناس ترضى نزعة التعالى عند جدى ٠ ولقد اتسم سلوك جدى ـ ولا سيما فى المدة الاخيرة ـ بشبكه المطلق وحدة الطبع ٠ مقتنعا أن سلوكه هذا يكسبه مزيدا من الاحترام ٠ وبين الحين والآخر يرفع عم يوسف ـ فى صمت ـ عينين ذليلتين وينظر الى السماء ٠

كان جدى يفضل الحديقة على كل شئ ٠٠ لم يكن يعطى من نشاطه واهتمامه الا للحديقة ولاختى « نانى » التى لم تجاوز الثامنة من عمرها ٠ وعلى أثر صياح جدى المتتابع مع عم يوسف أخذت « نانى » تجرى ـ فى شقاوة ـ فوق الممرات الرملية وتقفز فوق أحواض النباتات متجهة ناحية الكرمة ، دون أن تكترث الى النباتات الغالية التى أفسدتها بقدميها اللينة من غير قصد ! وينظر اليها جدى بغضب ويصيح مزمجرا ٠

ـ ياشيطانه ! عليك اللعنة ! قلت لك الف مرة احذرى ! انا استوردت البذور من فرنسا وايطاليا ٠

وتغضب « نانى » وتخفى وجهها بيديها الصغيرتين ٠ وتنطوى فى صمت على نفسها ٠٠ بينما يحاول جدى استعطافها ويربت على ظهرها ٠٠ ويردد بصوت تغلب عليه العظمة ٠

ـ لقد نبهتك أكثر من مرة يانانى ٠

ثم يضمها الى صدره ٠

وفجاة ! تقفز نانى فوق فخذيه وتقف عليهما بقدميها الطريتين وتمسك اذنه وتشد الشعرات البيض ٠ فيرفعها الى أعلى كى تقطف العنقود الذى يروق لها ٠

بعد أن تضع يديها داخل جورب من القطن ٠

وفى شقاوة ، تجرى « نانى » من جانبه فينفرط منها العنقود ٠٠ ومرة أخرى تقفز فوق أحواض النباتات ٠٠ ويلاحقها صوت جدى بنبرات حادة ٠ وتختفى عن وجهه تماما ٠

وبقدر ماكان جدى يحب زهوره وثماره ٠٠ كان لا يستطيع أن يحتمل بعد « نانى » عنه ! ربما لانها الطفلة الوحيدة فى المنزل ٠ وربما يرى فيها صورة من صور طفولته ٠ ويظل يجوس داخل الحديقة وينظر خلف الاشجار ٠٠ وعندما يبلغ به التعب ٠٠ يقف فوق رأس عم يوسف ! وهو مافتىء يجمع الاصص الفارغة ويضع بعضها داخل بعض ٠ ويسأله قائلا :

ـ اين ثمار المانجو التى تسقط من الشجر ٠٠ اننى ارى معالمها فوق الحشائش ولا أجدها ٠

ويرفع عم يوسف عينين كسيرتين ويلوذ بالصمت ٠

ـ تكلم ياعجوز اين تذهب الثمار ؟

كنت فى ذاك الوقت ، أوشك أن انتهى من امتحان « بكالوريوس » الطب لذلك لم أكن أعطى من انتباهى لما يقع فى الحديقة بل كانت تتساقط على الاحداث تلقائيا ٠٠ من ثورة جدى العارمة ، التى كان صداها ينتقل الى داخل المنزل ٠ ومن حركات نانى القلقة وأسئلتها الحائرة ٠٠ هل جدى جاء هنا !؟ هل جدى كان هنا !؟ ثم تتوثب كى تختفى من جديد ! ويمتد بحث جدى الى داخل المنزل ويظل يلف ويدور داخل الحجرات ٠٠ ويسأل عنها أمها ٠

فى هذه اللحظات ! كان يظهر عناد «نانى» وشقاوتها أيضا ٠ كانت تحمل الزهريات ، التى وضع جدى بداخلها زهوره النادرة ، وتضعها على التوالى فى حجرة نومه ، فيعرف أنها كانت هنا ! ويعود من جديد يفتش المنزل ويلف ويدور داخل الحجرات ٠٠ ويتعذب وتتهدج أنفاسه ٠ !

وبعد قليل من الوقت ، دفعت «نانى» باب حجرتى ودخلت وهى تجر ساقين متخاذلتين ٠٠ وتمسحت بالمكتب وقد ظهر الضيق على وجهها المستدير ٠ وطواها تفكير طويل ! ثم همست بصوت مخنوق ٠

ـ جدى طرد الجناينى ٠٠ عجيبة والله ٠ ثم تستطرد مبهورة ٠

ـ ضبط مع ابنه عنقود حصرم ! عنقود حصرم يقطع رزق الراجل ٠٠ جدى أصبح لا يحتمل ٠٠

ونظرت الى «نانى» طويلا ! وقد تعلقت باهداب عينيها حبتان من اللؤلؤ ٠ ومست لهجتها الودودة نفسى ! وجثم على جو الحجرة سكون ثقيل ٠٠ وبعد فترة صمت رانت بيننا قلت بهدوء ٠

ـ تصرفى ٠٠ تصرفى أنت ٠٠ أنا مشغول ٠٠ عندى امتحان ٠٠

ولم أستطع أن أقف بجانب «نانى» أو ـ حتى على الاقل ـ أسند رغباتها !

كان سلوك جدى العدائى للجميع ، يقف حائلا بيننا جميعا ٠٠ كان جدى شديد التعلق بالتنقيب عن الاخطاء ٠ وكان هذا سببا للهروب من «نانى» ثم ربت على ظهرها بحنان وأغلقت خلفها الباب ٠ وانصرفت للمذاكرة ٠

وقبل الغروب ، شاهدت جدى ـ من شرفة حجرتى ـ يسير بجانب «نانى» فوق ممرات الحديقة فى طريقه الى الكرمة وحلا لى أن أرافقهما ٠ وقد ملأنى احساس بالغبطة وأنا أتتبع حركاتهما وانطلاقهما كان جدى يدفع نانى كى تبعد العصافير عن الكرمة ٠ وتجرى نانى وتقفز وتلهث ٠ وضفيرة شعرها الطويلة ـ ذات الشريط الابيض ـ تتراقص خلف ظهرها ٠ وجدى يلاحقها وعيناه معلقتان الى أعلى ٠٠

وزحفت الى ذهنى واقعة عم يوسف الجناينى وابنه ! وسألت نفسى بصوت سمعته أذناى · هل نجحت «نانى» فى اعادة الجناينى !؟ واجتاحنى احساس بالشك !! وتذكرت حادثة الخادمة الصغيرة التى طردها جدى منذ أسبوعين بحجة أنها لم تعد تقدم لنانى الاحترام الكافى ·· وأن الخادمة نسيت خلال حياتها معنا ، أن «نانى» من فتيات الأسر الاستقراطية ·· كما كان الناس يقولون فى الماضى ·

فقد نزع جدى القرط الذهبى بعنف من أذن الخادمة ، التى لم تبلغ العاشرة من عمرها · ثم فتح الباب ودفع بها الى الشارع بقميصها المهلهل القديم ·· وبذلت «نانى» قصارى جهدها كى تستأنف الخادمة العمل ·· عندئذ ! وقفت بجانب «نانى» ، وأوضحت لجدى أن الخادمة تحمل لنانى حافظة الكتب ·· وتضفر لها شعرها ·· وتلعب معها ·· وأن سلوك الخادمة لايشوبه الغبار ، لمثل سنها ·· ولكن محاولتنا منيت بالفشل · وأصر جدى على موقفه !! منذ ذلك الحين ، باتت تصرفاتى معه جامدة ·· خالية من اى عاطفة ، وأصبحنا لا نتكلم معا الا بدافع الضرورة ··

وأخذت أملأ رئتى بنسائم العصر الطرية · وبعطر زهور حديقتنا الفواح · وقد هبت ريح باردة من النهر ·· وعلى البعد سحابة قاتمة تنقشع رويدا رويدا عن سماء زجاجية زرقاء ·· كانت الريح تدفع براعم النباتات فى دوامات من الهواء ·· ونهر النيل ينساب متمهلا فى ضوء الشمس الذهبى ، والطريق المحاذى للكرمة يغرق فى سكون ووحشة · وكانت «نانى» تقترب من السور الحديدى وتنظر الى الطريق والى مجرى النهر ·· كأنما تنتظر شيئا !! ربما كانت تأمل أن تلمح خادمتها الخاصة التى حرمت منها ، أو ترى عم يوسف الجناينى وهو يعبر الطريق خلف السور ·· ومرة بعد مرة يرتفع صوت جدى مؤكدا أن بنات العائلات العريقة لا يتصرفن هكذا ·· ويأمرها أن تبتعد عن السور ··

ومع الغروب ، أخذ أولاد الاحياء المجاورة يتوافدون على الطريق المحاذى للكرمة ·· كان يحلو لهم اللعب فى ظل الكرمة ·· كانوا يجرون ويلعبون فى تشكيلات غير منتظمة وفى مرح وعيونهم غير مستقرة ·· ينظرون دائما الى داخل الحديقة ·· وعندما كانوا يلمحون جدى بجسمه المترهل وهو يتربص خلف السور ، ينصرفون الى الفناء ويبتعدون·

وبين الحين والآخر كنت أسمع ـ وأنا واقف فى الشرفة ـ صدى طلقات بندقية الصيد ·· فتخرس أصوات العصافير وتذوب الزقزقة الأخيرة مع صدى الطلقات · ويهبط السكون فجأة ! ولسبب أو لآخر !! يضيق صدر جدى ويمتلىء بالحقد والغضب · ويجرى بطول الكرمة كى يرهب الأولاد ! وكثيرا ماكانت تتكرر ـ أثناء لهوهم ولعبهم ـ هذه المداعبات أو المشاغبات ·· لست أدرى بماذا اسميها ! ·· لكن فى هذه المرة ـ رغم اختلاف مداركهم وأعمارهم ـ اتفقوا جميعا على أن جدى يقف ضد مرحهم ولعبهم ·· فتصدوا له ·· وللاسف تصور جدى أنهم يتحدونه ·· فامسك خرطوم المياه وأخذ يصوبه نحو الطريق ونحو الأولاد ! فبلل ملابسهم وتعالى صياحهم ·· وتكرهب الجو فجأة! وكأنما شحن بطاقة من السخط !! ولا سيما عندما سقط أحدهم فى الوحل ·· فاتسخت ملابسه وسال الدم من أنفه · ومن جديد صعدت أصوات متشنجة صاخبة · ولم تكن « نانى » ولا الاولاد ينتظرون أن يحدث كل هذا !

ويصيح جدى بصوت مرتفع جدا :

ـ لا تقتربى منهم ياناني ٠٠ سأضعهم جميعا فى الملاجىء ٠

وتستجمع نانى شجاعتها وتقترب من السور ٠ ثم تسألهم برقة :

ـ ماذا تريدون !؟

ـ نريد أن نلعب ٠

وتبتسم نانى فى خفر وتهمس قائلة :

ـ جدى يقول أنكم تفسدون الثمار ٠

ـ جدك !؟ جدك المنفوخ ٠

وينفجر الاولاد بالضحك والسخرية ٠ وتظهر علامات عدم الرضى والحرج على وجه نانى ٠٠ ويقترب أحد الاولاد من السور الحديدى ويهمس قائلا :

ـ لماذا لا تلعبين معنا !؟

وفى ارتباك تلتفت « نانى » الى الخلف حيث يقف جدى ثم تهمس قائلة :

ـ جدى يغضب ٠٠ جدى يغضب ٠

ـ من جدك هذا !؟ من جدك هذا !؟

ومرة أخرى تهمس « نانى »

ـ مدحت باشا الشماشرجى ٠

ويسود بينهم صمت ٠ ويغرق المكان فى جو غير متماسك ٠٠ لكنه مفعم بالود ٠ وتنتشر همهمات وأسئلة خرساء ٠٠ يطغى عليها صوت جدى وهو يصيح مزمجرا :

ـ تعالى ياناني ٠ تعالى بسرعة ٠٠ اتركى الامر لى أنا ٠٠ سأدعو البوليس ٠

وفى ثورة الغضب ، يندفع جدى ناحية « نانى » فيصطدم بالخرطوم ـ وهو مازال بين يديه ـ فيختل توازنه ، ويقع على حافة حوض النباتات ويتمدد فوق الحشائش المبللة بالماء ٠

وفى بادىء الامر ٠٠ أفزعنى صوت ارتطام جسم جدى بأرض الحديقة ٠ وبدون أى تفكير قفزت من الشرفة ، وأسرعت الى الكرمة ٠٠ كان جدى يرقد فى سكون تحت الكرمة ! وبطنه مرتفع وقد تهشم زجاج نظارته الذهبية ٠٠ فتسلخ جبينه وظهرت بقع الدم فى أشكال غير منتظمة وسال على وجهه ٠ والاولاد ينظرون اليه مشدوهين للمفاجأة ونانى تقف بجانبه مضطربة ٠ وقد تمدد بجانبه ظله على نحو مخيف ! وكان الهواء اللافح قد اشتدت حرارته وأوشكت الارض أن تكتسى لونا رماديا ٠٠ وبعد أن مسحت وجهه بطرف منديلى أمسكت ذراعه اليمنى وأخذت أجس النبض ٠ وفتحت عينيه ونظرت فيهما ٠ ثم أمرت بنقله بحرص الى حجرته ٠ كان التراب المبلل بالماء والقش عالقا بملابسه ٠ وبعدئذ أعطيته حقنة «كورامين» لتنشيط الدورة الدموية ٠ كان يضع يده فوق قلبه ويئن بصوت خافت ويتنفس ببطء وفى الخارج مافتئت العصافير تضرب بأجنحتها العناقيد المدلاة ٠ وكانت «نانى» تتحرك فى قلق وتدخل الحجرة على أطراف قدميها ! وتطل فى وجهه الشاحب ثم تخرج ببطء ! وعلامات انكسار وأسى تفيض على جوانحها ٠ وحينما كاد يقترب من التحسن شعرت بالاطمئنان عليه ٠ وأسدلت ستائر النافذة وأغلقت عليه الباب وتركته للراحة ٠ ثم طلبت من «نانى» أن تذهب لتنام ٠

ومن جديد انصرفت الى المذاكرة ٠٠ وبين الحين والآخر كنت ألقى نظرة طويلة عبر الشرفة تثبت ـ فى النهاية ـ فوق الكرمة التى اكتظت بالعناقيد ٠

وفى الصباح مات ٠

وبسرعة وبهدوء نقلناه الى مدفن العائلة ٠

ومع ضوء الشمس الغاربة ، رأيت عم يوسف الجناينى وهو يستقبل الاولاد كى يقدموا العزاء لنانى ٠

الطريق

قصة الأستاذ نجيب محفوظ

بقلم : توفيق حنا

الطريق هو رمز الحضارة المصرية كما قال شفنجلر ، ونجيب محفوظ ـ عن همس الجنون حتى « الطريق » يسير فى طريق التعبير عن الشخصية المصرية ومحاولة الكشف عن الملامح والسمات أو القسمات التى تتميز بها النفس المصرية .. ولعل أروع لوحة قدم لنا فيها نجيب محفوظ تفاصيل حياة النفس المصرية فى نصف قرن انتظم ثلاثة أجيال هى لوحة « بين القصرين » .. هذه اللوحة الحائطية الرائعة الشاملة التى نذكر ونحن نشاهدها لوحات رمسيس الثانى فى معبد ابيدوس وفى معبد ابى سمبل .

بطل رواية الطريق ، آخر أعمال نجيب محفوظ هو « صابر » هو مصر كما كانت حميدة فى زقاق المدق هى مصر كذلك .. مصر فى لحظة عابرة من لحظات حياتها لحظة الحرب العالمية الثانية .. بينما صابر فى الطريق هو مصر .. مصر التاريخ .. مصر الروح .. مصر الكينونة الهائمة .. الباحثة عن ذات تتبلور بها وتتجوهر فيها .. مصر الوجود الباحث فى دأب وفى جهد وفى صبر عن ماهية تحققه وتدفعه وتهب له التجدد والشباب والحيوية .. ولعل رواية الطريق أن تكون محاولة نثرية عصرية لحكاية أسطورة ايزيس واوزيريس . ولعل صابر هو حوريس ولعل بسيمة عمران هى الصورة العصرية لايزيس .. ايزيس التى أفسدتها وشوهتها الحضارات المختلفة التى عاشتها ولم تهضمها ، ولعل هذا يفسر لنا لماذا عاشت بسيمة عمران فى الاسكندرية المدينة اليونانية التى كانت جزيرة يونانية وسط الحضارة المصرية الوسيطة .. كما يفسر لنا لماذا دعاها نجيب محفوظ امبراطورة الليل . الليل الذى أراه رمزا لهذه الحضارات التى تعاقبت على مصر منذ أن فقدت شخصيتها واستقلالها .. منذ استيلاء الاسكندر تلميذ أرسطو على مصر .. هذا الليل الذى استمر خمسة وعشرين قرنا ..

ولعل سيد سيد الرحيمى هو اوزيريس .. وهنا يقوم صابر (حوريس) بالبحث عن ابيه وذلك لان الانتماء هو الضريبة التى يدفعها مواطن القرن العشرين

.. اذ ليس امام هذا المواطن الا طريقان .. الانتماء او الانتحار .. ولعل اللامنتمي الذى اختاره كولن ولسون عنوانا لعمله الضخم تعبير عن أقصى درجات الانتماء .. كما أن الخاطىء فى الدين هو أقرب البشر الى الله . وصورة الزفاف تأكيد للمعنى التاريخى العميق الذى أراد نجيب محفوظ أن يلبسه محاولته الجبارة الجديدة « الطريق »

أما كريمة فهى امتداد ضرورى لايزيس (بسيمة عمران) اذ على الانسان أن يعانق الليل بكل كيانه وبكل وجدانه قبل ان يستحق أو يعيش النهار .. والليل هو المرحلة الرومنتيكية الضرورية التى تقطعها الروح فى طريقها الى واقعية النهار والعمل والواقع .

اما الهام فهى الفجر المبرعم فى وسط الليل الحالك ولهذا ارتبطت الهام ـ الفجر المنتظر ـ بالأب .. بالذات .. بالتاريخ .. بالمصير .. اذ ان اوزوريس هو اب لكل ما فى داخلنا من جمال وخير وسلام وكرامة وأمل .

ولعل الصحفى المخضرم هو توت اله الحكمة وهو صحفى ضرير .. ولعل العمى هنا اشارة الى انطلاق نور البصيرة .. وما اصدق ميخائيل نعيمة وهو يردد فى صوفية نقية : اغمض جفونك تبصر ..

يقول نجيب محفوظ وهو يقدم لنا هذا الصحفى المخضرم على لسان الاستاذ محمد الطنطاوى الذى أرسلته الهام للدفاع عن صابر :

« الم تسمع عن الصحفى الذى كان يوقع عموده اليومى بامضـاء الصحفى المخضرم .. طبعا فلقد انقطع عن العمل منذ عشرين عاما ، وهو جارلى بمصر القديمة وكان قديما استاذى بكلية الحقوق ومن افقه من عرفت فى الشريعة »

وقال الصحفى المخضرم وهو يتحدث عن سيد سيد الرحيمى : « سيد سيد الرحيمى ، الوجيه الغنى الجميل ، وقد كان شابا فى الخامسة والعشرين ، أو نحو ذلك منذ ثلاثين عاما »

أما تفسير هواية سيد سيد الرحيمى الوحيدة وهى الحب فهى تشير الى هذه الحضارة التى نشرها أوزيريس ومعها الفن والغناء والزراعة ، بين سكان وادى النيل والتى نشرها بعد ذلك فى العالم كله .. ومع الحضـارة وفر للنـاس ـ كل الناس الحرية والكرامة والسلام والخير .

وبحدثنـا على برهان الصحفى المخضرم عن سـيد سـيد الرحيمى فى هذه الكلمات :

ـ « كان يتزوج كما كان يرافق ، كان يمارس الحب بشتى انواعه ، الجنسى والعذرى ، ولا يعتق ناضجة او مراهقة ، ارملة او متزوجة أو مطلقة ، فقيرة أو غنية حتى الخادمات وجامعات الاعقاب والمتسولات . »

وتحدث على برهان عن مهنة سيد سيد الرحيمى فقال : « كان ومازال مليونيرا ، لا عمل له الا الحب وكلما وقع فى مأزق هاجر من مدينة الى مدينة مواصلا ممارسته لهوايته » .

والذى يؤكد ما اذهب اليه عن هوية سيد سيد الرحيمى انه اهدى الصحفى المخضرم قبل أن يسافر الى الهند .. كتاب « كيف تحتفظ بشبابك مائة عام » .. وهذا يشير الى تعليق المصريين بالخلود جسما وروحا ــ كما أهداه صندوقا فاخرا من الخمر المعتقة والخمر بمعناها الصوفى تطلق الروح من سجن البدن وتجعله يتصل بالسماء . وانا أرى بعد هذا كله ، وارجو ان يصفح لى القارىء الصديق هذا الاندفاع او التطرف فى التفسير والفهم .. ارى ان هذه الرواية عبارة عن حلم كبير ، لعلها أروع الاحلام التى سجلها الادب الانسانى ، ولعلنا لو درسنا الطريق على أساس انه حلم لوجدنا التفسير الكامل لآلاف الرموز ولآلاف المشاكل والاشكالات الفنية ·

يؤكد لى ان هذه الرواية حلم كبير هذا النص الذى جاء على لسان صابر وهو يتحدث الى الاستاذ محمد الطنطاوى المحامى : « الحكاية كلها كالحلم · جئت من الاسكندرية للبحث عن ابى فوقعت أحداث غريبة نسيت فيها مهمتى الاصلية حتى وجدت نفسى أخيرا فى السجن .. » ولعل آخر جملة قالها صابر فى هذا الحلم تؤكد ارتماء الحالم فى احضان النوم وانتهاء الحلم الى الواقع النومى ..

« ليكن ما يكون .. »

ومحمد الطنطاوى هو الأخ الاكبر لاحسان الطنطاوى مدير ادارة الاعلان بجريدة « أبو الهول » وهى الجريدة التى تعمل بها الهام ، وكل قارىء لأدب نجيب محفوظ يعرف ان الاسم يلعب دورا ايجابيا فى الشخصية التى تحمله .. ما الحكمة فى أن تحمل الجريدة التى تعمل بها الهام اسم أبو الهول . وابو الهول هو حلم متجسد ــ راس انسان وجسم أسد ــ منتهى القوة مضافة الى منتهى الحكمة · والحكمة والقوة هما عنصرا الحضارة المصرية التى امتدت بدون انقطاع عشرة آلاف سنة ، فهى أطول الحضارات عمرا واعمقها ، واخصبها .

يبدأ هذا الحلم وصابر يناجى نفسه وهو فى السجن : « فى السجن وحدك ــ لا يزار من ليس له أهل .. والهام تخطر كالحلم وهى تعرف الآن الحقيقة ، شفيت ولا شك من الحب ولعنته .. فى سجن الموت تتحرر من علاقات الحياة كلها فلا تهمك الفضائح انت متحرر من الكبرياء والخجل كما كنت وانت فى الرحم .. »

وهذا البحث الذى قامت به مجلة الربيع مع نخبة من رجال الفكر . تحدث استاذ فى الجامعة عن الزواج غير المتكافىء باعتباره المسئول الاول عن الجريمة وقال كاتب يوميات صحيفة ان المسئول الاول هو الفقر ، هو الذى أغرى زوج كريمة الاول ببيعها الى زوجها الثانى وأن كريمة شهيدة لصراع الطبقات وفوارقها ·· وناقش استاذ بالخدمة الاجتماعية نشأة صابر فى احضان تاجرة أعراض ورواسبها فى نفسه .. وقال استاذ علم نفس ان صابر مصاب بعقدة حب الأم وانه يمكن تفسير اندفاعه الاجرامى بأمرين مهمين فهو أولا وجد فى كريمة بديلا عن أمه فأحبها · وأن شعوره اصر على الانتقام لامه فقتل صاحب الفندق كرمز للسلطة وطمع فى مصادرة امواله كما صادرت الحكومة اموال أمه .. وقال شيخ من رجال الدين ان المسألة فى جوهرها

مسألة ايمان مفقود ، وان صابر لو بذل فى البحث عن الله عشر ما بذله فى البحث عن ابيه لكتب الله له جميع ما طمع اليه عند ابيه فى الدارين .. »

وفى هذا الجزء الاخير سخرية ورفض لكل التفسيرات التى يمكن أن يلجأ اليها النقاد فى تحليل وتفسير هذه الرواية .. ولعل نجيب محفوظ يريد فى وعى وفى مكر ان يدفع النقد الى طريق جديد فيه عمق وفيه جهد وفيه صبر .. يرفض نجيب محفوظ هنا كل التفسيرات النفسية والاجتماعية والدينية وكأنه يشير – مجرد اشارة – الى طريق آخر لفهم رواية الطريق .

هذه الرواية حلم كبير – بدأ فى سجن .. والندم والليل والكبت والحرمان جدران اربعة لكل سجين ولعل نجيب محفوظ أراد ان يساعدنا ان نرى فى طريقه حلما بأن اورد لنا هذا الحلم الرائع الذى عاشه صابر بعد ليلة حمراء مع كريمة .. ليلة حمراء أو بيضاء .. وانا اورد هنا هذا الحلم الرائع الذى عاشه صابر .

واقرر ان كل ما نلمسه فى هذا الحلم انما هو جزء من هذا العالم الحلمى الكبير الذى تعيش فيه الرواية كلها .. فهذا الحلم حلم فى الدرجة الثانية .. اى انه حلم داخل الحلم الكبير وهو مفتاح لهذا الطريق .. وانا اقرر هنا ان الطريق هنا بداية جديدة لمرحلة ثالثة فى أدب نجيب محفوظ من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون ايضا .

كان التاريخ فى روايات المرحلة الاولى . هو الثوب الذى البسه نجيب محفوظ الحاضر البشع الذى كان يعيش فيه فى الاربعينيات .. وهنا يعتبر الحلم هو الطرف الآخر للتاريخ ، هو الثوب الجديد الذى يدفع بالحاضر الى مستقبل افضل وأوضح واعمق ، المستقبل الذى يقوم على الماضى وعلى الحاضر مثل قمة الهرم التى تعتمد على قاعدة تقوم على اساس عميق فى أرض مصر ..

ومن النصوص التى تؤكد أن الطريق حلم كبير ، هذا النص الذى جاء على لسان كريمة وهى تدفع صابر الى قتل زوجها العجوز خليل ابو النجا

« عيبنا اننا عند العجز نحلم »

ثم لا يجب أن ننسى أن التاريخ أو زمن رواية الطريق هو الخريف .. وانالليل يلعب فى الطريق دورا كبيرا خطرا .. دور جسدته كريمة بجسدها ..

عندما نعجز عن ادراك الحرية والكرامة والسلام تندفع فى الليل الى الحلم . هذا النص الذى رددته كريمة يؤكد ان الطريق يقوم على منطق الحلم وعلى ابعاده وعلى هيمانه وانطلاقه بعيدا فى الواقع وفوق الواقع وذلك بهدف تحرير هذا الواقع والسيطرة عليه .. يقول نجيب محفوظ وهو يتحدث عن صابر بعد ان حلم هذا الحلم الذى سوف أورده بنصه بعد قليل : (وتعددت أحلامهلدرجة أثارت انزعاجه وامتعاضه ، ويستيقظ فيلازمه شعور بالتعب والكدر واحيانا يخيل اليه ان الصمت يخنق العالم .. وكثيرا ما يذكره ذلك الصمت بالصمت المصاحب لارتفاع الموجة وتجمعها قبل أن تنفجر مرعدة مزبدة ، وفى الحلم يطل عليه وجه أبيه بالرغم من أن العشق أصبح المحور الذى تدور عليه حياته ، العشق الذائب فى احضان الظلمة ..

وهو يكره الاحلام لانها ترجعه الى فترة ماضية من حياته الح فيها عليه الصرع حتى أوشك أن يهلكه . وطاردته ذكريات المرض طويلا بعد شفائه منه فكان الصرع من أسباب اندفاعه فى طريق اليأس والقوة كسمعة امه سواء بسواء ، اما الصراع الذى يخوضه فى الاحلام فيورثه عقب اليقظة انهاكا وحزنا فيمتلىء بافكار الفناء ، واذا ترامى اليه الآذان من الجامع القريب وهو على تلك الحال تضاعف حزنه . . »

هذا النص كان التعليق على الحلم الكبير الذى أسجله هنا واضعه امام النقاد وعلماء النفس لمحاولة تفسيره :

« قالت كريمة

ــ اقترب الفجر ووجب الذهاب . .

« ورجع الى سريره بعد أن أغلق الباب وعناقها لاصقا به كالعبير ... واستلقى فى ارتياح عميق فسرعان ما زحف عليه التخدير .. »

« الحلم »

« وقال انه يشعر لاول مرة بانه » يحتمل ان يستغنى عن ابيه ولكن عندما لوح له الساوى بسماعة التليفون هرع اليه كالريح ثم هتف بجزع :

ــ الو . . ؟

واذا بصوت جاء يسأل :

ــ صابر سيد صاحب الاعلان ؟

ــ نعم انا هو

ــ انا سيد سيد الرحيمى فماذا تريد . .

ــ لا بد من مقابلتك . .

ــ انا منتظرك بمحل فتركوان ، هل تعرفه ؟

ــ نعم سأكون عندك فى خلال دقائق

واجال عينيه فى المحل حتى رأى رجلا جالسا الى مائدة الهام لم يشك لحظة فى انه صاحب الصورة بل انه لم يكد يتغيرفىمدى الثلاثين عاما ، عدا انتشار المشيب فى سوالفة وانطباع تجاعيد غير ملحوظة الا عند التدقيق حول فيه وعند عينيه . ونظر صوبه فى رهبة حقيقية اذ وجده اضخم وافخم من اى خيال . . واتجه نحوه حتى حدس الرجل شخصيته فنهض لاستقباله مصافحا وصابر لا يحول عنه عينيه .

ــ صابر افندى

ــ نعم ، وسيادتك صاحب الصورة بلا ريب . .

وجلسا والرجل يقول :

ــ انت شاب فى عز الشباب ، ويخيل الى اننى رايتك قبل الآن ، أين يا ترى ...؟

ـ انا فى الاصل من الاسكندرية ، وانزل الآن فى القاهـرة فى شارع الفسـقية وامشى كثيرا فى شارع كلوت بك وميدان المحطة وقد جلست أكثر من مرة الى هذه المائدة .

ـ لا شك انى رأيتك فى أحد هـذه الاماكن ، فانا أزور الاسكندرية من آن لآن وأمر كل يوم بميدان المحطة ، وليس نادرا ، أن أجلس فى هذا المحل ..

فهتف صابر :

ـ هذا أعجب ما سمعت ، ولو انني لا اذكر انني رايتك من قبل الا بالتخيـل ولكن متى اطلعت على الاعلان :

ـ منذ اول يوم ..

ـ حقا ولكنك لم تتصل بى الا اليوم !

ـ بلى .. ذلك أن الاعلان يدل على أنك لم تستطع الاهتداء الى الطريق العادى على حين انني رجل معروف جدا ولا أيسر من الاهتـداء الى بيتى او مكان عملى ، لذلك تجاهلت نداءك ، ولما لمست الحاحك لم أر بدا من الاتصال بك ..

ـ هذا عجيب حقا فاني لم أصادف أحدا يعرفك ، ولا رقم لك فى الدليل .

ـ لندع ذلك الآن وخبرنى عما تريد ..

ـ الحق انني اريدك انت .. ولكن الا تلاحظ شيئا يا سيدى ...

ونظر فى وجهه متوقعا ان يلاحظ الشبه بينه وبين الصورة ولكنه خيب ظنـه فقال بجزع :

ـ انظر الى وجهى ..

ـ ماذا فى وجهك ؟

وهنا سمع صوتا يهمس :

ـ استاذ صابر ..!

التفت نحو الصوت فرأى الهام واقفة . نهض فصـافحها ثم هم بتقديمها الى أبيه واذا بالرجل يمد لها يده قائلا :

ـ الهام .. كيف حالك ..

وقبلت الفتاة يده باحترام فهتف صابر :

ـ اذن انت تعرفينه .

فسأله الرجل دون اكتراث لدهشته :

ـ خبرنى متى عرفت ابنتى ؟

فصاح صابر ابنتك ... رباه

وبسرعة غير متوقعة غادرت الهام المكان قبل أن يستطيع منعها وقال الرحيمى بهدوئه الذى لزمه طول الوقت .

ـ كثيرا ما اسمع كلاما لا معنى له ، ومنه ما يمسنى شخصيا ولـكن لا اكترث لذلك البتة ،خبرنى الآن عما تريد ؟

جلس صابر فى حالة من الانحلال التام وبحركة آلية قدم له الصورة الجامعة بينه وبين أمه التى راى نصفها فى الاعلان ووثيقة زواجه بأمه وشهادة ميلاده وشهادة تحقيق الشخصية .. ونظر الرجل فيها واحدة بعد أخرى ، وبحركة سريعة حاسمة راح يمزقها اربا .. صرخ صابر وانقض عليه يريد أن يمنعه ولكن بعد فوات الاوان امسك بتلابيبه الجاكته وصاح به ..

ــ أنت تمحو وجودى محوا فالويل لك ..

فقال الرجل دون أن يخرج عن هدوءه المثير :

ــ ابعد عنى ، لا تــرنى وجهك .. دجال كأمك ، ولا شــأن لى بك.. اذهب ودفعه عنه فتقهقر حتى اصطدمت راسه بحافة البوفيه .

.. ..

(انتهى الحلم)

.. واستيقظ .

فتح عينيه وهو يتنفس بصعوبة فراى الحجرة الاثرية على ضوء النهار الذى ينضح به الشيش . وأدرك انه عار تماما تحت الغطاء « فتذكر الليلة المنطوية بجميع ملابساتها وتنهد بارتياح ولكنه شعر لشدة انفعاله بالحلم باعياء وحزن .. »

وفى عناية فنية وفى اناقة شكلية مهد نجيب محفوظ لهذا الحلم بهذيان صابر وهو سكران وهو يذكر ايام النبى دانيال والاسكندرية .. يقول صــابر فى لحظة سكره ونشوته :

« وماذا بعد ذلك الانتظار والجرى وراء المجهول فى الظلام » ويدفعه الســكر وتنطلق به النشوة وهو يسير تحت البواكى المقطبة ــ الى امه ــ « وامه كانت تدخن النرجيلة وتحكم الرجال .. وعندما تجلس لمناقشته تجلس كملكة .. قالت له افعل ما تشاء ولكن لا تسرف فلا عدو لنا الا الفقر .. وقالت له اعشق كل يوم أمراة ولكن لا تجعل لاحداهن من سلطان عليك .. »

وفى قمة ســكره وهذيانه يــردد (ولكن أين سيد سيد الرحيمى) وهتف بصوته الملىء .. يا رحيمى .. ثم راح يدندن بالاغنية الاســكندرانية « ما تبطل الشقاوة وتعال عندنا .

كان صابر فى تلك الليلة التى بدأت بالسكر وانتهت بالحلم قد اشترى زجاجة كونياك من بقالة الحرية وشرب واكل وسكر ثم عاد الى بيته فى منتصف الليل .. وبعد منتصف الليل وبعد أن دخن ســيجارة فى حجرته الاثرية وبعد أن نام جاءت كريمة .. وبعد كلام وحديث وما بعد الحــديث .. من جنس واغواء ودفع الــى الجريمة ، بعد هذا كله احاطها بذراعيه ولكنها تزحزحت الى حافة السرير قائلة :

ــ اقترب الفجر ووجب الذهاب ..

ثم كان الحلم الذى سجلته لك هنا .

وجاءت ليلة الحلم بعد نهار قضاه فى البحث عن شارع التلبانة رقم ١٥ بشبرا .. وبعد أن حرق ساعات النهار فى البحث والسؤال عاد الى الفندق واذا بصاحب هذا العبث التليفونى يطلبه مرة أخرى ليقول له :

— حقيقة انك حمار

ودفعته كآبة مساء الخريف وخيبة الامل الى بقالة الحرية . يقول صابر وهو يناجي نفسه وهو يتذكر ملهى الكنار الليلي :

اين الله حقا ؟ هو عرف اسم الله ولكنه لم يشغل باله قط .. ولم تشده الى الدين علاقة تذكر .. ولا شهد النبى دانيال ممارسة عادة دينية واحدة فهو يعيش فى عصر ما قبل الدين... وفى فندق القاهرة احتل صابر الغرفة ١٣ ودفعته القاهرة ورقم ١٣ الى كريمة ودفعته كريمة الى الجريمة .. ثم الى السجن اخيرا ومن السجن .. سجن البحث عن أبيه وسجن فقده لامه .. وسجن الفقر والوحدة والضياع الروحى والحضارى .. من هذا السجن انطلق الحلم الكبير .. الطريق..

وعندما غادر صابر الاسكندرية « تعلق بصره بالاسكندرية والقطار يزجالارض مبتعدا رآها مدينة هائلة من السحب وهواء باردا معبقا بمطلع نوفمبر يجوب شوارعها الانيقة شبه الخالية .. وودعها هى وامه وذكريات ربع قرن من الزمان بزفرة واحدة طويلة ساخنة ..

وناجى صابر نفسه — وكم كان يناجي نفسه — قبل ان يصل الى القاهرة .. وانت اليوم وحيدا بلا أهل ولا أصدقاء كأنك من جنس غريب ..

وعندما وصل الى القاهرة هاله الزحام فى محطة مصر فالح عليه شعوره بالوحدة وبحث عن فندق رخيص حتى وجد فندق القاهرة فى شارع الفسقية ذى البواكى وهو بمبنى قديم ترابى الجدران مكون من اربعة ادوار وعليه فوق السطح وذو باب مرتفع مقوس الرأس كوجه باك يفتح على مدخل مستطيل ينتهى الى مدخل السلم ..

وقدم لنا نجيب محفوظ مع فندق القاهرة هذا الشحاذ الذى رآه وهو يندفع الى الفندق وقد جذبته فتاة فى عز الشباب كانت تجلس الى مكتب الفندق وكان الشحاذ يردد :

— طه زينه مديحى صاحب الوجه المليحى
النصارى واليهود
أسلموا على يديه

هذا الشحاذ هو النغمة السائدة فى حلم الطريق وهو يذكرنى بالشيخ درويش وبالشيخ متولى عبد الصمد وبالشيخ على الجنيدى .. وهؤلاء جميعا يمثلون عندى توقيع نجيب محفوظ على أعماله الفنية .

وحلم الطريق يبدأ بالقرافة بعد ان خرجت بسيمة عمران من السجن .. والسجن يلعب دورا ايجابيا خطيرا فى رواية الطريق .. اقترح محامى من معارف صابر وهو يساعده فى البحث عن أبيه أن يسأل عنه فى السجون .. وعندما رأى دهشة صابر من اقتراحه قال له :

— ولماذا لا .. !! السجن كالجامع مفتوح للجميع ، وأحيانا يدخله الانسان لنبل فى أخلاقه لا اعوجاج ..

ويلعب التقابل بين الحياة والموت دورا ايجابيا فى رواية الطريق فبينما تموت

ببسيمة عمران وصوت القرآن يتلى فى غرفة المرحومة يتوافد المدعوون فى شقة الجيران وتترامى أنغام الموسيقى .

ويقول صابر : والآن اين هى الحقيقة واين الحلم ، أمك التى ما تزال نبراتها تتردد فى أذنك قد ماتت ، وابوك الميت يبعث فى الحياة..وانت المفلس المطارد بماض ملوث بالدعارة والجريمة تتطلع بمعجزة الى الكرامة والحرية والسلام ...

يبدأ حلم الطريق .. بعد أن قالت بسيمة عمران لابنها صابر بعد أن عادت الى البيت الذى كانت قد اعدته لابنها وبعد ان قضت فى السجن خمس سنوات .

ـ أمك انتهت يا صابر .

وقالت له ايضا بعد أن حدثته عن أبيه وبعد ان اعطته شهادة الزواج وصورة الزفاف

ـ شىء يحدثنى بانه حى .. وبانك اذا لم تيأس او تتوان فسوف تعثر عليه .

ثم اغمضت عينيها بعد ذلك وغمغمت « انى تعبة جدا » واستيقظ حوالى التاسعة من صباح اليوم التالى بعد ليلة سهاد ممزقة بالفكر . وذهب الى حجرتها ليوقظها فوجدها ميتة .

ماتت بسيمة عمران .. ودفع الموت صابرا الى هذا الحلم الطويل الذى يبدأ بالقرافة .. يبدأ الحلم بهذه الصورة الصائتة « تتردد من بعيد صوت كالعواء ثم دخل الحجرة طابور من العميان فطوقوا القبر فى نصف دائرة ثم جلسوا القرفصاء وشعر بأعين كثيرة تحدق فيه او تسترق اليه النظرات . لغط النساء ورائحة التراب وعرق الرجال وانفاسهم الكريهة .. والتربى ومساعده والسقاء وترتيل العميان كل هذا مهد الى هذا الحلم ..

الموت والليل والسجن هى عناصر هذا الحلم .. الموت فى البداية .. والليل الذى دفعه الى الجريمة .. وهو الطريق .. والسجن فى النهاية .. وفى السجن تجوهر الموت وتبلور الليل ... ورأى صابر ـ بلا واعيته أن يبحث عن رمز يتخلص به من الموت والليل والسجن فكان الاب .. سيد سيد الرحيمى .. رمز الكرامة والحرية والسلام ، والتثليث هنا رمز لحضارة مصر .. ولتاريخ مصر .. وهذا الاسم المثلث سيد سيد الرحيمى يؤكد امامنا سيادة الاصل العريق الذى ينتهى اليه صابر ـ ونحن كلنا صابر ...

فاسم الرحيمى يشتق من الرحمة والرحمة انما جاءت من الرحم وهى تجسد علاقة الانسان بذوى الارحام وتأكيد معنى الرحمة انما هو تأكيد للعلاقة الحميمة بين الآباء والابناء..وفى قمتها علاقة الانسان بأرضه وتاريخه وبأبناء بلده..

والواقع أن المصريين جميعا مصابون بمرض تاريخى .. فنحن جميعا نبحث عن هذا الاب .. عن هذا الاصل .. عن هذا التاريخ .. الذى ننتمى اليه .. نحن جميعا نعانى من عقدة الاصل .. أو بفقدان الوعى التاريخى .. نحن نبحث عن جذور .. ونحن رغم حضارتنا العريقة الاصيلة نعيش عالة على حضارات عاشت

عالة على حضارتنا منذ قيامها نحن مضمون غنى يبحث عن الشكل ولهذا يكثر الحديث فى هذه الايام عن الشكل والمضمون . فهذا الحديث يثبت ويؤكد هذا الانقسام وهذا الفصام .. فنحن نعيش فى آن واحد وهو الحاضر فقط .. ولما كان الحاضر لحظة من لحظات نهر متدفق من زمان يضم الماضى والحاضر والمستقبل فى كيان واحد .. كان العيش فى حاضر منفصل عن ماضيه يشكل أزمة فى الوعى وأزمة فى الروح وأزمة فى التعبير وأزمة فى الثقافة ، وبكلمة واحدة يشكل هذا المرض التاريخى أو عقدة الاصل كما حاولت أن ادعوه ..

ولما كان نجيب محفوظ يحاول أن يعبر بصدق وبعمق عن لحظتنا هذه فانه حاول بعد أن قطع هذا الطريق الطويل الذى بدأ بترجمة كتاب عن مصر القديمة عام ١٩٣٢ حتى رواية السمان والخريف أن يسجل هذا المرض التاريخى فى حلم أسماه الطريق .. وجعل موضوعه البحث عن الاب ، وجعل اسم الابن هو صابر .. والصبر هو السمة البارزة للنفس المصرية .. وجعل اسم هذا الاب سيد سيد الرحيمى ، المثلث الرحمة الذى يجسد للابن الكرامة والحرية والسلام .. وكلنا صابر .. صابر الباحث عن أبيه .. ولهذا اعتبر أن أروع حركة سجلها الحلم الذى سجلته هنا هى حركة تمزيق الصورة الجامعة بين الاب والام ووثيقة زواج الاب والام وشهادة ميلاد صابر وشهادة تحقيق الشخصية .. مزقها سيد سيد الرحيمى لان هذه الاشياء كلها لا تقيم هذه الصلة الحميمة التى يصل بها صابر الى الحرية والكرامة والسلام ..

الطريق قصيدة ملحمية تقدم لنا حلما واعترافا ومحاولة عبقرية للبحث عن مخرج وعن حل وبهذه الرواية تنتهى المرحلة السرابية التى عبرت عنها رواية السراب وتبدأ مرحلة جديدة واضحة كل الوضوح .. مرحلة الطريق الى اكتشاف انفسنا وفى اختيار الطريق اشارة لنا بالعودة الى تاريخنا العملاق الذى يبدأ بعصر ما قبل الاسرات حتى الآن .. ومحاولة توضيحه لأنفسنا ولابنائنا وبناتنا فى كل المراحل التعليمية عن طريق وسائل النشر الجماهيرية .. علينا ان نكشف تيار هذا التاريخ المتدفق حتى يمكننا ان نعيشه ونعيش به كما نفعل مع نهر النيل سواء بسواء ..

ويوم أن نعرف انفسنا بانفسنا فسوف نجد مع صابر الحرية والكرامة والسلام وسوف يلتئم الماضى والحاضر مع كل حى ينطلق فى دينامية نحو مستقبل .. والا فسوف نصبح مثل هذا الشحاذ الذى فقد كل شىء من قوة ومال وبصر فتسول ....

وهذا الوعى الذاتى سوف يحررنا من الخوف والجوع والماضى والموت .. وحتى لا نعيش فى ذل الرغبة الجائعة وذل البحث الخائب .. وذل الخوف من الذل ..

علينا ان نجد الطريق الى قدس اقداسنا .. وهو طريق يريد منا كل الشجاعة وكل الصبر وكل الايمان وكل الثقة .. وعلينا ان نتخذ من كل عقبة فرصة للانتصار وللوصول الى هذا الهدف العظيم وللوصول الى الوعى الذاتى لنرى الطريق الى العمل لانفسنا ومع الآخرين .. ولهم ..

أعتاب الفردوس

متولى

بقلم : هدى جاد

تجلس ناهد على أريكة الصالة ذات الوسائد .. ان الاريكة واسعة .. عريضة .. طويلة .. تماما كحياتها.. يخيل لناهد انها متزوجة من عشرين عاما .. مع أنها .. هى نفسها .. لم تتم بعد العشرين من عمرها

تتأمل ناهد .. الوسائد .. المربع منها والمستدير .. والتى صنعتها وطرزتها وتفننت فى اختيار ألوانها .. لقد حفظتها عن ظهر قلب .. كما حفظت كل زاوية من زوايا البيت .. هذا الباب الضخم الذى يفصل بين حائطين .. حائط الصالون وحائط الصالة .. الاخشاب السميكة تفصل بين ضلفه .. ذات الزجاج السميك غير الشفاف ..

باللتشابه انه كحماتها ! .. التى تقف حاجزا منيعا .. شامخا .. عريضا .. تفصل بينها وبين زوجها .. زوجها ؟ وهل هو نموذج لكل الازواج .. أو .. حتى .. بعضهم

لو كانت الزوجات.. هكذا مثلها.. يقمن فى الصباح .. لاعداد الافطار وظهرا لاعداد الغداء و .. لا .. انها لاتعد العشاء .. فزوجها ـ غالبا ـ ما يتناوله فى الخارج .. أين ؟ انها لاتدرى .. ويجب الا تدرى لقد حذرتها حماتها مرارا بألا تفكر فى هذا الأمر الذى لا يخصها بتاتا .

ولو كان الأزواج هكذا..على شاكلة زوجها .. لعاش الناس كلهم فى حالة انفصال .. ثم تتنهد وتحاول أن تريح جسمها المكدود فتستند بظهرها الى الوسائد واذا بها تكاد تستلقى .. وتتعجب .. هل لأن الأريكة واسعة.. عريضة .. طويلة .. أم لأنها هى نفسها .. صغيرة .. قصيرة .. نحيفة .. وتحس بالضجر فترنو الى البيانو .. بحسرة ..

كم تحب الموسيقى .. وتستعذبها .. انها ـ أحيانا ـ تذيب أشجانها فتطلق الدموع من عينيها وأحيانا .. تشدها الى أعلى .. فتحلق وتحلق ويزداد وجيب قلبها ..

تمد يدها وترفع غطاء البيانو لكنها سرعان ماتعدل عن فتحه .. اذ تتذكر فى الحال أوامر حماتها : ـ اسمعى يابنت هذا البيانو ..زينة .. تحفة.. يدل على عظمة البيت وأهله .. لكن لاتحاولى أن تصدعى رءوسنا بالعزف عليه .. اياك أن تفتحيه .. أنا عندى ضغط .. أم لعلك نسيت ؟

ولا تجد ناهد طريقة تخفف بها عن نفسها .. الا أن تدير ظهرها لما تحبه وتستعيد بعض ذكرياتها ..

انها ريفية .. ولدت فى قرية صغيرة متواضعة ولم تعرف لها أهلا غير أمها .. وقد مات أبوها قبل أن تولد

عرفت فيما بعد .. أن فردوس هانم ـ حماتها حاليا ـ كان وما زال عندها أرض تدر عليها ايرادا شهريا فى نفس بلدهم .. وعرفت أيضا .. انها عندما أتمت العام الخامس عشر من عمرها خطبوها لاسماعيل.. لم تكن قد قطعت شوطا طويلا فى المدرسة .. ومع ذلك فقد فرحت .. فرحت بالخطبة .. سترتدى الأثواب الأنيقة البراقة وتتحلى بالمصوغات وتركب القطار .. والأهم من هذا كله .. أنها ستشاهد مصر.. مصر أم الدنيا ..

انها تتذكر جيدا بعض كلمات تبادلتها أمها مع حماتها فقد قالت الاولى : البنت لم تزل صغيرة لاتكاد تعى أو تقدر مسئولية الزواج ..

لكن حماتها الطويلة العريضة ترد بصوتها الأجش المنغم : حد يطول .. ياست بهية .. اسماعيل .. ليس لأنه ابنى .. فهو طيب وهادىء .. ثم لاتنسى أن كل مصاريفها علينا .. جهازها .. والمفروشات .. كل حاجة عندى كاملة .. هيه .. ما رأيك ؟ أنا اخترت ابنتك لأنها ـ بالذات ـ صغيرة أربيها حسب مزاجى !

وناهد مسالمة وقد استطاعت التغلب على كبح رغبتها فى العزف على البيانو بأنها كثيرا ماكانت تختلس لحظات وتدير ـ الراديو ـ حتى يصل اليها صوته وكأنه يناجيها أو يهمس اليها وحدها .. أما المصيبة الحقيقية فهى فى التموين نفسه ..

انها لاتكاد تتصور أن امرأة ناضجة مثل حماتها ومن بيت كريم ـ كما تقول الحماة ـ تناولها الأطعمة .. وكأنها تزنها .. قائلة فى ذلك : لقد ازداد وزنك أكثر مما يجب وأخشى أن يكون هذا أحد العوامل التى تعوق حملك..! وتفهم ناهد .. المرمى .. فحماتها تذكرها بلوعتها وبأنها لم تحمل من زوجها ولا .. مرة .. وهى لا تعرف لذلك سببا .. ولكن الحقيقة أن حماتها شحيحة .. شحيحة فى عواطفها .. وفى مالها .

آه .. على ذكر المال ان قريب حماتها « السيد عبد الله » الرجل الكهل الذى جاوز الخمسين من عمره .. الأعزب منذ أن ماتت زوجته من عشر سنوات .. هذا القريب ـ من العصب ـ لايرثه شخص .. الا .. الست فردوس وهى تطمع فى أن تنمى ثروتها بعد أن يموت .. وتسائل ناهد نفسها .. مادامت تحب المال هكذا فلماذا لاتنفقه؟ فى الغذاء .. أو الكساء .. أو المتعة .. كالرحلات والأسفار ؟

وتقوم ناهد من على الأريكة الطويلة العريضة .. غير المريحة .. وتفتح .. الباب الضخم الذى يفصل بين الحائطين .. حائط الصالون وحائط الصالة .. وتمسك بالمنفضة محاولة ازالة الغبار من على التحف الدقيقة التى تزين الصالون .. وتتراءى لها الصور .. صورة زوجها اسماعيل .. ان له ضحكة بلهاء ووجه عادى لا هو بالقبيح ولا بالوسيم .. لكنه بليد .. وقد ألفته .. أكثر مما يجب .. كيف لا ؟ انها لم تشاهد أحدا من الرجال سواه

ومنذ مدة قريبة شاهدت سحنة السيد عبد الله فأيقنت لماذا سمى الرجال .. بالجنس الخشن !

ان اسماعيل يجالسها على المائدة .. ويقاسمها الفراش .. منذ متى ؟ منذ

أكثر من ثلاث سنوات تذكر فى أول مرة عندما سألته : لماذا لانخرج معا ؟

أن أجابها وحواجبه مرفوعة تكاد تصل الى مفرق شعره : هل جننت باناهد ؟ هل نسيت رغبات أمى ؟

وناهد تعرف فى نفسها الحياء والخوف ومع ذلك ٠٠ فقد عقبت على قوله : وماذا يضيرها لو خرجنا معا أو ٠٠ حتى لو صاحبتنا ؟

فيرفع يديه متضجرا ويدمدم : قلت لك مرارا ٠٠ ليس لنا أن نعارضها ٠٠ هى كل شىء فى حياتى ٠٠ ومرضها يلزمنى أن أرضيها ٠٠

ان اسماعيل بلا وظيفة ٠٠ وهذه أيضا احدى رغبات أمه فهى تخشى عليه من ارهاق العمل وتقول : ماهو الدافع للوظيفة ما دمت أتحمل كل أعباء البيت ٠٠

الحماة تنفق وناهد تعمل ٠٠ تكنس وتمسح البلاط وتطهى الطعام ٠٠ مرات قليلة أو نادرة تشاركها الست فردوس فى طهو بعض ألوان الطعام ٠٠ التى تفضلها الحماة ٠٠

حياة يومية ٠٠ رتيبة ٠٠ خانقة

ناهد جميلة ٠٠ بل رائعة ٠٠ لقد تأكدت من ذلك عندما كانت تفتح نافذة حجرة نومها واذا بصفير مهلل يعلو تتخلله عبارات : ما أجملك ٠٠ سبحان الخلاق ٠٠

ولولا حياؤها وخوفها لاجترأت واكتشفت صاحب الصفير وعبارات الاعجاب ، أهو من الجيران أو عابر سبيل

اذن فهى تفتقد الكلمة الحنون النابعة من القلب أو ٠٠ حتى ٠٠ لمجرد الاجتذاب

فمنذ أن ماتت أمها الغالية لم يعد لديها قريب أو حبيب ٠٠ وهى ثغرة أخرى جديدة تنفذ منها مخالب حماتها لتزيدها نهشا وتجريحا ٠٠ ومع ذلك فناهد تملك مدخرا من الحب لحماتها فهى تكاد تقارب عمر أمها ٠٠ فلم لاتعمل الحماة على أن تكون أما لولدها ولزوجه ٠٠ كلمة طيبة ٠٠ ربتة حنان ٠٠ لمسة تشجيع ٠٠ حتى ترتفع معنويتهاوترى للدنيا ظلالا وردية بجانب ظلالها الحالكة ٠٠

كم من مرة حاولت فيها أن تتقرب الى الست فردوس عساها بذلك أن ترضى بعض جوانب نفسها ٠٠ فهى فى احتياج الى أثواب حديثة زاهية ان لم ترضى زوجها فحسبها أن ترضى غرورها وأنوثتها ٠٠ وقد تخيرت الوقت الذى تصبغ فيه شعر حماتها (بالحنة) وحماتها بين يديها ٠ وهى من المرات النادرة ٠ التى تستكن فيها الحماة لأن أية حركة منها سواء متعمدة أو غير متعمدة تتلف عملية الصباغة ٠٠

قالت ناهد وأصابعها الدقيقة تتخلل شعيرات رأس حماتها بحنان وتؤدة : يانينة ٠٠ أريد ٠٠ بل ألتمس منك أن تهبينى بعض المال لـ ٠٠٠ لأصنع ثوبين ٠ لقد أعجبتنى بعض الموديلات التى شاهدتها فى بعض المجلات ٠

وبسرعة خاطفة ٠٠ انتفضت الحماة وبدأت ٠٠ كتل الحنة تتساقط على عنقها وصدرها الذى أخذ يعلو ويهبط وهى تهبينى بعض المال لـ ٠٠٠ لأصنع ثوبين ٠ اذن فهى التى أفسدتك ٠٠ وجعلتك تهملين فى أداء واجباتك المنزلية ٠٠ والآن صرحى ٠٠ واعترفى كيف تحصلين على المجلات ؟

وناهد يتفاقم خوفها ويزداد ارتعاش يديها وكتل الحنة ما زالت تتساقط

عليهما معا .. لكنها تضطر للكلام فتقول : من بائع الجرائد .

وعينا الست فردوس الضيقتان الثعلبيتان .. يزداد لمعانهما فتصرخ فى ناهد : أعنى من أين لك بالمال ؟

وتحس ناهد بالاهانة فتبادلها الصراخ قائلة : من مالى ...

لكن الست فردوس التى تجيد السباب تقول : مالك .. ها .. ها .. أنت المقطوعة من شجرة .. المتسولة .. اعترفى بأنك لصة .. خسيسة .. تهادنين ... لتخدعى ... أنا الطيبة وابنى الساذج ..

وترد ناهد بصوت مرتفع : تجرحين شعورى وتسبيني من أجل قروش أو مليمات ... أيتها الشحيحة ... العجوز ..

وفى الحال يجتاح الغضب كل كيان الست فردوس فتقوم من جلستها وتصرخ تستغلين وجودى بين يديك .. لكننى أستطيع الاستعانة بالست أم محمد (الماشطة) فهى تجيد الصباغة وتحسنها أكثر منك أما الحنة فها هى وأخذت تقذف ناهد بها ولا تكتفى بهذا بل تصفعها على وجهها صفعات قوية مدوية ...

تذكر ناهد أن الذهول انتابها ومن هول المفاجأة لم تستطع أن تفعل شيئا حتى الدفاع عن نفسها ويبدو أنها أسلمت وجهها لحماتها حتى تورم وانتفخ واحمر وتذكر أيضا أنها تعمدت ألا تقول لزوجها شيئا فهى تستطيع أن تحدس ما سيقوله لها : ان أرضيتك أغضبت أمى وان أرضيتها أغضبتك .. بالله عليك.. دعينى فى حالى .. وأنا واثق أنه فى خلال أيام .. سيتم الصلح بينكما ...

كانت ناهد تحمل لحماتها بعض الحب مؤملة فى ذلك أنها فى يوم ما ستستطيع أن تجتذبها الى دائرتها .. [illegible] تطيعها باخلاص ووفاء . لكن ... بعد هذه الحادثة لم يبق فى نفسها شىء .. ولا حتى الكره .. كانت ترنو الى حماتها وكأنها ترى شبحا هائلا لشيطان لاسبيل للفكاك منه .. أحد ظلاله ... زوجها اسماعيل.. طلاقها من الامور المستحيلة .. فماذا تملك هى ليتزوجها آخر ... مال ؟.. نسب ؟.. ثقافة ؟ انها لاتملك شيئا سوى جمالها .. جمالها ؟ وهل هى حقا جميلة ؟ ألمجرد أن أحد العابثين أطرى ملاحتها ؟

أهى حقا تعيش؟ أين ؟ فى هذا البيت الكئيب الموحش البارد الجاف ؟

لو قدرلها أن تصاب بالعمى لاستطاعت ـ وبمهارة ـ أن تعرف كل دقائق البيت وزواياه ، ثلاث سنوات أو مايقرب وهى تعيش بين جدرانه وله ...

ثلاث سنوات أو ما يقرب وهى تفنى وتتفانى فى البيت وأهله .

ثلاث سنوات أو ما يقرب وهى لاترى ولا تعرف أحدا الا الست فردوس من دنيا النساء واسماعيل من دنيا الرجال.

ولكنها تملك شيئا ثمينا ... شيئا ثمينا وباقيا ... عقلها !!

ثم تتنهد وتتأمل ـ مرة ثانية ـ كل زوايا حجرة الصالون ـ وعندما تتأكد من حسن رونقه وجميل نظافته وتنسيقه تغلق وراءها الحاجز أو .. الباب الضخم ..

وتهرول ناحية المطبخ لتستوثق من أن الفطيرة التى أدخلتها الى الفرن .. لم يصيبها مكروه وتتذكر السيد عبد الله ـ والذى من أجله وسواد عينيه ـ صنعت له تلك الفطيرة !

والسيد عبد الله جاوز الخمسين لا تنم ملامحه عن شىء له وجه غير متناسق

الملامح وشعر كله الشيب وجسم غير محدود المعالم ربما كان قصيرا ٠٠ فهو ممتلىء بحيث يختلط طوله بعرضه وربما كان أميل للطول فان الست فردوس وابنها اسماعيل يشرئبان بعنقهما عندما يتحدثان اليه ٠٠٠

وترى ناهد أن حماتها تتودد كثيرا للسيد عبد الله خاصة فى الآونة الأخيرة ٠٠ ومن لمسات توددها أنها تصر على صنع فنجان القهوة بيديها (من البن البيتى المحوج بالحبهان والمستكة) ٠

ولا يغيب عن بال ناهد ــ الدافع ــ فقد سمعت حماتها أن السيد عبد الله ينوى الزواج بصبية حلوة من القريبات ــ على آخر الزمن ــ وطبيعى أن يرزق بأطفال أو ــ على الاقل ــ بطفل يقف حجر عثرة بين الميراث وبين الست فردوس ٠

وبالرغم من أن العلاقة التى بين ناهد وحماتها اتخذت ــ فى الآونة الأخيرة منذ تلك الحادثة لونا فاترا ٠٠٠ بالرغم من ذلك لم تستطع الست فردوس التحكم فى أعصابها فكانت ــ من حين لآخر ــ تخرج شكواها وقلقها لزوجة ابنها قائلة : والله عال ٠٠٠ بعد أن ملأ الشيب رأس السيد عبد الله يفكر فى الزواج ٠٠ وأنا ٠٠٠ أنا أخرج من المولد بلا حمص ٠٠ انتظر السنوات الطوال وأتودد اليه وأعامله أحسن معاملة وأكرمه عندما يجىء من بلده وبعد ذلك يضيع مجهودى وتؤول أمواله الى طريق آخر ٠٠٠ جديد ٠٠ ثم تخبط كفيها ٠٠ وهى تدمدم ٠٠ انكم لا تعرفون فأنا لا أنام من الليل الا دقائق ٠٠ لكن من يهمه أمرى ؟ من يتحمل المسئولية وينفق غيرى ؟

كان الله فى عونى ٠٠ !٠٠٠

وتفكر ناهد ٠٠ مليا فى الأمر ٠٠ ثم تبتسم بينها وبين نفسها انها تذكر جيدا كيف كان يتأملها السيد عبد الله عندما تجالسه وتسامره وتحييه بأرق الالفاظ والعبارات وكأن الدنيا كلها قد خلت من الرجال ولم يعد فيها سواه ٠٠٠

كان يحدثها بعينيه ويخاطبها بتنهدات والهة نابعة من القلب ٠٠٠ خاصة عندما تكرر له قولها ٠٠ لم يعد لى سواك ياسيد عبد الله ٠٠ فأنت عطوف كريم ٠٠٠ طيب ٠٠٠ ثم انك جذاب وتشفع قولها بتنهيدة : اننى انتظر مجيئك بفارغ الصبر ٠٠ البارحة ٠٠٠ البارحة بالنسبة لى يوم الوقفة أما اليوم ٠٠ فأنت تزونا ٠٠ أعنى ٠٠ تزورنى ٠٠ ! فهو يوم عيد ٠٠ فكيف يخطر لك أن تتزوج وتتركنا ؟

لكنه يقاطعها وهو مبهور بحماسها : وهل زواجى يتعارض مع زيارتى لكم ٠٠٠ أعنى ٠٠ لك !

وترفر قائلة : صاحب بالين كذاب ٠٠ ثم اننى لن أجالسك بمفردى كعادتى بل سيكون هناك ٠٠٠ من ٠٠٠ يفصل بيننا ! اللياقة تقتضى منا ذلك !

وتذكر ناهد هيئة عينيه المحدقتين وهو يقول : لا ٠٠ لا يا ناهد لن تحرمينى من حديثك وعطفك انك زادى ٠٠ وابنتى ٠٠٠ و ٠٠٠

وتبتسم ثم ترنو اليه بخبث : وماذا أيضا ٠٠ هه ٠٠ لماذا لاتقولها ؟

وتتسارع أنفاسه ويلهث ثم ٠٠٠ يرتج عليه القول ٠٠:

لكن سرعان ما تفيق ناهد من تأملاتها وتتنبه ٠٠ ان الفطيرة التى بداخل الفرن قد حان ميعاد نضجها فتخرجها ٠٠ وتتركها ٠٠ للحظات حتى تبرد !

وتهرول الى حجرتها وتتزين ٠٠ وبعد لحظات تسمع رنين جرس الباب



الخارجى فتخطو خطوات واسعة وتفتح الباب على مصراعيه وهى ترحب : أهلا ٠٠ أهلا بالسيد عبد الله ٠

يجالسها كعادته ٠٠ والست فردوس داخل المطبخ تهيىء فنجال القهوة ٠٠)

وعند انتهـــاء الزيارة تشير ناهد بسبابتها قائلة لحماتها : عندى لك خبر ٠٠ تنتظرينه من زمن وتبرق عينا الست فردوس وتسألها بلهفة مستـجدية : طمئنينى بالله عليك ٠٠

تبتسم ناهد ابتسـامة واثقة وتقول وهى تخرج كلماتها ببــطء مثير : أعنى ٠٠ أعنى بخصوص السيد عبد الله ٠٠

ثم تتأمل ناهد قسمات حماتهـــا فتشاهد الذهول ثم الشك ثم الحيرة ٠٠ وأخيرا اللهفة العاصفة فتخرج كلماتهـا متقطعة متحشرجة : لم يعد لدى أعصاب ياناهد .. بالله عليك طمنينى هل قرب ميعاد زفافه على عروسه الصبية الفاتنة

فتضحك ناهد ضحكات مجلجلة مرحة وتستأنف قولها : عروسه الصبيـــة الفاتنة ؟

لقد كانت الطعم !٠ذكرت له نقائصها التى تكفى ـ واحدة منهـــا ـ كى يفر أفضل عريس ناجيا بنفســـه ٠ ولعله لايغيب عن بالك أن ذلك غير صحيح فهى فتاة فاضلة هادئة ٠٠ لكن ٠٠٠ ليس من أجل اسماعيل او من أجلى أنا تصرفت هكذا ـ ثم تشير بأصبعها ناحية حماتها بحماس ـ بل من اجلك أنت ٠٠٠ أنت وحـــــــدك ٠٠ قلت له هذه الأقوال وليسامحنى الله وقد عدل ٠٠ أتسمعين؟ عدل نهائيا عن فكرة الزواج بتلك الصبية أو بغيرها تستطيعين التأكد من ذلك ٠٠ عندما يزورنا فى المرة القادمه ٠٠ والآن ٠٠٠ الآن ســـأخرج ! وبمفردى ! ألا تريدين شيئا من الخارج ؟

ترد الست فردوس بصوت حالم : لا ٠٠٠ لا يا حبيبتى وأرجو أن ترجعى لنا سالمة ! احذرى خطورة الطرقات :

تستدير ناهد ناحية الباب الخارجى وفى نفسها أشياء وأشياء ! ثم تبتســم وتناجى نفسها ٠٠ هل نسيت أيتهـــا العجوز المخرفة أن الله وهبنى عقلا ٠٠؟

وأنت أيها الابلة ٠٠ السيد عبد الله ٠٠ تحياتى لك ٠٠ فأنا مدينة لك بكل شىء ! ثم ترنو الى الطريق ٠٠ وتتنهـد وكانها تبتهل ويهتف صوت من أعماقها يقول ٠٠ سأخرج ٠٠ سأخرج لاشـاهد الطرقات ٠٠ الناس ٠٠ العربات ٠٠٠ الحوانيت ٠٠ الحدائق ٠٠ الدنيـا ٠٠٠ الدنيا ٠٠

نعم ٠٠٠ ستخرج من و ٠٠٠ الى ٠٠ أعتاب الفردوس !

بقلم : على شلش

اللعنة والأمل

« احك عن الجنوب • ماذا يشبه هناك •

ماذا يفعلون ، ولماذا يعيشون هناك • بل

لماذا يعيشون أصلا ؟

ليس بوسعك أن تفهم المسألة ، مالم تكن ولدت هناك ؟

فى تاريخ الرواية الأمريكية الحديثة ستة من الأعلام هم بغير ترتيب : توماس وولف ، دوس باسوس ، أرسكين كالدويل ، ارنست هيمنجواى ، جون شتاينبك ، ووليم فوكنر الذى انتهت حياته فجأة فى يوليو ١٩٦٢ ، تماما كما انتهت حياة زميله هيمنجواى قبله بعام واحد •

وقد مات فوكنر عن خمسة وستين عاما ، وترك لنا تراثا من الرواية والقصة القصيرة ذا مذاق غريب ، ان فى شكله وان فى محتواه • وقطع من هذه السنوات ما يقرب من نصفها وهو حائر بين مواصلة الرحلة الشاقة والتوقف التام • ذلك لأنه صنع حياته بيديه : لم تتدخل فيها مدرسة أو جامعة ، فهو لم ينل حظا من التعليم أكثر من اتمام الدراسة الثانوية ، وعامين آخرين فى الجامعة بلا نجاح • ولم تتدخل فيها عناصر ثراء أو مال موروث ، فهو ينتمى لأسرة بسيطة كان لها فى الماضى حظ من الثراء والجاه سلبتها اياه الحرب الأهلية المعروفة •

وهكذا نشأ فوكنر نشأة متواضعة فى جنوب أمريكا حيث ولد ، وتقلب فى عدد من المهن لا يربط بينها سوى الرغبة فى الاحتمال والجلد فى مواجهة الحياة • ومضى كأى ناشىء يتنسم مدارج الشهرة ، لكن الشهرة لم تنزل عليه الا فى أواخر حياته حين فاز بجائزة نوبل عام ١٩٥٠ ، وعندئذ ازداد اهتمام الناس به ، وتضاعفت طبعات كتبه ، وترجمت أعماله الى كثير من لغات العالم المختلفة •

غير أن ثمة عاملين أثرا فى حياته وأدبه غاية الأثر ، وهما عاملان تجمعهما صفة الحرب لكنها تفرق بينهما فى الزمن : أولاهما الحرب الأهلية التى نشبت بين ولايات الجنوب وولايات الشمال الأمريكية فى نهاية القرن الماضى ، وثانيهما الحرب العالمية

الأولى التى اشترك فيها فوكنر طيارا فى سلاح الجو البريطانى ، والتى كان من نتيجتها أن تحطمت طائرته أثناء الحرب مرتين ، تعرض فيها للموت لكنه نجا فى النهـاية . ومعنى هذا أنه عاش يجتر ذكريات الأولى وآثارها القاسية بما كان يسمعه ويراه من حوله فى الجنـوب الأمريكى ، بينما كابد الثـانية واكتوى بآثارها التى هزت القيم الانسانية ، ونزعت من نفوس الناس الاحساس بالامن والسلام .

وقد عاش فوكنر ــ أيضا ــ يفكر فى ذكرياته وتجاربه ، ويحاول فى الوقت نفسه أن يمزج بين عالمه الذاتى بما فيه من قنوط وأمل والموضوعى بما على صفحته من زحام الخراب والتناقض . وخرج من عملية المزج هذه ، أو المعاناة بمعنى أصح ، بأمل حاول أن يشدد عليه باستمرار فى كتاباته ، وهو أن يحتمل الانسان أكثر مما احتمل ، وأن يساعد الشاعر والكاتب الانسان على الاحتمال والجلد . بل انه يفسر ذلك ، فى خطابه الذى ألقاه عندما تسلم جائزة نوبل ، بقوله :

« فى عقيدتى أن الانسان لن يبقى لمجرد البقاء . بل انه سيسود ... انه خالد ، لا لكونه وحيدا بين مخلوقات تتمتع بصوت مسموع ، ولكن لأنه يملك روحا قادرة على الحنان والتضحية والجلد . وواجب الشاعر والكاتب أن يكتب عن هذه الأمور ... ان امتيازه هو أنه يعاون الانسان على الاحتمال والجلد ، وذلك برفع معنوياته وتذكيره بالشجاعة ، والشرف ، والأمل ، والاعتزاز بالنفس ، والحنان ، والرحمة ، والتضحية ، وكلها أمور أقامت مجده فى الماضى » .

لكن ماذا فعل فوكنر للجنوب ــ جنوب أمريكا ــ الذى قضى فيه جل حياته ؟ .. هذا ما يحاول الرد عليه التحقيق المسهب الذى كتبه هوراس جدسون ، ونشرته مجلة تايم الأمريكية ، ونعرض له فى الصفحات التالية .

لقد ظهر فوكنر على غلاف مجلة تايم مرتين : الأولى عام ١٩٣٩ باعتباره «الشخصية الرئيسية » فى الحياة الأدبية بالجنوب ، وثانيتهما هذا العام حين فكرت المجلة فى بحث مشكلة الزنوج والتفرقة العنصرية . وكان أن اكتمل لديها نحو ٧٠ صفحة عن المشكلة وافاها بها مراسلوها فى مختلف أنحاء العالم ، لكنها لم تقنع بهذه الحصيلة ، فلجأت الى مصدر آخر حى ، هو الأدب . وعهدت الى جدسون ببحث رأى فوكنر فى الموضوع ، فقرأ ١٣ مجلدا من أعمال فوكنر خرج منها بهذا التحقيق الذى جعلنا عنوانه على رأس الكلام .

هل الجنوب معسكر حرب ، أم تراه منطقة تحاول التسليم على كره منها بقانون الحقوق المدنية الظالم ؟ هل هو يبحث عن فهم لتأخير ما لا مفر من حدوثه ؟ أم أن ثمة جرحا عميقا لا يندمل على مر الأجيال ؟ هل الفقر هو الذى يسود ويحكم ، أم هو الجنس ؟ ما الذى يقصى الجنوبيين ويعزلهم ، وماذا يكمن فى معتقداتهم وسلوكهم ؟..

رجل واحد كان يعرف الحقيقة هو وليم فوكنر . فقد ولد ومات بولاية المسيسبى وبذل جهده ــ فى كل انتاجه البالغ ١٩ رواية ، ٨٠ قصة قصيرة ــ كى ينفذ الى مغاليق الحياة فى الجنوب عن طريق التاريخ والقلب ، كى يرى الأرض رؤية تبدأ بحالة البرية

الأصيلة التى كانت عليها ، ثم حالة ترويضها ونهبها على أيدى المستوطنين الأوائل وعبيدهم • وكانت جريمة الجنوب فى نظره هى الرق الذى تتوارثه الأجيال ، كما كانت انسانية الزنجى المتهنة بمثابة اللعنة الأبدية على الأرض ومن عليها من بيض •

لقد كان الرق سببا لكارثة الحرب الأهلية التى وحدت الجنوب ومدته بأساطيره ، رغم أنها أفقرته • ورغم تشبث البيض المهزومين بالماضى الذى كانت فيه المسيسبى من أغنى ولايات الاتحاد ، الا أنهم خشوا قلتهم أمام الكثرة من الزنوج ، فركبوا رءوسهم ، وحاولوا تبرير جريمتهم ازاء الزنوج ، ورفضهم الاعتراف بهم أو بحقوقهم •

ولم يكن من الغريب اذن أن تعرف قصص فوكنر اللحظة التى يكره فيها الطفل الزنجى لأول مرة ، وما يحدث فيها لمن يستخدمون غيرهم من البشر كأدوات • كذلك عرف فوكنر واقع المأساة معرفة ذكية عميقة ، وبث فى أعماله أمله فى أن يأتى يوم على القلب المشغول بالصراع والضمير المعذب يتم فيه اجلال الأرض ومن عليها ، بلا تفرقة أو استعباد ، واعتراف الانسان الأبيض بأخيه الزنجى اعترافا اختياريا قائما على الوعى والمسئولية •

وفوكنر نفسه عومل فى حياته معاملة قاسية ، وعد كاتبا اقليميا ، ولا يزال كثيرون من البيض فى الجنوب يعرضون عنه بحجة غموضه وعنفه وصعوبة أسلوبه واحتفاله بذنب يدعون أنهم لا يحسونه • ورغم هذا كله فهو الكاتب الوحيد فى أمريكا الذى فهم أزمة الجنوب فهما حنونا مخلصا •

وقد استمد شخصيات ١٥ رواية من المنطقة التى عاش بها ، بل وأدار أحداثها فيها ، وكان يعيش فى مقاطعة ريفية تدعى يوكناباتاوفا ، يقطنها ١٥٦١١ نسمة ، تضم ٩٣١٣ نسمة من الزنوج ، وتقع بين التلال وحقول القطن فى **شمال المسيسبى** ، وقد تشبع عن تاريخها وأجيالها وأساطيرها ابتداء من سكانها الأوائل من الهنود الحمر ، وكان يعرف الكثير عن سكانها ويحكى لمعارفه الكثير من الحكايات مما لم ينشره عنهم ، ويتخير منهم ومن أسرته أبطال رواياته ، كشخصية الكولونيل جون سارتوريس فى روايته المعروفة بهذا الاسم ، وهى شخصية استمدها من شخصية جده الأكبر لأبيه الكولونيل وليم كوثبرت فوكنر الذى كان ضابطا فى جيش الاتحاد ثم تحول الى الاشتغال بالهندسة والسياسة ، وقتل فى حياته رجلين فى معركة بالبنادق ، وكان مصيره ــ هو نفسه ــ القتل على يدى شريك سابق له •

غير أن يوكناباتاوفا لم تكن مجرد ميدان للروايات وأشخاصها ، ولكنها كانت مرآة سحرية تعكس صورة عميقة الغور للجنوب بأسره ، وصورة أخرى لفوكنر المؤرخ المدقق العليم بتفاصيل الواقع وأسراره •

ولعل أحدا لم يعش بكليته فى الجنوب ومن أجل الجنوب كما عاش فوكنر الذى كان مرتبطا بالأرض ارتباطا عميقا يكاد يكون صوفيا ، وقد تسلط عليه أعمق أسرار المنطقة ، أو ما دعاه هو بلعنة الأرض •

وقد صور ذلك بعاطفة غلابة فى روايته « **ضوء فى أغسطس** » حيث تتذكر بطلتها

معدية جوانا بردن اليوم الذى اصطحبها فيه أبوها المعارض للرق الى مقابر الأسرة وقال لها ، وهى بعد طفلة :

« **ان جدك وأخاك يرقدان هنا قتيلين ، لا بيدى رجل أبيض ، ولكن باللعنة التى صبها الله على جنس بأسره قبل أن يفكر فيها جدك أو أخوك أو أنا أو أنت ٠٠ جنس كتبت عليه النهاية واللعنة لتكون ، دوما والى الأبد ، جزءا من نهاية الجنس الأبيض ولعنته نظير خطاياه ٠ تذكرى هذا ٠ نهايته ولعنته ٠دوما والى الأبد ٠ نهايتى ولعنتى نهاية أمك ولعنتها ٠ نهايتك ولعنتك ، حتى وأنت طفلة ٠ لعنة كل طفل أبيض ولد وسيولد ٠ وليس ثمة أحد بقادر على أن يفر منها** » ٠

وتمضى جوانا فى التعليق على العود للماضى بقولها :

« **لقد رأيت وعرفت الزنوج منذ كان بوسعى أن أتذكر ٠ وأنا انما كنت أنظر اليهم كما أنظر الى المطر أو الأثاث أو الطعام أو النوم ٠ لكننى لم ألبث ان رأيتهم ، للوهلة الأولى ، فى اهاب الأشياء لا فى اهاب البشر ، رأيتهم ظلا عشت فيه ، وعشنا فيه ، كل البيض ، كل الآخرين ، وكنت أفكر فى كل الأطفال الذين سيأتون الى العالم دوما والى الأبد ، بيض ، يرافقهم ظل أسود يسقط عليهم بالفعل قبل أن يتنفسوا** » ٠

وفى رواية أخرى نلتقى بصبى ذى سبعة أعوام يدعى روث ادموندز ، صادق صبيا زنجيا منجيرانه يدعى هنرى٠ وكانت صداقتهما من العمق بحيث اعتادا أن يلعبا معا ويأكلا معا من اناء واحد ، بل وينامان فى سرير واحد ٠ وفجأة « **انحدرت الى روث ذات يوم لعنة آبائه القديمة ، ذلك الفخر المتعالى القديم الذى لا يستند الى اية قيمة بقدر مايستند على حادثة جغرافية ، والذى لايستمد أصوله من الشجاعة والشرف بقدر ما يستمدها من الخطأ والعار ٠** » وكانت النتيجة أن أصدر روث مرسوما حكم فيه على هنرى بأن ينام على الأرض ، بل وعلى مرتبة من القش ٠ لكن هذا الخطأ الذى استهل به روث حياته ، بانكاره للمساواة ، لا يلبث أن يمزقه ويدعه فى حالة « **غضب عنيف نتيجة للحزن الذى لا يستطيع أن يشرحه ، أى ذلك العار الذى لا يسلم به** » رغم أنه يرتكبه !

أما كيف تمتد حياة المسيسبى فى بطون التاريخ فقد صورها فوكنر فى رواية قائمة بذاتها ٠٠ ذلك التاريخ العنصرى الحافل بالانكار والرفض للمساواة والقيم ٠ وفى هذه الرواية صور فوكنر كبت العبودية القاتل ، وعجرفة ملاك المزارع الذين يدعون الفتيات ا لزنجيات الى مخادعهن ، ثم ينجبـــون منهن ، ويرفضوا الاعتراف بأولادهم المولدين ، خشية اختلاط الدماء ٠٠ دمائهم النظيفة !

وفى مجموعة من قصار القصص والروايات عبر فوكنر فى وضوح عن أمله فى أن يأتى يوم يكون فيه التبرؤ والاقلاع عن الرق نهاية لاستغلال جنس لآخر ٠ وهـــذا ما نجده فى شخصية أيك ماكاسلين الذى نشأ فى مدينة جيفرسون وتعلم صيد الغزلان الدببة ، وعشق التيه ومخلوقاته البرية ، وضرب عرض الحائط بثروة أجداده الذين أقبلوا على المكان مع عبيدهم واستولوا على الأرض من الهنود وأقاموا فيها ، وحولوها

الى مزرعة للقطن • وشيئا فشيئا يصبح الصيد متعة أيك الحقيقية ، وتنشأ بينهما علاقة صوفية كالتى نشأت بين فوكنر نفسه والأرض • لكن أيك يخرج من هذا التصوف بنتيجة محددة تتلخص فى أنه لا يستطيع أن يحقق لنفسه السلام ما لم يقلع عن مطالبته بالعبد الذى ورثه أبوه والمزرعة التى تركها لتدار تعاونيا بين زارعيها • وهكذا يسلك أيك ، فيتبرأ من ماضيه ، ويتعرض للنبذ من زوجته وأهله ، ويخسر حقه فى تكوين أسرة ، لكن ثمن التبرؤ ــ كما يقول فوكنر ــ باهظ للغاية ، بل انه قد لا يكون عندئذ كافيا •

وفى رواية « الصخب والغضب » التى يعدها النقاد أعظم أعمال فوكنر نلتقى بمنظار الكاتب الفاحص الذى يكشف عن انعدام الهدف والضياع ، جنبا الى جنب مع الضعف الأخلاقى والنهاية المحتومة التى تعصف بكثير من الأسر المستقرة فى الجنوب منذ القدم •

وحوادث القصة بسيطة ، رغم أن أسلوب تيار الشعور والمونولوج الداخلى فى السرد يجعلها عسيرة التذوق • وأبطالها أربعة أطفال يشكلون أسرة كومبسون الارستقراطية ، وهى أسرة أصابتها اللعنة فبددت تناسق أفرادها وحللت ترابطهم • فالولد ينجى أبله ، والفتاة كادى تحمل من رجل اغتصبها ثم ترحل ، والولد كونتين ينتحر بعد صراع نفسى مرير أعقب اكتشافه لانحلال شقيقته . أما الولد جاسون فيكبر ويصبح رجلا ، لكنه يحزم نفسه بالكراهية والفشل والعنف المكبوت • وتبقى خادمة الأسرة الزنجية العجوز ديلزى جيبسون بمنأى عن هذا التخبط والانحلال • فهى وحدها التى تبدو انسانة مكتملة ، سوية • وقد وجد فيها البعض بساطة الى درجة الكاريكاتير ، لكن الواضح أن فوكنر قصد بها تصوير صفة احتمال الزنجى التى توجد فى أعماق الجنوب مصحوبة بالكرامة والعزة • وهى أيضا اللسان الأخلاقى للرواية الذى يظهر انهيار أسرة كومبسون وانغماسها فى الخمر والملذات والبلاهة والانتحار • بل انها تبقى خلال الحقب الثلاث التى تتعاقب على الأسرة رمزا للقوة والصبر والأمانة . وصماما للأمان بالنسبة للأسرة الفاسدة •

ولعل أبلغ تصوير قدمه فوكنر لمأساة العرق فى الجنوب اليوم يتمثل فى ثلاث شخصيات معروفة فى انتاجه : احداها زنجية والباقيتان للبيض • فقد صور فى رواية « دخيل يلفه الغبار » لوكاس بوشامب الذى يمقته البيض ويعتبرونه « زنجيا سليطا ملعونا شامخا بانفه » وقد قدمه فوكنر كنموذج للشجاعة ورباطة الجأش بدرجة يحسد عليها أى زعيم للحقوق المدنية • أما الشخصيتان الأخريتان فأولاهما لرجل أبيض يدعى جافين ستيفنز ، وهو محام يتولى الدفاع عن بوشامب أثر اتهامه بقتل رجل أبيض ، وستيفنز هنا نموذج للرجل الأبيض المعتدل السلبى الذى يسخط على تصرفه نتيجة لمعتقداته الصارمة • والثانية لأبيض يدعى تشيك ماليسون ، وهو فتى يتحمس للدفاع عن بوشامب والشهادة له ، لكنه حائر بين التقاليد الموروثة والثورة عليها لصالح الانسانية • وقد جاء به فوكنر كنموذج للجيل القادم الذى ينبغى عليه حمل عبء تسوية المأساة واصلاح ما أفسده الآباء والأجداد •

غير أن فوكنر لم يتخصص مع هذا كله فى الكتابة عن مشكلة الزنجى فى الجنوب فحسب ، ولكنه تعرض أيضا لمشكلة الأبيض نفسه ، وعالج أمراض المجتمع بأسره وأسلوب الحياة فيه · وفى ثلاثيته التى تبدأ برواية « نموذج هاملت » يتحول الى مظهر آخر من مظاهر هذا المجتمع ، فيحكى عن صغار المزارعين البيض واستقلالهم عن بنى جلدتهم ، وعن ظهور رجل غريب الأطوار يدعى فليم سنوبس ، وهو أبيض فاسد الضمير معدوم المبادىء يضع فيه فوكنر ببراعة وقوة كل مأساة الرجل الأبيض الذى يعيش فى الجنوب منبت التراث والتقاليد · وفى الجزئين الأخيرين من الثلاثية ، وهما بعنوان « المدينة » و « القصر » ينتقل فليم الى مدينة جيفرسون حيث تنمو أسرته وتنمو معها آفة التفكك التى لا تلبث أن تقضى على ترابط أفرادها ، وتجعلهم يتخبطون وينحدرون ويتحللون من القيم الانسانية النبيلة ، فينشأ منهم المنحل والنجار والحلاق والقواد ، ويظل سوس الفساد ينخر فى عظامهم حتى يقضى عليهم فى النهاية ·

وكل هذه الروايات والقصص تتميز بذكاء خارق ودقة فى رسم الشخصيات · فجاسون كومبسون ـ مثلا ـ فى « الصخب والغضب » نموذج لابن الجنوب الأبيض الذى يغضبه فشله الشخصى المتكرر ، فيعبر عنه بسطور مثل : « ان ما تحتاجه هذه البلاد هو العمل الأبيض · أما هؤلاء الزنوج الملعونين التافهين فما عليك الا أن تجوعهم عامين ، وعندئذ يرون مدى نعومة الحياة التى يعيشونها » ! ·· وفى مقابل هذه الشخصية نجد رسما متقنا لشخصية ديلزى جيبسون الزنجية الصبورة الثائرة ، التى نالت اعجاب المثقفين الزنوج وروائييهم ·

وثمة سمة أخرى تسيطر على القارىء وتحرك مشاعره عند تذوقه لهذه الروايات، هى أن كلا منها بحث محزن مسهب عن الحقيقة · وفوكنر بهذا ينتمى للروائيين العظام أمثال مارسيل بروست ودستويفسكى ، مما يفسر ذيوعه وشهرته الواسعة فى الخارج، وخاصة فى أماكن كاليابان وفرنسا ، حيث تعتبر دولة الروح أكثر أهمية من علم الاجتماع · ولا غرابة اذن أن فهمت هاتان الدولتان رواياته قبل أن تفهمها بلاده بزمن طويل ، وقدرتاه باعتبارها معالجة درامية لأزمة الضمير فى الولايات المتحدة التى ينكرها معظم الأمريكيين ·

ان روايات فوكنر تشكل تقويما يتضمن صراعه الداخلى المعذب ، وصورة ذاتية عفوية لرجل يخرج الى دائرة البصر ما يعتمل فى نفسه من صراع الوفاء والارادة الطيبة ··

كذلك جعل فوكنر نفسه واحدا من الكتاب ذوى الحظ القليل من الشهرة · فقد كان من النادر أن يدلى بأحاديث خاصة ، وكان اذا فعل ذلك يفعله على كره منه · ومن ناحية أخرى اعتزل الحياة فى منزل ريفى عاش فيه دون أى مظهر من مظاهر اليسر أو المتعة ، بل انه كثيرا ما كان يمتنع عن الرد على التليفون · وحين تم تصوير الفيلم السينمائى المأخوذ عن قصته « دخيل يلفه الغبار » أكرمه المنتج فأقام حفل العرض الأول بمدينة جيفرسون على مقربة منه ، لكنه اعتذر عن حضورها ، لولا أن خالته أصرت على أن يصحبها هو الى دار السينما ، فرضخ لطلبها · ومن الطريف أنه

لم يكن يعنيه أن يرتدى ملابسه دون رباط عنق ، أو أن يظل ذقنه ثلاثة أيام متوالية !

وبعد حصول فوكنر على جائزة نوبل شرع يحمل نفسه مسئولية الحديث باسم الجنوب ، وقد حدث فى فبراير ١٩٥٦ أن أدلى بحديث خاص عن المشكلة العنصرية للصحفى الانجليزى رسل وارين ، جاء فيه : •

« ولو أن الأمور تطورت الى القتال لقاتلت فى صف المسيسبى ضد الولايات المتحدة ، ولو كان هذا يعنى النزول الى الشارع واطلاق الرصاص على الزنوج » !

لكنه قال فى الحديث نفسه يصف الزنوج بأنهم « **على حق** » ، وأن العنصريين البيض «**على خطأ وموقفهم غير حصين** » •

غير أن الصحفى جعل الحديث بعنوان « **اطلاق الرصاص على الزنوج** » • وعندئذ ثارت ثائرة الزنوج ومثقفيهم ، واتهمه الشاعر والروائى الزنجى جيمس بالدوين بعدم الأمانة • لكن فوكنر أسرع فارسل خطابات الى كثير من الصحف يتهم فيها الصحفى الانجليزى بأنه أساء الاستشهاد بكلامه • **غير أن ما أغفلته الخطابات بالطبع هو أن فوكنر كان قد اشتبك أثناء اجراء الحديث فى معركة مع أخيه جون الذى كان متحمسا للتفرقة** •

وكان فوكنر الى مماته يعتبر متطرفا فى نظر أبناء الولايات الشمالية • أما فى المسيسبى فيذكر هودينج كارتر أن الناس الذين ظلوا يقسمون أن **بيل فوكنر واحد منا** » ، لم يلبثوا فى منتصف الخمسينيات أن دعوه باسم « ويللى **محدود الذهن عاشق الزنوج** » ! •• ومن ثمة تعرض فوكنر لحملة عدوانية من المعاكسات التليفونية وامتناع المحلات التجارية البيضاء عن التعامل معه •

غير أن هؤلاء وأولئك كانوا على خطأ • فليس ثمة رجل كان وفيا بأرضه وشعبه كما كان هو ، لكنه كان يرى أن يعالج الجنوب نفسه بنفسه ، **حتى يحقق فى النهاية** شعار « **شعب واحد ، قلب واحد ، أرض واحدة** » •

ومع هذا كله لم يكن فوكنر يعرف كل شىء عن الجنوب – عن الجنوب الجديد على الأقل • فقد كان يعرف عددا من الزنوج معرفة جيدة ، لكنه لم يعرف أى زعيم من زعماء الحقوق المدنية على الاطلاق ، باستثناء بضعة لقاءات عابرة ، ولم يفهم أو يصور الزنوج المتحضرين المتعلمين الذين كانوا رأس الحربة فى قتال الحقوق المدنية •

ان فوكنر لم يفهم القانون والتشريع بقدر مافهم الحقائق الانســـانية • فهم كذلك أن الأزمة بين الأبيض والأسود ليست أزمة الجنوب فحسب ، ولكنها أزمة كل أمريكى ، مهما فصلته عن المسيسبى أميال عديدة • ويكفيه أنه استمات فى حث اخوانه أبناء الجنوب – وحث نفسه أيضـــا – على أن يغيروا ما فى قلوبهم •• لكن كيف ؟ ••

لقد اكتفى فوكنر باثارة المشكلة ، ولم يوضح الطريق التى تؤدى الى حلها ، لكن

لو أن ثمة رسالة خلفها فهى أنه نبه اخوانه البيض من أبناء الجنوب والأمة بأسرها على الضرورة الملحة لهذا التغيير ٠

ان صورة وليم فوكنر فى هذا التحقيق المسهب الذى كتبه هوراس جدسون ترينا كيف يكون الجلد والصبر على المكاره عاملا من عوامل مغالبة أزمات الحياة والانتصار عليها ، وكيف يكون الأدب ـ والفن القصصى بصفة خاصة ـ مصدرا لا غنى عنه للباحث عن الحقيقة العلمية واليقين ٠

وفوكنر لم ينس أيضا أنه انسان ينبغى عليه أن يساهم فى اسعاد أخيه الانسان، ببذل الامكانيات المادية له الى جوار الفن وتغذية الوجدان ٠ فقد أسس قبل وفاته مؤسسة أدبية لنشر الآداب والفنون ، ورصد لها ميزانية خاصة ، تتيح للمتصلين بها فرص التعلم بما تقدمه لهم من منح دراسية فى الداخل والخارج على السواء ٠

حقا ، كان فوكنر أديبا انسانا ، جالد الحياة واحتملها ، وبث فى قارئه روح السخط على السلبية والقنوط ٠

زوايا وأنباء

● **نشرت** جريدة الفيجارو الفرنسية الأدبية بعددها الصادر فى ١٧ سبتمبر الماضى ترجمة لتسجيل مؤتمر عقده فوكنر ـ فى ابريل ١٩٦٢ أى قبل وفاته بشهرين ونصف ـ فى كلية وست بوينت العسكرية أمام عدد كبير من ضباط المستقبل ، وهو تقليد استنته الكلية لزيادة الصلة بين طلبتها والأدباء المعروفين ٠

وقد أجاب فوكنر عن عدد كبير من أسئلة الطلبة ومنها أسئلة محرجة عن موت هيمنجواى المفاجىء ، والحياة المعاصرة وتعقيد أسلوب فوكنر وطول عباراته وطريقته فى الكتابة ٠

وقال انه يعتقد ان وفاة هيمنجواى لم يكن حادثة عرضية بقدر ما كان متعمدا فانه كتب بنفسه كلمة « النهاية » لحياته ٠ لكنه ـ أى فوكنر ـ يرى أن هيمنجواى تسرع وأخطأ ! ٠

● **صدرت** بباريس رواية جديدة للكاتب **آلان بوسكيه** أحد أنصار حركة الرواية الجديدة التى يتزعمها آلان بوسكيه ٠ **عنوان الرواية « الخلود الصغير » ، وتدور حول ضابط فرنسى برتبة مقدم اتهم عام ١٩٤٤ بتهمة الخيانة العظمى اثر اكتشاف اشتراكه فى مؤامرة للاغارة على مدينة روين ٠**

ورغمان هذه خامس رواية لبوسكيه الا أن الناقد فرنسوا نوريزييه حمل عليها وانتقدها فى مقال نشرته صحيفة « الآداب الجديدة » الفرنسية ، وأخذ عليه الثرثرة وكثرة التفاصيل ، والتزامه طريقة السرد التقليدى التى تعتمد على الضمائر : أنا وأنت وهو ، وتدخله كمؤلف بحيث يبدو بديلا للشخصيات ٠

● فى حديث مع كونستانتين شوجونوف ، بمجلة الأدب السوفييتى ، صرح مارتن وكراماسينغ ، أشهر روائى فى سيلان ، بقوله :

« ينبغي على الكاتب ألا ينعزل عن واقع الحياة • ولو أنك أوتيت القدرة على الخلق **فينبغي أن تخلق أعمالا تثرى الناس بمعرفة الحياة وترفع معنوياتهم • وواجبنا المبدئي ككتاب هو أن نكرس فننا للناس ، وأن نلهمهم فى نضالهم من أجل السعادة والعدالة »** •

● **عرض** هذا الباب فى العدد الأول من « القصة » للمؤتمر الكبير الذى شهدته مدينة لينينجراد فى أغسطس من العام الماضى ، وحضره عدد كبير من كتاب القصة والرواية فى مختلف أقطار القارة الأوربية ، وكان موضوعه الأساسى قضية الرواية ومستقبلها كجنس أدبى متميز • **وقد كان من آثار المؤتمر أن أطلق لفيف من الكتاب على عام ١٩٦٣ اسم « عام الرواية » • بل ان مجلة « الأدب السوفييتى » تنبأت فى أحد أعدادها الأخيرة بأن « عام الرواية » لن يغيب عن الأذهان ، وأنه سيظل موصولا بما يليه من الأعوام ، نتيجة لما حققه من ترابط بين كتاب القارة على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم الفنية والفكرية ،ـ وما أثاره من مناقشات جادة** •

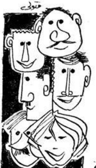
● **بلغ** الكاتب السوفييتى **نيكولاى أوستروفسكى** عامه الستين فى الثامن والعشرين من سبتمبر الماضى ، وهو معروف بروايتيه : **« كيف ذاب الفولاذ » ، و « وليد العاصفة »** •

● **قضى** الناقد السوفييتى **ايفان كاشكين عاما** بأكمله فى دراسة أعمال الروائى الأمريكى الراحل **أرنست هيمنجواى** ، وخرج من هذا العام بكتاب صدر بالروسية ضمنه فصولا عن فن هيمنجواى وأسلوبه الروائى • ومن هذه الفصول واحد بعنوان : « المضمون ـ الشكل ـ المضمون » عالج فيه أسلوب هيمنجواى وقارنه بتشيكوف ، وأوضح الحاحه على الزمن وقضايا الانسان ، وتنوع شخصياته ، وسخريته التى تسم معظم أعماله ، واحتفاله بالأشياء المحسوسة وبالحوادث • ويقول كاشكين : « **لقد حول هيمنجواى دقة التفاصيل فى نثر تشيكوف ، والعمق التحليلى لدى تولستوى ، والتغطية المعهودة فى مسرح تشيكوف ، حول ذلك كله بطريقة تجبرنا على التسليم بأن حاصلها** لا ينتمى لأحد قدر انتمائه لهيمنجواى نفسه » •

● **فاز** بجائزة لينين فى الأدب والصحافة والفن هذا العام ستة من أعلام هذه المجالات الثلاثة ، وكان القصصى الوحيد الفائز بها هو **أولس جونشار (٤٦ سنة) وهو كاتب وروائى معروف من أوكرانيا ، له عدة أعمال ناجحة آخرها روايته «ترونكا» التى اعتبرها النقاد أضخم حدث أدبى فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٤ ، وقد طبع منها ٧٠٠ ألف نسخة نفدت بأجمعها ، وتدور أحداثها فى مزرعة للأغنام بشمال أوكرانيا ، حيث تتحول حياة الشعب والفلاحين وتتخذ مظهرا جديدا يتفق مع نهضة الاتحاد السوفييتى وانتصاراته** •

● يصل القاهرة هذا الشهر الفيلم المأخوذ عن رواية **« مصرع عصفور الجنة » للكاتبة الأمريكية هاربرلى (٣٨ سنة) ، وقد سبق أن نالت هذه الرواية التى تعالج قضية التفرقة العنصرية وتدينها جائزة بوليتز لأحسن رواية عام ١٩٦٠ • واعتبرها النقاد أروع عمل من نوعه بعد رواية « ذهب مع الريح » المعروفة** •

بين القصة والقراء



يقدمه : ثروت أباظة

هذه قصة من الأردن الشقيق اختار صاحبها القاهرة مسرحا لأحداثها ، وهي قصة على قصرها فيها نبض وفيها فنية • وأخشى اذا مضيت فى الحديث عن القصة أن يصبح الحديث عنها اكبر منها هى نفسها •• فاليك هى دون كثير من التعليق أو الشرح •

الرغيف

من الأدب الأردنى

بقلم غطاس صويص

خرج عم صابر فى الصباح الباكر ولم تزل صفرة الفجر تعكس لونها الشاحب على وجهه الاصفر النحيل.. وكانت خطواته المتثاقلة من أثر نعاس الليل والسنين ترن متقطعة باهتة لتردد صداها الزوايا المعتمة فى ازقة سيدنا الحسين ، وفى اذنه ترن كلمات زوجته :

والله صبرت ونلت ... ها قد وجدت عملا فى النهاية •• الله يخلى أولادك ياابو المعاطى ...

نعم فلولا المعلم أبو المعاطى لما وجد الى العمل سبيلا وها هو ذا الآن فى طريقه للبناية التى يقوم المعلم ببنائها بمصر الجديدة .

وصل عم صابر الى مكان العمل بعد ان اقترض من ابى محسن البقال نصف ريال أجرة للطريق والطعام • ومر النهار بطيئا وشاقا مضيفا لعمره شهورا بعد الستين •

وارتفع صوت أبو المعاطى •

ـ ياعم صابر .

وهرول عم صابر نحوه لاهثا •

ـ اسمع ياعم صابر ، اريدك ان تبقى هنا لتحرس ادوات الشغل لحين قدوم حارس الليل ...

واستمر وهو يركب السيارة .

ــ وكلها قعدة .

فلاحقه صوت عم صابر .

ــ حاضر يامعلم حاضر .

ومرت الساعات كابر المروفين تخدر حواسه فيفتح عينيه الكليلتين ليراقب ادوات العمل المتناثرة فى كل مكان .. لماذا تأخر الحارس حتى الآن .. وبعد منتصف الليل توجه الى محطة المترو ، ووقف ينتظر ومن كشك قريب ارتفع نداء : فول .. طعمية .. كبده .. فتحسس التعاريف القليلة فى جيبه وادار وجهه فوقعت عيناه على امراة تسير على الجانب الآخر من الطريق فتذكر زوجته .. وعضه الجوع .. فتناول رغيف الفول ورفعه الى فمه .. وكانت المراة قد وصلت اليه فأخذ ورقة من البائع ولف الرغيف باحكام وهو يتمتم : سآكل فى البيت بعد اقتسام الرغيف مع أم كمال ..

ومر المترو فاحتضن الرغيف وهو ينظر بحسرة للمترو ينطلق بعيدا .. ولمح على مؤخرته رجلا .. انه يركب بلا نقود .. والطريق طويل . وجاء مترو آخر وقبل أن ينطلق كان عم صابر قد تعلق به من الخلف وهو محتضن الرغيف بين ذراعيه ..

وسار المترو طويلا . ودب الخدر فى أعضاء عم صابر المرهقة فتراخت يداه وسقط على الشريط الحديدى ومر مترو جديد .. وعلى أضواء النيون الصفراء الشاحبة رأى راكبو المترو رغيف الفول وقد شطر الى قسمين .

هذه قصة احمد عاصم . والقصة جيدة وانى انشرها برغم الخطاب الذى وصل الى بعدها . لالشىء الا لأنها تستحق النشر . لكن هذا لايعنى أن يحسب أحمد عاصم ان خطابه المحموم كان له أى أثر فى نشرها بل لعله كان سيصبح ذا أثر فى عدم نشرها . فان اسم الادب فى ذاته يعنى معانى كثيرة من ضمنها ان يمسك الانسان قلما ويكتب ولكن ليست هذه هى كل معانى الأدب . ولولا حرصى على وقت القراء وورق المجلة لشرحت فى تفصيل ما ترمى اليه كلمة الادب من معان . ولعل الكثير من القراء فى غنى عن هذا الشرح . وارجو أن يقرأ أحمد عاصم ابو رحاب ما يجعله فى غنى عن هذا الشرح هو ايضا .

نجرو والنهر

بقلم احمد عاصم

وضع يديه فى جيبيه وسار بدون اكتراث .. كان اسود اللون ، قميئا . واما ملابسه ، فاثر غابر من آثار الماضى ، فسرواله ممزق لايكاد يصل الى نصف الحذاء ــ اعنى الحذاء الممزق ــ الذى كان يرتديه . وقميصه خرقة بالية لا تكاد تستر من جسده جزءا الا لتعريه .

وراح يرمق الناس بضيق ونفور . حقا ، لم يكن من الصعب أن يضبط الرائى نظرات الكراهية والمقت تطل من عينيه الضيقتين . وكان من الواضح انه يعانى ويتعذب . ومع ذلك فقد غلب مظهر اللامبالاة على ذلك الفتى ، فاصبح من أشد سماته التصاقا به ودلالة عليه .. لقد كان حقيقة مسكينا ، نجرو هذا !

كان فى التاسعة عشرة من عمره

نشمى .. والأولى بمن كان فى مثل هذه السن ان يمرح ويلهو الا ان صاحبنا نجرو لم يكن ليفعل ، فاللهو والمرح ــ يقول نجرو دائما ــ لا يصح ان يأمل فيهما فقير .. دميم !

وقال لنفسه : « الآن ، سيبحث عنى (المعلم سعيد) صاحب القهوة ويسال . وهو من بعد البحث ومن بعد السؤال سيأخذ فى السباب والوعيد .. وسيقول لزوجته ما رايك فى هذا؟! وستذكره هذه برأيها القديم الازلى ، وستصيح ــ تبالها ــ الم اقل لك ؟! ان من كان غبيا عبيطا مثل نجرو ، لايمكن ان يؤدى ايما عمل قد يعهد به اليه» .

ونظر نجرو ــ نظرة جانبية بطبيعة الحال ــ الى بائع سميط ، يعلن عن بضاعته بحماسة ، وتظاهر بأنه غير مهتم !

وعاد الى افكاره : « نجرو العبيط .. هذا هو ، نجرو اسمه والعبيط لقبه » . واخذ يحصى اعمدة النور التى كان يمر امامها .. (واحد) نجرو العبيط (اثنان) هذا هو (ثلاثة) نجرو اسمه والعبيط لقبه !

ونظر اليه طفل مار نظرة مرعوبة .. ولم يعبأ به ، ولكن الدموع بدأت تتجمع فى مقلتيه .. لقد كان شائه الخلقة الى درجة غريبة ، فحق لذاك الطفل ــ اذن ــ ان يخاف . ولكن ، لم ير نجرو انه من اللائق ان يطلعه الطفل على خوفه ذاك .. وتوقف قليلا ، لقد امتهن الطفل كرامته .

واستمر فى السير ، وراح ينظر خلفه باحثا عن الطفل اللعين . فلما وجده يسير متعلقا بذيل امه ــ رمقه بنظرة غاضبة ، رأى فيها العقاب العادل لذلك الوقح المتطفل !

وعادت أفكاره تحوم حول .. المعلم سعيد ، والقهوة .. وشعر بالسرور عندما فكر فى المتاعب التى سيسببها غيابه .. «سيسب المعلم ويعلن لزوجته سخطه» ، وعلى هذا فانت مهم حقا يانجرو .. وابتسم ابتسامة واسعة .

ووصل الى .. (ميدان التحرير) . وهذا الميدان ــ راح يؤكد ــ سخيف وبغيض ! انهم يفرضون على الناس عدم عبور الطريق الا اذا سمحت بذلك اشارة صفراء سخيفة ، مجرد ضوء أصفر ! وضحك نجرو بمرارة ، وقال : «ولكنى لن انتظر هذه الاشارة» ! وعلى الرغم من انه كان معرضا لدفع مبلغ لايكاد يقبضه فى اسبوع كامل ، الا أنه كان يشعر برغبة عارمة فى مخالفة القانون .. لمجرد مخالفته

وبدون أن ينتظر شيئا ، راح يخترق الطريق المزدحم ، ويتفادى السيارات المجنونة ببراعة يحسد عليها .. كل ذلك وهو يجول ببصره الكليل فى الميدان كله باحثا عن .. رجال المرور .. وكان من الواضح أن احد هؤلاء لايستطيع ان يرفع عينيه عنهم .

واقترب من الطوار ، وزمجرت عربة بصوت مرعب ، جعله يقفز قفزة واسعة .. ولاحقته شتائم السائق البذيئة .. ولكنه ابتسم فى سرور !

«لماذا يسمونه العبيط» ؟ فكر نجرو مليا ثم قال : «هؤلاء الجهلة كاذبون.. أنا أفهم أسرع مما يفهمون ، وأعرف اكثر مما يعرفون .. هؤلاء كاذبون» !

وصاح (بائع لب) من بعيد :«استرها معانا يارب» .. واخذ صدى الكلمة

يتردد فى ذهن الفتى نجرو . كان من الواضح أن الله لن يسترها معه أبدا ، فهو ـ اولا ـ لن يستطيع العودة الى القهوة ، فالمعلم سيطرده كالكلب اذ خرج بدون استئذان .. وهو ـ ثانيا ـ يشعر بالجوع ولا يجد امامه وسيلة صالحة للحصول على طعام الا التسول .. ومع ذلك فهل اقدم انا على مثل هذا العمل المهين ؟ قال نجرو ذلك لنفسه .. واختلس نظرة الى (بائع بطاطا) واستطرد قائلا لنفسه ـ : « اننى احترم نفسى ، ويجب ان يحترمنى الجميع » .. ولكن احدا لا يفعل ـ واضطر الى الاعتراف بذلك آسفا ـ ان احدا لا يحترمه ، حتى .. بهانة !

ايه يا بهانة ! ـ همس نجرو ـ اين انت الآن ؟ لا بد انك جالسة أمام القهوة تبيعين حلواك القديمة المتربة . وتعرضين وجهك الجميل لنظرات رواد القهوة النهمة ..

وعوى كلب قريبا منه ، فنظر اليه بعطف ، كان احدهم قد قذف الكلب بحجر .. «لماذا فعلت يا بهانة مافعلت؟ كل عبارات السباب هذه لمجرد اننى قلت : يا بهانة ، احبك » ؟

وانحدرت دمعة ساخنة على خده المتغضن ، فمسحها بكم قميصه القذر .. واسرع قليلا فى مشيته ، كما لو كان يحاول الهرب من كلمات السباب التى وجهتها اليه الجميلة بهانة .

وحاول ان يفكر فى شىء آخر . فانبعثت امامه صورة (الافندى) المخنث الذى دأب على مغازلة بهانة كل يوم .. وهكذا عاد ـ بدون ان يعى ـ الى .. بهانة !

كان الافندى يجلس على مائدة (خارجية) ، فتنظر هى اليه نظرة ملتوية .. وتضحك ضحكة طويلة لها (ذيل) طويل ، كان يلسع نجرو فى قلبه! وكان الرجل يبدو سعيدا بهذه الضحكة المليئة بالدعوة ، وكان ذلك يضايق نجرو ويضنى لياليه .

«نجرو العبيط .. نجرو الخائب.. نجرو ، نجرو » .. وتلفت حوله بفزع، ولكنه لم يجد احدا . وتنبه الى انه تجاوز ميدان التحرير ، ووصل الى .. (كوبرى قصر النيل) . ونظر الى الاسدين الرابضين نظرة متأملة . وتمنى لو استطاع أن يستعير احدهما من (البلدية) فيأخذه ليلتهم المعلم سعيد وزوجته ، والافندى وبهانة !

وسار على الكوبرى وبدأ يوجه اللوم الى .. نفسه ، فهو لم يرضه أن يتمنى لبهانة ذلك ! وقال لنفسه «نجرو .. انت حقود» !

ونظر الى بعيد . فوجد شابا يسير مع فتاة ، واقترب الاثنان منه ، فنظر اليهما بحسد واضح . ولاحظ أن الفتاة نظرت اليه نظرة فاحصة ، ثم همست فى اذن مرافقها بكلمة جعلته ينظر اليه بدوره ثم يستغرق فى ضحكة عالية صاخبة ، آلمت نجرو ، وضايقته وفى النهاية أبكته !

واستند الى السور ، وراح يبكى فى صمت ... وشعر بالمهانة والضعة ، وأخيرا قال لنفسه : يانجرو انت .. لا شىء» !

وصاح فى غمرة آلام قلبه : «اننى أكره العالم ، أكره الجميع ، حتى بهانة» ولم يتوقف هذه المرة ليراجع نفسه

فيعاتبها ، فلقد تراءى له ان بهـانة ظالمة جاحدة ، ظلمته وجحدت حبه . ونسيت انه لايد لأحد فى فقره أو غناه ، وفى دمامته أو وسامته !

وحانت منـه نظرة الى الشمس ، فوجـدها قد أوشكت على الزوال .. وعاد يستند الى السور ، الا انه شعر أن دموعه قد بدأت تنفد ، وانه قد بدأ يستريح .. وفكر فى الامر ثانية ، فوجد أنه كان مخطئا فى اتهـاماته لبهـانة . فما ذنبها هى ؟ انها فتـاة جميلة ومن حقهـا أن تتطلع الى الرجل الذى يمكنه أن يسـعدها بوسامته وغناه .. ولم يسترح تماما الى هذا المنطق ، ولكنه قرر أن يكف عن مناقشة الموضوع .

وحانت منه نظرة ثانية الى النهر .. وكفت دموعه فجأة عن الجـريان ، بل كاد قلبـه يكف عن الخفقـان ، وراح ينظر الى النهر ويتطلع الى الاضـواء والظلال المرتسمة على صـفحة المياه الوديعة الجارية . وارتسم على وجهه الاسود تعبير عن .. الهدوء !

كانت هـذه هى المرة الاولى التى ينظر فيها الى النهر بمثل هذا العمق ، وبمثل هذه الرغبة فى التمتع .. وسمع صوتا صادرا من اعماقه يقول : « هنا الحياة جميلة ،لماذا تهتم انت بالتفاهات يانجرو » ؟

ونظر الى النهر ، نظر بعمق ، وتردد الصوت : « انظر يا نجرو الى النهر ، لكم هو هادىء ولكم هو وديع . لماذا تثور على الحيـاة ؟ انظر يا نجرو الى النهر » !

ورفـع راسـه المتعب .. ورمـق الكوبرى بنظرة سريعة . واكتشف انه أصبح خاليا تماما من المارة .. وقدر ان الوقت تأخر به ، وان الليـل قد انصرم منه جزء كبير .. وعاد ينظر الى النهر .

كانت الميـاه ساكنة هادئة . ومع ذلك فقد كانت تجرى بتؤدة وشموخ! واهتزت اعطاف الفتى من فرط النشوة وشـعر انه صاحب كل هذا الجمال ! كانت الاضواء المنعكسة على المياه كثيرة متنوعة الالوان .. وعندما راح يعقد مقارنة بين مصادر هذه الاضواء وبين اللوحة الرائعة المرتسـمة على صفحة المياه ، وجد ـ بيقين ـ ان مايراه فى المياه ـ أو عليها ـ أكثر جمالا وروعة .. ونبلا !

وانتقل بخياله الى قـاع النهـر ، وقال : « لابد انه لكتلة جميلة من .. الهدوء » ! وقال ايضـا : « لابد انه انه عالم من السـكون والراحة » .. واخيرا ، قال : « ما رأيك يا نجرو فى هذا كله ؟ » ، ورد عليه صوت : «رائع .. جميل » !

ونظر الى السـماء ، وراح يرصد السـحب .. وقال : « انها تتحـرك بسرعة وتتصارع ..انها كثيرة متزاحمة .. انها ليست هادئة .. انها ليست قريبة » .

وعاد ينظر الى النيل الاسـمر .. وتساءل عما تراه يحدث لو ذهب الى هناك ، الى الاعماق ؟ ماذا تراه يحدث لو انتقل الى القـاع ، حيث السكينة والهدوء ، وحيث السلام ؟ حيث لافقر ينغص عليه عيشته ، ولا قبـح يجعله يبكى ويتوجع امام مرآته المكسورة كل صباح ؟

وتناهت الى سمعه أصوات سيارات مارة من بعيد .. ونظر نحو مصدر الصوت ، والكراهية تنضح من عينيه، وتردد في ذهنه الصوت : « هناك .. حيث السيارات والضجيج ، والمعلم سعيد .. هناك .. حيث الامل الضائع وبهانة بعيدة المنال ، لا يصح ان يعيش الانسان » .

ونظر الى المياه ، كأنما يستلهمها الحل .. وقال باصرار : « يجب ان أعيش فى هدوء .. يجب أن أعيش فى هدوء» . واقترب من السور قليلا وترك رأسه يتدلى ، ليتمكن من اجتلاء منظر المياه جيدا .. ولم ينس وهو يفعل ذلك أن يقول : «آه لو كنت أملك قليلا من النقود» !

وترددت ضحكة عالية قريبا منه ، فالتفت مفزوعا ، ولكن المرأة — صاحبة الضحكة — أسرعت هاربة عندما رأت وجهه .. وراح يرمق ظهرها وهي تبتعد بشيء من المرارة ، وهمس : «فتاة ليل» . وبصوت أكثر علوا ، أردف مسرعا : «فتاة ليل حقيرة» !

وعاد الى النهر ! ولكنه فى هذه المرة كان قد قرر أمرا ، فقد راح يؤكد لنفسه أنه سيجد هناك كل مالم يجده فى الحياة .. هناك الهدوء والراحة ، ولن يطلب منه أحد شيئا .. كما انه لن يعانى ثانية من الهموم والفقر والاوجاع .. ومن الواضح انه — هناك — لن يحتاج الى نقود ! ولن يحتاج الى وسامة أو جمال ، بل انه قد لايحتاج الى وجهه على الاطلاق ! وأخذ يحدق فى النهر كأنما يود ارتشاف مياهه بعينيه .

وسمع صوت حذاء ثقيل يقترب منه — وفى نفس الوقت بدأت الرياح تزأر — ونظر بسرعة ليجد شرطيا ضخما يسير متجها نحوه ، وكان الشرطى ينظر اليه .

وحاذاه الشرطى ، ثم توقف وراح يتأمله .. وأخيرا تساءل بصوت غليظ :

— ماذا تفعل هنا ؟

وبصوت متلعثم — متلعثم حقيقة — أجاب نجرو :

— اننى ·· كنت ·· أتأمل النهر ·

وضحك الشرطى بسخرية ، ثم فجأة قطع ضحكته وصاح كأنه القضاء :

— سأصل الى نهاية الكوبرى واعود .. وعند عودتى ، لااريد ان اراك هنا .

وبدون أن ينتظر الرد سار الشرطى بهدوء ، وهو يجول ببصره فى المكان بحرص وترقب ·· وراح نجرو يتتبعه بشرود .. ووجوم .

وتدافعت السحب كأنما تبحث عن ملجأ تحتمى فيه من الرياح ·· ونبح كلب من بعيد ·· أما النهر فقد استمر على هدوئه .

وانتهى الشرطى من اجتياز الكوبرى الطويل .. وتأهب للعودة . وقبل أن يفعل أشعل لفافة مضى ينفث دخانها بتلذذ ، ثم اتجه ثانية نحو الطرف الآخر للكوبرى .

وهناك ·· عند الطرف الآخر ، قال لشرطى آخر كان يقف هناك :

— لقد طردت رجلا شسانه المنظر مقلوب السحنة ، كان يقف عند منتصف الكوبرى ، وأمرته بالانصراف فهل مر من أمامك ؟

وشاب الشرطى الآخر . ونظر الى زميله بملل ، ثم هز راسه نافضا عنه النعاس ، وبصوت متراخ غليظ قال :

ـ لا !!

محمد كامل محمد سليم : أسلوب خطابك جميل . ولعلك تدهش اذا قلت لك اننى أعجبت بثقتك بنفسك. واعجبنى منك قولك فى اصرار وفى لهجة النذير انك لن ترسل الينا قصصا أخرى حتى ننشر ما عندنا . ثق أن قصتيك لم تصلا الى .. ولم أقرأهما ، فلا عليك ياصديقى ولاتكن غضوبا . ولن أسألك أن ترجع عن تهديدك وانما أرسل الينا واحدة من هاتين القصتين وأرجو أن تجد طريقها الى النشر .

حكم على فتوح : اسلوبك جيد وقصتك تدل على تجربة ولكنك لم تتعمق هذه التجربة وانما جعلت البطل فيها كأبطال القراجوز يحرك أطرافه دون حياة حقيقية فى داخله . والقصة أيضا غير متصلة الحلقات فيها ثغرات فى العرض ولم أستطع الاهتداء الى مايسد هذه الثغرات . لم استطع مثلا أن احدد متى بدأت القصة . وماهى الصلة بين البداية التى بدأت بها حديثك وبين بداية القصة نفسها . كما أن النهاية جاءت مفتعلة افتعالا واضحا . فهذه الفتاة التى تركته يتعذب هذه الفترة الطويلة جاءت فجأة لتكذب ما رسخ فى ذهنه . أين كانت طوال هذه الفترة . لماذا تركته يتعذب . ان النهاية ـ فيما يبدو لى ـ فيها تحقيق أمل ينشده المؤلف لبطل قصته . وفى سبيل تحقيق هذا الأمر اعتسف المؤلف الاحداث اعتسافا دون أن تلد القصة أحداثها . لم تتكون الاحداث فى داخل القصة قدر ماتكونت فى مشاعر المؤلف فلم تتصل المقدمة بالنتيجة ولم يؤد التمهيد الى الهدف هذا لايمنعك أن تحاول ثانية . وكل رجائى ان تحاول التخلص من آمالك ومشاعرك الخاصة نحو أبطالك حتى لاتفرض عليهم طريقا لايتفق وطبيعة عملك الفنى .

احمد موفق جاد الله : قصتك ياسيدى ساذجة غاية السذاجة فى أسلوبها وعرضها جميعا . فلا أنت حافظت على الرمزية ولا أنت اتجهت الى الواقعية ولاأنت أيضا توخيت فنية السرد . وانما اتجهت الى الحديث المباشر حتى لقد خيل الى فى بضع مواقف انك ستذكر الاسماء التى تقصد اليها فى صراحة ووضوح . العمل الفنى لايستطيع أن يكون مباشرا الى هذا المدى . لابد من بعض التخفى فيه . ولا بد أن يؤدى العمل الفنى عنك ماتريد قوله فى صراحة ، فاذا أردنا ان نقول ان الامانة شيء حسن من خلال العمل الفنى فلابد لنا أن نجعل أحداث العمل الفنى نفسها هى التى تقول عنا هذا القول أما اذا قلنا نحن صراحة فكان الأولى بنا ألا نختار له العمل الفنى اطارا .. والمقصود طبعا من العمل الفنى هنا القصة القصيرة أو الطويلة أو التمثيلية . ولكن هناك أشكالا أخرى نستطيع أن نقول فيها الرأى بصراحة ودون استخفاء كالقصيدة أو المقالة . ولعل القصيدة هى العمل الفنى الوحيد الذى يستطيع فيه الفنان أن يقول رأيه بوضوح . أما

المقالة فهى لغة العلماء وليست لغة الفنانين .

عادل آدم : قصتك رائعة ياسيدى. سأنشرها فى اقرب فرصة ان لم أستطع نشرها فى هذا العدد نفسه . وارجو ان تتقبل عميق اعجابى .

دكتور محمد أحمد الشرقاوى :

لاشك ياسيدى الدكتور أنك تملك موهبة قصصية فانت تستطيع إستخدام تجاربك فى براعة فنية ودون اثقال ولكنك استخدمت العامية فى الحوار احيانا ثم استخدمت العربية احيانا ... اتراك عمدت الى ذلك عمدا فجعلت حديث الطبيبين باللغة العربية وغير ذلك من الحوار باللغة العامية .. اذا كنت قد قصدت الى ذلك فهى على كل حال تجربة جديدة ولكنى اخشى ان تتعثر فى طريقها عند التنفيذ فمن الصعب على القصاص ان يحدد بعد ذلك من يتكلم بالعامية ومن يتكلم بالعربية . وهناك عيب فنى فى القصة انك فاجأتنا بحادثة عائلة الطبيب الفرنسى يروى القصة الدكتور خيرى. انك لم تطلعنا عليها الا حين عرضت للطبيب الآخر الدكتور أسامه حادثة مشابهة ولولا هذه الهنة لكانت قصتك جديرة بالنشر . انا فى انتظار قصتك القادمة .

محمد مصطفى الشاملى :

قصتك عادية . والفن لايحب الشىء العادى . احلام فتاة فى باكر شبابها وأبوها مهرب مخدرات كنت تستطيع ان تخرج من هذا الموضوع شيئا جديدا فى العرض . ولكنك قدمت الحكاية وكأنها تحقيق صحفى بلا مشاعر فوارة عميقة ، وبلا نظرات جديدة . ثم انت حتى لم تحاول ان تبقى على القارىء رغبته فى مواصلة القراءة . فمنذ بدأت حكاية المفتاح اصبحت النهاية معروفة ، أرانى مضطرا ان أقول لك هذه الكلمات التى كنت تخاف سماعها ولا اجد لى مناصا عنها . اقرأ . اما أسلوبك فهو غير ضعيف ولكنه ايضا ليس قويا .

عبد المنعم ابراهيم البحقيرى :

هل تعلم انك ذو موهبة لو نميتها لاستطعت ان تقدم الينا شيئا جديرا بالتقدير . الفكرة عندك لا بأس بها ولكنك تحتاج الى قراءة كثيرة والى وقت اكثر . فيبدو انك ماتزال فى البواكير الاولى من الشباب . ولابد أن تستكمل ثقافتك وتجربتك لتكون قصاصا . فلا تستعجل الأيام فعما قريب ستحس بسرعتها الفائقة .

سهيل محمد الحكيم :

أشكرك لأنك رمزت الى اسمك ولم تصرح به فانك بهذا قد اتحت لى أن أقول لك ما أشاء دون اشفاق . قصتك موضوع انشاء بلا حركة فيها على الاطلاق . هى خطاب جامد الى فتاة خانتك . اما الاسئلة التى أرسلت بها الى فيسعدنى أن اجيبك عليها . ليست هناك حدود معروفة لاستعمال اللغة العامية والعربية، أما عن رأيى فانا لاأقبل استعمال اللغة العامية على اية حال ، ولكننى اتغاضى عنها فى الحوار وان كنت لا استعملها فيما أكتب .

وقد يعرض للكاتب فى السرد كله عامية لامقابل لها فى العربيــة فلا بأس عليه حينئذ أن يضع الـكلمة العامية • وأنا اقف موقفــا مخالفا بالنســبة للكلمات الاجنبية فاحب ان اقــول عن الراديو راديو لا مذياع وعن التليفون تليفون لا مسرة وعن البنطلون بنطلــون لاسروال فهــذه كلمات اســتمدت قوتهــا من الاستعمال العالمى . وعدم استعمالهــا فى اللغة العربيــة يفقر اللغــة من جهة ويشــعرنا بمركب النقص من جهــة اخرى . والباحث فى اللغات الاخــرى يجدها قد اخــذت كثيرا من الالفــاظ العربية • والله ســبحانه وتعــالى قد استعمل الفاظا فارســية فى القــرآن كسندس واستبرق وغيرهمــا • أما عن السرد والحــوار فليس على الــكاتب أن يلتزم فى أمرهما جانبا معينا فموضوع القصــة هو الذى يتحكم فى هــذا فان كان يجمل بالموضوع أن يعرض وفيه كثير من الحــوار فــلا بأس وان كان الأجمل به ألا يكــون فيه حــوار على الاطلاق فلا بأس عليه أيضــا . الا أن القصة القصيرة لا يمكن أن تكون قصة قصيرة اذا لم يكن فيها الاحوار وتكون قصــة قصــيرة اذا خلت من الحوار فهى فى الحالة الأولى تصبح مسرحيـــة أو مشهدا تمثليا وقــد يردها الى القصة القصيرة بعض الحديث من الكاتب بين جمل الحوار •

أما عن سؤالك الآخير • فان كانت كل قصصك القصيرة على هذا النمط الذى ارسلته فلا بأس عليك ان تقصر فنك على المسرح • الا أننى أعتقد اعتقادا راسخا أن عمــلا واحدا لا يستطيع أن يكون أساسا كافيــا لاقامة حكم شامل كالذى تريدنى أن أصدره •

فتحى عبد الحميد مقلدى :

اعجبت بقصتك الســاق الخشــبية وان كنت ما أزال حائرا فى أمرها ••• أهى من الأدب الرمزى فالى أى معنى خفى ترمز • الهدف فيهــا واضح •• أهى من الأدب الواقعى •• ما هكـــذا الواقــع ولــكننى مع ذلك معجب بهــا هذا الاعجاب الذى يجعلنى لا أهتم كثيرا بنوع الادب الذى تندرج تحته . اننى ياسيدى سأنشر قصتك ولعل نشرها يغنيك ويغنينى عن كل الاجابات التى كنت تنظرها لأسئلتك الكثيرة . أما القصة الثانية فلم اقرأها تنفيذا لوعد قطعته الا اقرا اكثر من قصة واحــدة للكاتب الواحد . ان شئت ارسلها مرة ثانيــة فانه لابد لى ان اتيح الفرصــة لغيرك لأقرأ له .

عبد البديع عبد الله :

ان لك موهبــــة لاشــك فى ذلك . ولكنك تجعل اليسير من الامــر عسيرا بلا مبرر . لماذا كل هذا الغموض الذى القيته على قصة لها سمة الاساطير وأنت لا تريح القارىء أبدا فهو لا يعرف فى اى عصر هو فهو حينا يرى الجارية تدخل الى الملك ثم هو يرى السيارات فى الصحراء أهى رؤى حالم أم خيال يقظان ، والقصة بعد ذلك بددتهــا بين الاشــــخاص الكثيرين والاتجــاهات المختلفة التى حاولت أن تسير فيها . ارجو أن تكتب قصة أخرى وتحــاول الوضوح وتحدد الاتجاه الذى تريد أن تسير فيه .